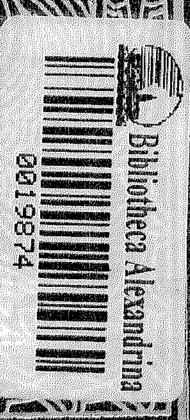
الخطيب
الشيخ عبد الوهاب الكاشي

# مأساة الحسين (ع)

## بين السائل والمجيب

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان









# مأساة الحسين (ع)

بين

السائل والمجيب



الخطيب
الشيخ عبد الوهاب الكاشي

# مأساة الحسين (ع)

## بين

## السائل والمجيب

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان - بيروت
ص.ب ٩٢٧٠

الطبعة الأولى : ١٩٧٣ م. — ١٣٩٣ هـ.

الطبعة الثانية : ١٩٧٨ م. — ١٣٩٨ هـ.

الطبعة الثالثة: ١٩٩٠م - ١٤١٠هـ

بيروت — لبنان

# الإهداء

إلى شبابنا الواعي الذي يقف عند كل ظاهرة من ظواهر الحياة والمجتمع وقفة تأمل وتفحص وتفكير في أسباب تلك الظاهرة وآثارها ليتبين خيرها من شرها وحقها من باطلها .

إلى شبابنا الحر المثقف الطالب للعلم والمعرفة بواقع الحوادث وحقائق التاريخ بعيداً عن التعصب الأعمى والتحيز العاطفي .

إلى شبابنا المؤمن بالله الحكيم وبالانسانية الكريمة وبنظامها الخالد المتمثل في الإسلام ويقادته الأفذاذ محمد وآله عليهم الصلاة والسلام .

إلى شبابنا المتعطش إلى التعرف على مقاييس الأخلاق الفاضلة وموازينها الدقيقة في هذه الحياة التي ضاعت فيها معالم الحق واختفت فيها آثار العدل .

وأخيراً : إلى كافة شبابنا المتحمس للاصلاح الباحث عن طريق السعادة والعدالة الاجتماعية الساعي وراء حياة حرة كريمة .

إليكم جميعاً أيها الأخوان . . .

أهدي كتابي هذا على أمل أن يكون كاشفاً عن بعض الجوانب الغامضة والنقاط الحساسة المثيرة للتساؤل في ثورة الحسين ( ع ) بإذن الله تعالى وتوفيقه .

**المؤلف**

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقديم

بقلم
سماحة الشيخ حسين معتوق

لقد أشرقت شمس التوحيد على دنيا الناس ، وبددت بسناها ظلمة الشرك وخرج الناس من الظلمات إلى النور ودخلوا في دين الله أفواجاً . ولكن فريقاً من الناس أبت له نفسه الملوثة أن ينصاع لدعوة الحق ، وبقي من بعد إظهار الاسلام يمارس حياة الجاهلية ، ويستغل الفرص لمطاردة الدعوة التي فيها خيره وحياته ، في الخفاء تارة وفي الجلاء أخرى ليخنقوها في مهدها من قبل أن تستوي قائمة على الأرض .

وهذا الفريق لما رأى أن قواه قد انهارت أمام ضربات الحق الذي انتشر بسرعة البرق أظهر الإسلام كرهاً وتظاهر به كذباً وهو في قرارة نفسه كافر بالله وبرسوله ، وعلى رأس هذا الفريق الحزب الأموي ، الذي بقي يواصل تحركه ضد الحق وأهله كلما أمن من

ضربات الحق ، ولقد مر الزمن سراعاً وتوالت الأحداث تباعاً ، وضرب الدهر ضربته لصالح الحزب الأموي غب موت النبي مباشرة تحول فيه الحق عن مقره وأصبح مغلوباً على أمره .

فالخلافة التي قربَّت إلى ساحتها رجلاً من ـ تيم ـ وأقامت محله رجلاً من ـ عدي ـ هي التي دفعت بالحق إلى أعدائه ، وهل ينتظر من أعداء الحق غير القضاء عليه .

وهنا استصرخ الحق أهله عندما توالت عليه الأحداث فما وجد له ملبياً غير علي وبنيه (ع) الذين حملَّهم الحق مسؤولية حمايته والدفاع عنه، لقد قرر عليٌ في هذا الدور أن يعيد للخلافة اعتبارها الذي فقدته من بعد ما انطوى على نفسه في الدور الأول الذي لم يدع فيه إلى خلاف أو تأييد احتفاظاً بحقه من جهة وحفاظاً على الدين من جهة أخرى ، قام الآن ليلتقي مع عهد الرسالة له بالقتال على التأويل بعد القتال على التنزيل ، وفي هذا العهد أكثر من دليل على أنه دون سواه هو المسؤول الثاني عن هذا الدين .

لقد كتب على الإمام علي (ع) أن يحارب على جبهتين جبهة الكفر من الخارج وجبهة النفاق من الداخل ـ والإمام لا يملك الاختيار تجاه الحق وهو يستصرخه إلا أن يلبي دعوته ، وقضية الحق في حساب علي وبنيه (ع) جديرة بالولاء الذي لا ينقطع وبالحماية التي ينبغي أن لا تغيب عن معركة الحياة وإن أدت حمايته إلى الشهادة ، فالخلافة عند أهل البيت لا تشكل أكثر من تحمل مسؤولية يفرضها الحق لا شيء سواه ، ومن طبيعة الظروف وأعني بها ظروف المعركة التي يخوضونها وهي التي فرضت على الإمام علي (ع) أن يعلن الثورة على الأوضاع الفاسدة التي خلفتها من ورائها خلافة عثمان وإذا كانت الظروف هي نفسها لم تسمح له بتحقيق الأهداف

الكاملة التي حاول جاهداً الوصول اليها من وراء خلافته فإنه استطاع من غير شك أن يربط الاسلام من جديد بقيادته الأولى ويفصله عن القيادات المستوردة من هنا وهناك ، إنه استطاع أن يفصل الإسلام عن قاعدة الحكم الجديد ويجعل المسلم يفقد ثقته بالحاكمين وهذا ما كان يحرص عليه أهل البيت عندما حالت الأقدار بينهم وبين الوصول إلى حقهم ، ومن هذه الزاوية نستطيع أن نجعل من صلح الإمام الحسن (ع) وسيلة من أهم الوسائل للكشف عن زيف معاوية وانحرافه عن خط الإسلام .

لقد خفي على كثير من الباحثين وجه المصلحة في صلح الإمام الحسن (ع) وقرروا واهمين انه آثر الصلح استسلاماً للراحة وطلباً للعافية وكأن هؤلاء قد نظروا إلى حياة أهل البيت نظرة واحدة مجردة عن طبيعة الظروف التي عايشوها وعاشوا معها ، وفات هؤلاء أن أهل البيت إنما يمثلون في حماية الرسالة دوراً مشتركاً يكون للاحق دور الإكمال وللسابق دور التحضير وأن كل واحد منهم هو في مستوى المسؤولية يأبى عليه غناه الروحي كما يأبى عليه امتلاء نفسه بالبطولة الذاتية إلا أن يثور في وجه الباطل ، وحياة كل واحد منهم هي ثورة على الظلم وله أسلوبه الخاص في نشر الدعوة وايضاح معالمها والدفاع عنها بما يناسب طبيعة عصره وظرفه ، ولكن إذا وضعنا في اعتبارنا أن الثورة لا تختص بالكفاح المسلح وإنما يدخل فيها التخطيط والعمل ويكون الكفاح المسلح هو نهاية مراحلها ، وارتجال الأمور التي يكون مركزها في نهاية النضال إذا استبقنا بها الحوادث وجعلناها في بداية النضال ، يؤدي في النتيجة إلى القضاء على أهداف الثورة وتسهيل الطريق لهزيمتها ومحوها من الوجود .

وما موقف الإمام علي (ع) بثورته وموقف الحسن (ع)

بصلحه إلا تمهيد وتخطيط لموقف الإمام الحسين ( ع ) الذي سار فيه من البداية إلى النهاية في اطار منهج موحد منتظم حياة أهل البيت في الدفاع عن الدين بما يملك كل واحد منهم من الوسائل في ظرفه وعصره وأن ثورة الإمام الحسين ( ع ) قد استكملت جميع العناصر التي سارت به نحو الهدف المنشود أو سار هو بها فخطط بنفسه لنفسه حتى النهاية وحتى بلوغ الأهداف إذ كان الوضع في يومه لا يمكن علاجه بغير الكفاح المسلح وبغير الاستشهاد ، كما كان يتطلب أن يكون القائم بالثورة رجلاً قد تعاظم فيه الجانب الروحي وامتلأت نفسه امتلاءاً يجعلها تندفع تلقائياً للتجاوب مع الحق ومن أجل الحق وحده .

ولا أريد الآن الدخول في شرح معطيات الثورة الحسينية وما ولده هذا الفداء من عطاء فلقد تناول أكثر من كاتب ثورة الحسين ( ع ) بالدرس والتحليل وإن من الصعب تحديدها وحصرها في مقال أو في مقدمة كتاب ، وحسبي أن أقول بأنها ثورة من أعظم شخصية لأعظم غاية لها قدرة الإشعاع على الوجود بصورة جديدة ملهمة ، تنعكس فيها الصورة النهائية لما يمكن أن تسمو به الإنسانية في حاضرها ومستقبلها البعيد ، وإن شئت فقل بأنها قد احتضنت في حركتها كل أهداف الإسلام ، وهل أهداف الإسلام شيء آخر وراء ما أعلنه الحسين ( ع ) عن أهداف ثورته بقوله إني لم أخرج أشراً ولا بطراً وإنما خرجت لطلب الإصلام في أمة جدي محمد أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ، وأن قبوله يجب أن يكون على حساب الحق لا على حساب شيء آخر ومعنى ذلك أن من يرد عليه فإنما يرد على الحق وفي ذلك انعكاس لثورة الإسلام وإن في إطارها المنهجي الذي ارتفع عن

مستوى الأفراد والأشخاص ، وبذلك لم تعد ثورة الحسين ( ع ) تمثل حركة شخصية أو مصيبة فردية ليقال أنه مضى زمانها وانتهى وقتها وإنما هي رمز للاستشهاد في سبيل الحق وهي بذلك سوف تعيش في ضمير الإنسان ووجدانه ما بقي هذا الإنسان وما بقي في الكون حق وباطل وإن مسؤولية الإنسان عن الحق تفرض عليه إحياءها في الجفون والأفكار انطلاقاً مع الحق وتجاوباً مع الصدق وتعاملاً مع الوفاء لدين الله ، وإنها لمسيرة كبرى في حياة هذا الكائن الحي أن يتمرس اليوم من جديد بروح النظال من أجل الحق وينطلق من هذه المسيرة التي ألغت من اعتبارها كل شيء إلا شيء واحد اسمه الحق .

وإن مستقبل الأجيال الصاعدة حيث تنظم مسيرتها من هذه القاعدة مع قافلة الشهداء من أهل البيت لا بد أن تقوم حياتها على حراسة المبادىء وصيانة القيم وتنظيم كافة الوسائل لحماية المكاسب والمغانم التي يثرى معها العقل وينمو بها الإدراك كما أنها سوف تكون السبيل الوحيد لتطويرالمجتمع وتحويل نظره إلى المستقبل الأفضل الذي يدفع أهله لتحمل المسؤولية والصمود في مواجهة الأحداث التي تحاك ليل نهار ضد الدين وأهله .

وكان لزاماً عليّ أن لا أخوض كما وعدت من قبل في شرح معطيات ثورة الإمام المجيدة وبيان الدوافع والأهداف لها بعد أن كانت كلمتي هذه مقدمة لكتاب يكاد أن يكون الفريد من نوعه في شرح الأهداف التي تحددت بها نهضة الإمام الحسين ( ع ) ولا سيما أن مؤلف الكتاب فضيلة الخطيب الشيخ عبد الوهاب الكاشي ممن قد برز في هذا المضمار وحلق في سماء الأفكار حتى صار ملء السمع والبصر في أكثر الأقطار ، وإن هذه الدراسة التي يجدها القارىء بين يديه لم تكن إلا صورة مصغرة عن مكانة واضعها

العلمية فالظروف القاسرة كما تحكمت في طبعها كذلك تحكمت في وضعها .

لذلك وتجاوباً مع رغبة مقدري فضله قرر أن يجعل من هذه الدراسة مقدمة لدراسة جديدة وشاملة بكل ما في التجديد والشمول من معنى .

جزاه الله عن أهل بيت نبيه خير جزاء العاملين .

**الشيخ حسين معتوق**

# مقدمة الطبعة الأولى



الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره وسبباً للمزيد من فضله ودليلاً على لآئه وعظمته والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين المعصومين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين .

وبعد فإن تاريخ الأجيال دروس وعبر ولذا كثر في القرآن الكريم ذكر الحوادث السابقة وأحوال الأمم السالفة وسيرة الأنبياء والملوك وغيرهم بما فيها من خير وشر وظلم وعدل لأجل العظة والاعتبار . ولنفس الغرض أيضاً حثنا الأنبياء والمصلحون وأمرونا ان ننظر في سير الماضين وآثارهم وندرس التاريخ . قال الإمام علي (ع) في وصية إلى ولده الحسن (ع) . . . واعرض على قلبك أخبار الماضين وذكره بما أصاب من كان قبلك من الأولين وسر في ديارهم وآثارهم وانظر فيما فعلوا وعما انتقلوا وأين حلوا . . !

ووجه الاتعاظ والاستفادة من التاريخ واضح . وهو أن عمر الفرد الانساني في هذه الحياة محدود وقصير نسبياً . حيث يتراوح معدله بين الستين والسبعين عاماً ومعلوم أن نصف هذا المعدل تقريباً

يذهب في حالات اللاوعي والغفلة القهرية الطبيعية كفترة الطفولة والنوم والشيخوخة مثلاً . والثلاثين سنة الباقية غير كافية للقيام بتجربة الحياة واختبارها أولاً بكل فروعها ونواحيها ثم تطبيق تلك التجارب والاختبارات ثانياً . أي أن يدرس الحياة أولا دراسة نظرية وعملية ثم يسير على ضوء ما استنتجه من تلك الدراسات .

فإذاً يجب على الانسان إذا أراد أن يستفيد من حياته أن يأخذ بنتائج تجارب الآخرين من خير وشر وحق وباطل يطبقها على حياته لأن مصالح الانسان واحدة لا تختلف في جوهرها وأصولها . ومن ثم جاء في الأثر : السعيد من اتعظ بغيره . وقال الإمام علي ( ع ) من نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه . . . وهؤلاء الناس الذين لا يعتبرون بما يرون ويسمعون من تجارب الآخرين وصفهم الله تعالى في كتابه العزيز بقوله : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ولهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » .

**فالخلاصة** : هي أن دراسة التاريخ والتعرف على الحوادث السالفة أمر ضروري للوقوف على أسبابها ونتائجها والتمييز بين الحق منها والباطل والخير والشر وليعرف أيضاً تسلسل الحياة وارتباط الحاضر منها بالماضي وتأثير بعضها ببعض . يقول الإمام علي ( ع ) في بعض وصاياه : وصدق بما سلف من الحق واعتبر بما مضى من الدنيا لما بقي منها فإن بعضها يشبه بعضاً وإن آخرها لاحق بأولها وكلها حائل مفارق . وقال ( ع ) في مقام آخر : عباد الله إن الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين آخر فعاله كأوله . الخ » . .

وخاصة الحوادث المهمة التي غيرت وجه التاريخ وأثرت في مجرى الحياة لدى أمة أو مجتمع ، فإنها يمكن أن تتكرر وتعاد في

كل مكان وزمان فإن كانت خيراً عملنا على وقوعها والمساهمة فيها وإن كانت شراً عملنا على منعها وعدم تكرارها او تجنب المساهمة فيها على الأقل . ولا شك أن ثورة الحسين ( عليه السلام) من أغنى تلك الحوادث بالعبر والعظات الجديرة بالأخذ والالتفات لما فيها من تطورات وملابسات ولما تضمنته من شخصيات وأفراد يجب أن نعرفهم حق المعرفة ونميز مواقفهم تجاه تلك الأحداث تميزاً دقيقاً لكي نكون على بصيرة من أمرنا تجاه تلك التناقضات التي ظهرت في مواقفهم وأعمالهم فنعرف المحق من المبطل والظالم من المظلوم لأن الحق والباطل لا يقاسان بالاشخاص بل بالعكس الاشخاص يقاسون بالحق والباطل ، فمن عرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فنبذه فهو الانسان الكامل الذي يجب أن يقتدى به ويحتذى حذوه ومن كان على العكس من ذلك فهو المنافق الدجال الذي يجب أن يتبرأ منه ويحتقر وفاءً لأمانة الحق في أعناقنا أياً كان ذلك الشخص من حيث النسب والمكانة الأجتماعية . . . أجل أن ثورة الحسين (ع ) بما سبقتها من مقدمات وتلتها من ثمرات وتضمنتها من قضايا وأحداث قد غيرت اتجاه المسلمين الخاطىء وأيقظتهم من سبات الغفلة ونفضت عنهم غبار التخدير والتنويم العقائدي والعملي وأدخلتهم في دور جديد ومرحلة جديدة ووضعت لهم النقاط على الحروف والعلامات الواضحة على سنن الطريق القويم وهدتهم إلى الصراط المستقيم وكل ما في عالمنا اليوم من اسلام ومسلمين بالمعنى الصحيح فإنهما مدينان في البقاء لفضل ثورة الحسين (ع ) وإن بقائهما أهم ثمرات تلك الثورة المباركة . وهذا ما سنعرفه تفصيلاً من فصول هذا الكتاب بإذن الله تعالى . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . . .

**بيروت في ١ / رجب ١٣٩٣ — عبد الوهاب الكاشي**



# مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون ولا يؤدي حقه المجتهدون .

وصلى الله على أشرف أنبيائه وخاتم رسله سيدنا محمد المصطفى .

وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين .

وبعد ، فإن من عظيم نعم الله سبحانه عليَّ أن وفقني لتأليف هذا الكتاب منذ بضعة أعوام فجاء والحمد لله فريداً في موضوعه جديداً بمضمونه .

فنال رضا الكثيرين من قرائه والقبول الحسن في أوساط المؤمنين . الأمر الذي اقتضى إعادة طبعه تلبية لطلب الراغبين ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

ولعمري إنها لظاهرة طيبة تسر المؤمنين أن يُقبل شبابنا

المعاصر على امثال هذه الكتب الاسلامية رغم كل المحاولات التي بذلت وتبذل لصرفهم عن كل ما يمت إلى الدين والأخلاق بصلة .

أجل : إنها لظاهرة طيبة تبشر بالخير وتبعث على التفاؤل بأن الحق يعلو ولا يعلى عليه .

ولكنها وفي نفس الوقت تدل دلالة واضحة على عظم المسؤولية التي نتحملها نحن رجال الدين عامة ورجال المنبر الحسيني خاصة ، تلك المسؤولية التي تتجسد في اغتنام هذه الفرصة واستغلال وعي الشباب الروحي للقيام بكل عمل مستطاع لدعم هذه الظواهر الخيرة وتنمية هذا الوعي الروحي وتغذية التوجه والاحساس الاسلامي لدى النشء الجديد .

أقول يجب أن نغتنم هذه الظواهر الخيِّرة التي هي دليل عافية الفكر عند الشباب ويقظة الضمير لديهم فنمدهم بما نستطيع من طاقات فكرية وعملية . وإني لعلى يقين ان ثورة الحسين ( ع ) بما فيها من دروس وعظات وعِبَر لهي المدخل الأمثل والوسيلة الفضلى للقيام بمهام التوجيه والتوعية والتنظيم السليم إذ أن تلك الثورة المباركة مقدسة لدى كافة العقلاء في العالم . معبّرة عن آمال كل الشعوب وتمثل الإسلام الصحيح وتدل على الطريق الواضح نحو تحقيق الكرامة الانسانية والحياة الأفضل .

ومن ثمَّ يوصف الحسين ( ع ) بباب النجاة ، أي أنه ( عليه السلام ) أرسا بثورته الخالدة أسس بناء الحرية ووضع العلامة الفارقة على طريق النجاة من الذل والظلم والفساد وقال بلسان القول والفعل : أيتها الانسانية المعذبة لا نجاة لك مما تعانين إلا بالبذل والفداء والتضحية والانفاق والجهاد بالمال والنفس مقروناً بالايمان بالله وحدهِ وباليوم الآخر .

إن الحسين ( ع ) جسد بثورته مضمون الآية الكريمة من قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم .؟. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم » .

ومثّل ( عليه السلام ) بثورته المقدسة مصداق الحديث الشريف عن جده رسول الله ( ص ) « سيد الشهداء عمي حمزة بن عبد المطلب ورجل قام في وجه سلطان جائر فَقُتل » . والخلاصة هي : أننا يجب أن نستفيد من الحسين ( ع ) أكثر مما استفدنا ولو كان الحسين ( ع ) عند غيرنا أي لو كان غيرنا نحن الشيعة يؤمن ايماننا بالحسين ويواليه ولاءنا نحن الشيعة لكانت استفادتهم من ثورته المقدسة أكثر بكثير مما نستفيد ولجعلوا من الحسين شعاراً لجميع مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية يستوحون من ذكرى حياته وثورته دروساً لحياتهم اليومية في جميع المجالات .

إن الحسين ( ع ) مدرسة الحياة الكريمة ورمز المسلم القرآني وقدوة الأخلاق الانسانية وقيمها ومقياس الحق . .

فيا أيها العاملون المخلصون . .

هذه أبواب الحسين ( ع ) فادخلوها وتلك سفينة الحسين ( ع ) فاركبوا فيها بسلام وإلى السلام . . . والسلام .

**المؤلف**

**عبد الوهاب الكاشي**

**٥ / ٨ / ١٩٧٧ م**
**١٩ شعبان ١٣٩٧ هـ**



# مقدمة الطبعة الثالثة



الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم والثناء بما قدّم من عموم نعمٍ ابتدأها وسبوغ الآءٍ اسداها وتمام مننٍ والأهاجمّ عن الأحصاء عددها ونئآ عن الجزاء امدها وتفاوت عن الأدراك أبدها .

وصلىٰ الله على سيّد خلقه وخاتم أنبيائه واشرف رسله الرسول المسدد والمصطفى الأمجد المحمود الأحمد أبي القاسم محمّد وعلى آله وعترة الميامين وسلم عليه تسليماً كثيراً .

وبعد فإن ثورة الحسين (ع) ظاهرة فريدة من نوعها وعجيبة في تطورها واحداثها وغزيرة في عطائها ومدلولاتها ولذا ورد الحث الأكيد من قبل النبي (ص) وعترته الطاهرين على تذكرها باستمرار وذلك في احاديث واخبار صحيحة ومتواترة فبعضها تحث على زيارة الحسين (ع) وبعضها تحث على البكاء على مصائبه ومأساته والكثير من تلك الأحاديث تحثنا على أقامة مطلق الشعائر التي تتعلق بالحسين (ع) من قبيل عقد المجالس واقامة الحفلات العزائية واطعام الطعام وسقي الماء ونظم الشعر وأنشاده وما شاكل .

كل ذلك يهدف إلى شيء واحد وهو ان نتذكر الحسين وثورته باستمرار لما فيه من دروس وعبر وتوجيه وتعليم .

وهذه الفائدة والاستفادة لا تحصل لمجرد الذكر والتذكر ما لم يكن مقترناً بالمعرفة التامة بشخصية الحسين ( ع ) الاجتماعية ومكانته الإسلامية وقدسيّته الذاتية . ثم بالأطلاع الواسع على أسباب ثورته المقدسة وأهدافها ووجوه الحكمة فيما فعل فيها وما لم يفعل وما قام به خلالها وما لم يقم لأن وجوه الحكمة والمصلحة في بعض أفعاله ( عليه السلام ) قد تخفى على بعض الناس ولا يعرفها الكثير من شبابنا خاصةً في هذا العصر .

وهذا الكتاب الذي بين يديك أيها الأخ الفاضل انما هو جهد متواضع وفقني الله تعالى للقيام به منذ عدة سنوات للكشف قدر المستطاع عن غوامض الحكمة والمصلحة في بعض ما قام به الحسين ( ع ) وما يتعلق به من امورٍ اخرى ولا اظن بأنني قد كفيَّت ووفيَّتُ واقنعتُ المستفهم الكريم بما شرحته وذكرته ولكن قد وضعته على سنن الطريق ليواصل البحث والدرس والله ولي التوفيق « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » صدق الله العلي العظيم . . .

بيروت ٢٩ / ١٠ ١٩٨٩ م المؤلف

الموافق ٢٩ / ٣ / ١٤١٠ هـ

# من هو الحسين (ع)
# نسباً وحسباً ومقاماً في المجتمع ؟

## نسبه :

من المؤسف المؤلم حقاً أن يوجد بين شباب المسلمين اليوم من يعرفون الكثير عن أقطاب الشرق والغرب والكثير من أحوال الشخصيات الأجنبية وسيرتهم وحياتهم .. ولكن لا يعرفون إلا القليل وقد لا يعرفون شيئاً أصلاً عن أحوال نبيهم ورجال دينهم وقادة الإسلام . وهذا أوضح دليل على أن هؤلاء الشباب قد ابتعدوا عن الإسلام كثيراً من حيث يشعرون أو لا يشعرون .

فنقول لهؤلاء وما الذي تعرفونه عن الحسين (عليه السلام) صاحب تلك النهضة العظيمة والثورة المدهشة التي ستقرؤون بعض فصولها وتعرفون بعض تفاصيلها في مواضيع هذا الكتاب ؟ . إذ من المعلوم أن الأعمال لا تقدر إلا بمقدار أصحابها ولا تكتسب الأهمية والعظمة إلا من عظمة أهلها .

فالحسين (ع) هو أشرف انسان في الدنيا من حيث النسب .

فهو الإمام ابن الإمام أخو الإمام أبو الأئمة ( صلوات الله عليهم أجمعين ) .

أبوه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ( ع ) وأخوه الإمام الحسن الزكي سيد شباب أهل الجنة ( عليه السلام ) وابنه الإمام علي السجاد زين العابدين ( عليه السلام ) ومن ذريته ثمانية أئمة معصومين .

أما أُمه فهي فاطمة الزهراء ( عليها السلام ) بنت محمد المصطفى ( ص ) سيدة نساء العالمين ، وجده لأبيه هو شيخ البطحاء وكافل رسول الله وناصر الإسلام أبو طالب ( عليه السلام ) . وأما جده لأمه فهو خاتم الأنبياء والمرسلين وحبيب إله العالمين محمد بن عبد الله ( ص ) . هذا نسب الحسين ( ع ) فأي إنسان في العالم جمع نسباً شريفاً كهذا النسب الشريف . أضف إلى هذا النسب الشريف مقامه الراقي عند الله تعالى ومنزلته العليا في الإسلام فهو ( عليه السلام ) :

**أولاً** : ثالث أئمة أهل البيت الأثني عشر الذين عناهم الله تعالى بقوله « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين . . . الأنبياء » ، وثالث أولي الأمر الذين أمرنا الله تعالى باطاعتهم فقال : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . . . » وفي إمامته وإمامة أخيه الحسن نصٌّ نبوّي متواتر وهو قوله ( ص ) : الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا . . .

**ثانياً** : فهو ( عليه السلام ) أحد أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً كما هو صريح آية التطهير . أي أنه ( ع ) خامس المعصومين الأربعة عشر ( عليهم السلام ) ، محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة التسعة من ذرية الحسين ( صلوات

الله عليهم أجمعين ) .

**ثالثاً** : هو ( عليه السلام )أحد العترة الذين قرنهم رسول الله بكتاب الله العزيز وأحد الثقلين اللذين خلفهما في هذه الأمة حيث قال إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض . . .

**رابعاً** : انه ( عليه السلام ) أحد الأربعة الذين باهل بهم النبي ( ص ) نصارى نجران وهو أحد المعنيَين بقوله تعالى وأبنائنا وأبنائكم وهما الحسن والحسين ( عليهما السلام ) . .

وهكذا إلى غير ذلك مما لا يسع المقام إحصائه من فضائله ومناقبه ( عليه السلام ) .

**ولادته :**

لقد ولد الحسين ( ع ) في الثالث من شهر شعبان المبارك السنة الرابعة للهجرة في المدينة المنورة وسماه رسول الله ( ص ) حسيناً كما سمى أخاه من قبل حسناً ولم يسمَّ بهذين الاسمين أحد من العرب قبلهما وكان رسول الله ( ص ) يحبهما حباً شديداً ويقول هما ريحانتاي من الدنيا اللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما . وقد قام بنفسه بتربيتهما حتى تركهما نموذجين مثاليين ومثلين كاملين للمسلم القرآني الذي يريده الإسلام فكانا بذلك القدوة العليا لكل إنسان في الدنيا وفي كل صفات الانسانية وشرائطها . ومن ثم منحهما النبي ( ص ) مقام السيادة على كافة شباب أهل الجنة كما هو نص الحديث الشريف المتواتر : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة . ومعلوم أن السيادة في عرف الإسلام تعني الأفضلية والأكملية والتفوق في العلم والعمل الصالح . ولا شك أن المراد

بشباب الجنة هو كل أهل الجنة قاطبة ما عدا جدهما المصطفى وأبيهما علي المرتضى اللذين خرجا من تحت هذا العموم بأدلة خاصة أخرى .

فهما سيدا أهل الجنة جميعاً لأن كل من في الجنة شباب ليس فيهم شيخ ولا كهل ولا عجوز حسب ما ورد في النصوص .

وبناء على ما سبق يكون الحسين (ع) قد عاش مع جده رسول الله (ص) ست سنوات وعاش بعده إحدى وخمسين سنة فكان عمره الشريف يوم شهادته نحواً من سبع وخمسين سنة وقيل ثمانية وخمسين سنة بناء على أن ولادته كانت سنة ثلاث من الهجرة . قضاها في عبادة الله وطاعة رسوله وخدمة الناس وختمها بأعظم تضحية عرفها التاريخ حتى الآن ، من حيث القدسية والشرف .

كان (عليه السلام) أكثر الناس علماً وأفضلهم عملاً وأسخاهم كفاً وأحسنهم خلقاً وأوسعهم حلماً وأكرمهم نفساً وأرقهم قلباً وأشدهم بأساً وشجاعة . هذه كلها حقائق ثابتة بالاجماع ومتواترة بين المؤرخين وأهل السير يعترف له بها حتى الأعداء .

قالوا تلقى معاوية بن أبي سفيان كتاباً من الحسين (ع) يعدد له فيه جرائمه ومنكراته ورذائل صفاته ومفاسد أخلاقه وكان يزيد حاضراً عند أبيه واطلع على كتاب الحسين وما يصم فيه أباه فغضب وقال يا أبتِ لا تسكت عن الحسين وأجبه بمثل ما كتب اليك لتصغر إليه نفسه . فقال له معاوية ولكن يا بُني لا أجد في الحسين عيباً أذكره به ولا نقصاً أُعيِّره به . . . ويكفي أن قاتل الحسين وحامل رأسه وهو خولي بن يزيد الأصبحي لعنه الله أو الشمر بن ذي الجوشين عليه اللعنة دخل بالرأس الشريف على أبن زياد مفتخراً بقوله يا أمير :

أوقر ركابي فضة أو ذهبا إني قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أُماً وأباً وخيرهم ان يذكرون حسبا

فقال له ابن زياد لعنه الله إذا علمت أنه كذلك فلم قتلته . والله لا نلت مني شيئاً . . . وقال يزيد لعنه الله لزوجته هند . . . ابكي واعولي على الحسين فإنه صريخة قريش ولقد عجلٌ عليه ابن مرجانة .

يقول الاستاذ عباس العقاد في كتابه ( أبو الشهداء ) ما نصه :

وقد عاش الحسين سبعاً وخمسين سنة وله من الأعداء من يصدِقون ويكذِبون فلم يعبه أحد منهم بمعابةٍ ولم يملك أحد منهم أن ينكر ما ذاع من فضله . . . ويقول أيضاً في مقام آخر :

فكان الحسين ( ع ) ملء العين والقلب في خَلْق وخلُق وفي أدب وسيرة وكانت فيه مشابه من جده وأبيه .

## أولاده

فالذكور منهم أربعة وهم علي الأكبر ( ع ) الشهيد . وعلي السجاد الإمام زين العابدين ( ع ) . وعلي الأصغر وهو طفل رضيع ، وعبد الله وهو طفل رضيع أيضاً وهؤلاء الأربعة لأمهات شتى لا لأم واحدة . فعلي الأكبر ( ع ) أمه ليلى بنت مرة بن مسعود الثقفي . وعلي السجاد الإمام امه شاه زنان بنت الملك يزدجرد بن اردشير بن كسرى ملك الفرس وعبد الله امه الرباب بنت امرء القيس الكلبي . وقد قتلوا جميعاً يوم عاشوراء ما عدا الإمام زين العابدين الذي نجا بسبب مرضه ودفاع عمته زينب كما سنعرفه إن شاء الله .

وأما الاناث منهم فأربعة أيضاً وهن سكينة ، وفاطمة الكبرى ، وفاطمة الصغرى ، ورقية . وكلهن مع الحسين ( ع ) في كربلاء ما

عدا فاطمة الكبرى فإن الحسين ( ع ) تركها في المدينة لمرضها .

**اخوته :**

إن اخوة الحسين كثيرون غير أن الذين كانوا معه في كربلاء هم ستة فقط وهم العباس بن علي ( ع ) وأشقاؤه الثلاثة جعفر وعبد الله وعثمان أمهم فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية المكناة بأم البنين ( ع ) ثم محمد بن علي قيل اسمه عبد الله ( ع ) وكان يكنّى بأبي بكر ، وأمه ليلى بنت مسعود بن خالد التميمي . ثم عمر بن علي ( ع ) وأمه غير مشخصة في التاريخ . وقيل أنه كان أيضاً مع الحسين أخ له يسمى محمد الأصغر وأُمه أُم ولد .

فهؤلاء ستة أو سبعة من اخوة الحسين ( ع ) استشهدوا بين يديه يوم عاشوراء وكان أفضلهم وأجلّهم أبو الفضل العباس ( ع ) وهو أكبر الهاشميين سناً يوم كربلاء ما عدا الحسين ( ع ) حيث كان عمره أربعاً وثلاثين سنة . لذا اختاره الحسين ( ع ) حاملاً لرايته العظمى . وعبر عنه بكبش الكتيبة . وكان ( ع ) وسيماً جسيماً طويل القامة وجهه كفلقة قمر ومن هنا كان يلقب بقمر الهاشميين وهو آخر من قتل قبل الحسين ( ع ) يوم عاشوراء . وكان لقتله صدمة عنيفة في نفس الحسين ( ع ) عبر عنها بقوله حين وقف على مصرعه « الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي وشمت بي عدوي » وبان الانكسار في وجهه وبكى عليه .

وقد نوَّه بفضله ( عليه السلام ) عدد من الأئمة المعصومين ( صلوات الله عليهم ) ومنهم أبوه أمير المؤمنين ( ع ) حيث قال فيه : ان ابني العباس زق العلم زقاً . ثم الإمام زين العابدين ( ع ) الذي قال عنه : رحم الله عمي العباس لقد جاهد يوم كربلاء وأبلى بلاءً حسناً حتى قطعت يداه ومضى شهيداً وقد أبدله

الله عن يديه بجناحين يطير بهما في الجنة مع الملائكة كما أعطى جعفر بن أبي طالب بموته . ثم الإمام جعفر بن محمد الصادق ( ع ) القائل في جملة تصريح له ألا وان لعمي العباس عند الله لدرجة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة . وما دفنه الإمام زين العابدين ( ع ) وحده بمكان مصرعه إلا تنويهاً بفضله وعلو مقامه بين بني هاشم كما ان دفنه لحبيب بن مظاهر الأسدي ( ره ) في قبر منفرد كان لهذا الغرض أي التنويه بفضل وعلو مقام حبيب بين باقي الأصحاب ( رضوان الله عليهم ) . وبصورة عامة فشهداء كربلاء جميعاً هم أفضل الشهداء في الدنيا من أولها إلى آخرها بعد الأنبياء والأئمة ( عليهم السلام ) .

هم أفضل الشهداء والقتلى الأولى . . . مدحوا بوحي في الكتاب مبين .

* * *



# ما هو عاشوراء مفهوماً وبداية . . ؟

**قوله عز من قائل :**

إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم . . صدق الله العظيم .

ان عاشوراء في التاريخ يعني اليوم العاشر من شهر محرم الحرام ، وشهر المحرم كما هو معلوم أحد الأشهر الاثني عشر في السنة القمرية التي هي حسب منازل القمر في مداره السنوي حول الشمس وهذه الأشهر القمرية لا تقل عن التسعة وعشرين ولا تزيد على الثلاثين يوماً وعليه فالسنة القمرية تنقص عن السنة الشمسية بنحو من ثلاثة عشر يوماً . ويبدأ الشهر القمري بظهور الهلال على وجه الأفق الغربي عند غروب الشمس وينتهي باكمال العدة أو برؤية الهلال ثانية . فهو أسهل ضبطاً ومعرفة من الشهر الشمسي بالنسبة إلى عامة الناس ولهذا السبب اعتبرها الاسلام رسمياً في احكامه وشعائره من صيامٍ وافطار وحج وغيرها وتبدأ الشهور القمرية الأثني

عشر تبدأ بشهر المحرم وتنتهي بشهر ذي الحجة . وأما أسماء هذه الشهور فهي عربية قديمة قبل الإسلام فالعرب من أقدم العصور أعتمدوا على هذه الشهور القمرية وسموها بهذه الأسماء المعروفة لمناسبات خاصة وقتية ثم زالت تلك المناسبات وبقيت الأسماء .

وفي نفس الوقت اعتبروا أربعة منها حرماً أي محرمة تبعاً لما في الشرائع السماوية السابقة . ومعنى أعتبار العرب لأربعة من الشهور المذكورة حرماً أنهم كانوا يتركون فيها الحرب والقتال والغزو والغارات وسفك الدماء لينصرفوا ويتفرغوا فيها إلى شؤونهم التجارية والزراعية والأدبية وغيرها فيقيمون فيها الأسواق ويعقدون الأندية والاجتماعات ويتفاخرون بانتاجهم الصناعي والأدبي . والأربعة الحرم هي عبارة عن الثلاثة السرد أي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ، والواحد الفرد أي شهر رجب . وكما قدمنا كان احترام العرب لهذه الشهور الأربعة تقليداً دينياً لذا لما ضعف الدافع والشعور الديني عند العرب الجاهليين ضعف تبعاً لذلك هذا التقليد وصاروا يبدلّون بعض هذه الأشهر الحرم بغيرها إذا دعت حاجتهم إلى ذلك كأن يحاربوا أو يغزوا في رجب مثلاً ويحترمون بدلاً عنه شعبان أو غيره وهكذا وهذا ما يسمونه بالنسيء الذي حرمه الإسلام وندَّد به في قوله تعالى « انما النسيء زيادة في الكفر » .

فالغرض أن المحرم هو أحد الشهور الأربعة الحرم أي المحترمة منذ القدم . وأما عاشوراء فهو يوم العاشر منه كانوا يعتبرونه أقدس أيام السنة وأكثرها خيراً وبركة يطعمون فيه الفقراء ويتفقدون فيه المساكين والأرامل واليتامى . ويعملون فيه الخير . هذا مفهوم المحرم ومفهوم عاشوراء من قديم الزمان إلى أن جاء الأمويون إلى الحكم في العالم الإسلامي فهتكوا حرمة الأشهر الحرم في جملة ما هتكوا من الحرمات وارتكبوا في الشهر المحرم وفي يوم عاشوراء خاصة

أبشع جريمة عرفها التاريخ فسفكوا فيه أقدس الدماء وقتلوا فيه أفضل وأشرف الذوات الانسانية وذبحوا فيه الأطفال وقتلوا النساء ومثلوا بالشهداء وأحرقوا الخيام على آل رسول الله ورضوا جثث أهل البيت بحوافر الخيول . وقطعّوا رؤوسهم ورفعوها على اطراف الرماح وطافو بها من بلد إلى بلد وحملوا عقائل الرسالة وبنات النبي ( ص ) سبايا مربقات بالحبال وشهّروا بهّن في البلدان . فتبدل بفعلهم هذا معنى المحرم وعاشوراء وتحول مفهومهما عند المسلمين إلى أيام حداد وأسى وصار المحرم موسماً خاصاً للاحتفال بذكرى اولئك الأبطال الذين أقدموا على تحمل المآسي العظام دفاعاً عن الحق والعدل وحقوق الانسان ، ففي الاحتفال بذكرى شهداء كربلاء وأبطال العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ . أحسن الأثر في نفوس النشء الجديد والجيل الصاعد والشباب الواعي لأن ذكراهم ومواقفهم تلقن الشباب دروس العزة والكرامة والشعور بالشرف الانساني وتقوي في نفسه روح التضحية والفداء في سبيل الحق والعدل . فنشر أنباء اولئك الأبطال هو في رأي الخبراء أكبر خدمة اجتماعية وتربوية تقدم للمجتمع . ألا ترى العادة الجارية والتقليد السائد عند كافة الشعوب والأمم حيث يحتفلون بين حين وآخر بذكرى ثوراتهم الوطنية وأبطالهم الثائرين وقادتهم المحررين ويقيمون لهم التماثيل ويرفعون صورهم في الشوارع والساحات العامة تخليداً لذكراهم . لماذا ؟ نعم يعللون ذلك بأنه اداء لحقهم وتقدير لصنيعهم أولاً ثم تشجيع وتشويق للشباب والنشء الجديد نحو الاقتداء بهم والسير على مبدئهم وفي طريقهم والقيام بمثل أعمالهم . ويقول الخبراء لولا هذه الذكريات لماتت روح التضحية في نفوس الناس وسادت روح الأنانية والفردية . فإذا كان كذلك أليس يجدر بثورة الحسين وموقفه يوم عاشوراء أن يشاد بذكراها في كل زمان ومكان . أيُّ ثورة وطنية في العالم بلغت في عمقها وشمولها ونبل أهدافها وبركة نتائجها مبلغ ثورة الحسين ( ع )

انها لم تخدم الشيعة فحسب ولا المسلمين فقط بل خدمت الانسانية والحق العالمي .

فالمحرم إذاً في عرف العقلاء موسم سنوي لدورة دراسية تلقى فيها دروس من سيرة الحسين ( ع ) وأصحابه حول موضوع الانسانية المثالية ولوازمها ومتطلباتها . ويوم عاشوراء منه هو في الواقع يوم تظاهرة عالمية تأييداً للحق واستنكاراً للباطل ذلك الحق المطلق الذي تجسد في سيرة الإمام الحسين ( ع ) وتضحيته . وذلك الباطل المطلق الذي تمثل في جريمة الأمويين وسلوكهم . فهذه أبواب المدارس الحسينية مفتوحة فادخلوها بسلام آمنين . إن مدرسة الحسين يجب أن تفتح في كل مكان وذكراه يجب أن تقام في كل زمان تماماً كما صورهما هذا الأديب القائل :

كأن كل مكان كربلاء لدى عيني وكل زمان يوم عاشورا

ولقد حاول أعداء الصلاح والاصلاح ولا زالوا يحاولون أن يخلقوا بعض المبررات لكي يتخذوا من أيام المحرم أعياداً ومناسبات فرح لا أساس لها من الواقع فمن ذلك مثلاً زعمهم أن هجرة الرسول الأكرم ( ص ) إلى المدينة المنورة كانت في أول يوم من المحرم فهم لذلك يتخذون من ذلك اليوم عيداً وأسموه عيد الهجرة . مع العلم أن هجرة الرسول ( ص ) كانت أوائل شهر ربيع الأول حسب إجماع المؤرخين ، وقالوا أن يوم عاشوراء يوم مقدس ومبروك فهم لذلك اتخذوه عيداً يظهرون فيه الفرح والسرور ويلبسون فيه الجديد وثياب الزينة ويقدمون التهاني بعضهم لبعض . مع العلم أن القدسية والبركة لا يستلزمان التعيّد واظهار الزينة وتبادل التهاني . وعلى كل حال لا يوجد أي مبرر لاتخاذ

أيام المحرم أو بعضها أعياداً أبداً بعد أن وقعت فيه تلك المأساة الخالدة والكارثة الانسانية العظمى التي راح ضحيتها العشرات من ذرية رسول الله ( ص ) وأبنائه وأهل بيته الطاهرين في تلك المجزرة الرهيبة التي لم يسبق لها نظير . ففي حديث الإمام علي الرضا ( ع ) قال ان شهر المحرم كان أهل الجاهلية فيما مضى يعظمونه ويحترمونه ويحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته لكن هذه الأمة ما عرفت حرمة شهرها ولا حرمة نبيها فقتلوا فيه ذريته وسبوا فيه نساءه من بلد إلى بلد . . . وفي حديث آخر عنه ( ع ) قال ان يوم عاشوراء يوم تبركت به وفرحت فيه بنو أُمية وآل مروان لقتلهم الحسين ( ع ) وأهل بيته فمن اتخذه يوم فرح وسرور جعل الله له يوم القيامة يوم حزن وخوف وكآبة ومن اتخذه يوم حزن ومصيبة جعل الله له يوم القيامة يوم فرح وسرور وقرَّت بنا في الجنان عينه . ولقد عبر بعض الشعراء عن منطق التدين والوجدان والضمير الانساني حيث قال ( ره ) :

ما انتظار الدمع هلا يستهلا ... أو ما تنظر عاشوراء هلا
كيف لا تحزن في شهر به ... أصبحت آل رسول الله قتلا
كيف لا تحزن في شهر به ... أصبحت فاطمة الزهراء ثكلا
كيف لا تحزن في شهر به ... رأس خير الخلق في الرمح معلا
كيف لا تحزن في شهر به ... ألبس الإسلام ذلاً ليس يبلا
يوم لا سؤدد إلا وانقضى ... وحسام للعلى إلا وفلا
يوم خرَّ ابن رسول الله عن ... سرجه لله خطب ما أجلا
يا قتيلاً أصبحت دار العلا ... بعده قفراً وربع الجود محلا
ما نعتك الخلق لكن قد نعت ... فيك احساناً ومعروفاً وعدلا

وقال آخر يخاطب الحسين (ع) :

تبكيك عيني لا لأجل مثوبةٍ  لكنما عيني لأجلك باكية
تبتلُّ منكم كربلا بدمٍ ولا  تبتلُّ مني بالدموع الجارية..؟

* * *

# لماذا فاق يوم الحسين (ع) أيام غيره من الشهداء . . ؟

| | |
|---|---|
| فما رأى السبط للدين الحنيف شفاً | إلا إذا دمه في كربلا سفكا |
| وما سمعنا عليلاً لا علاج له | إلا بنفس مداويه إذا هلكا |
| نفسي الفداء لفادي شرع والده | بنفسه وبأهليه وما ملكا |
| يا ميتاً ترك الألباب حائرة | وبالعراء ثلاثاً جسمه تركا |
| في كل عام لنا بالعشر واعية | تطبق الدور والأرجاء والسككا |
| وكل مسلمة ترمي بزينتها | حتى السماء رمت عن وجهها الحبكا |

يرد هذا التساؤل بكثرة والحاح وهو :

**أولاً** : لماذا يعني الشيعة باحياء ذكرى شهادة الحسين (ع) وثورته اكثر من غيره من الثوار والشهداء . . ؟

**وثانياً** : لقد مضى على يوم الحسين (ع) زمن طويل يقارب الأربعة عشر قرناً فلماذا يعاد وتتجدد ذكراه والاحتفال به في كل عام بكل جدّية واهتمام . ؟

فللاجابة على السؤال الأول نقول : لأن ثورة الحسين ( ع ) أظهر مصداق للثورات التحررية في تاريخ العالم كله واستشهاده ( ع ) أوضح وأجلى صورة للاستشهاد في سبيل الله تعالى وذلك هو لأن الحسين ( ع ) قام باداء أعظم فريضة من فرائض الإسلام وهي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قام بأدائها على أصعب مراتبها وأشد صورها وارفع مستوياتها . فالله سبحانه وتعالى احتفظ بيوم الحسين حياً خالداً ليكون حجة على الناس وقدوة للمسلمين ومثلاً أعلى لكل رجال الدين والمسؤولين في كل زمان ومكان في القيام بهذا الفرض الأعظم .

أما كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أعظم الفرائض الإسلامية فهو صريح الأحاديث الشريفة والنصوص المؤكدة الصادرة عن المعصومين ( ع ) ففي الحديث عن النبي ( ص ) : لا تزال أمتي بخير ما تآمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا تركوا ذلك تسلط عليهم شرارهم ثم يدعون فلا يستجاب لهم . وفي حديث آخر عنه ( ص ) : إذا رأيت امتي تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم فتودع منها

واشتهر عنه ( ص ) قوله : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . . . وهاك استمع إلى هذا النص الجلي عنه ( ص ) حيث يقول : ما أعمال البرِّ كلها في جنب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كقطرة في البحر المحيط . وأخيراً قوله ( ص ) : كيف بكم إذا فسق شبانكم وفسدت نسائكم وتركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قالوا أو يكون ذلك يا رسول الله ؟ قال نعم وشر من ذلك كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ، قالوا أو يكون ذلك يا رسول الله ؟ قال نعم وشر من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفاً والمعروف منكراً . ولا تنس قوله ( ص ) : سيد

الشهداء عمي حمزة بن عبد المطلب ورجل قام في وجه سلطان جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله . وقوله ( ص ) من رأى منكم منكراً فلينكره بيده وإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان . . . وفيما ورد عن الإمام أمير المؤمنين ( ع ) قوله في عهده إلى نجله الإمام الحسن ( ع ) قال يا بني وامر بالمعروف تكن من أهله وانكر المنكر بيدك ولسانك وبأين من فعله بجهدك وخض الغمرات الى الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم . وقال ( ع ) في وصيته قبيل وفاته لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم . . . وفيما ورد عن الإمام محمد الباقر ( ع ) قوله يأتي في آخر الزمان أُناس حمقى لا يوجبون أمراً بمعروف ولا نهياً عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر يقبلون على الصلاة والصيام مما لا يكلفهم شيئاً من أموالهم وأبدانهم ولو كلفتهم الصلاة شيئاً في أموالهم وأبدانهم لتركوا الصلاة والصيام كما تركوا أشرف الأعمال ، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهكذا وإلى غير ذلك مما لا يسعنا في هذا المقام استقصاؤه ، ومن الواضح أن كل هؤلاء يعبرون عما نطق به القرآن الكريم حيث أعطى هذه الفريضة أهمية كبرى فوق كل الفرائض الأخرى . كما هو صريح قوله تعالى : « كنتم خير أُمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » انظر كيف حصرت الآية أفضلية هذه الأمة على سائر الأمم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم في الايمان بالله . . . وقال سبحانه وتعالى : « والعصر ان الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » انظر كيف خصص التواصي بالحق عن عمل الصالحات . حيث يوحي بأن كل اعمال الصالحات في جهة والتواصي بالحق والصبر في جهة اخرى . . . وقال سبحانه وتعالى في معرض بيان الأسباب التي أدت إلى شقاء بعض الامم

السالفة : « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه . . » .

والخلاصة أن فريضة الأمر بالمعروف أعظم الفرائض أهمية في الاسلام وذلك لأن على قيام هذه الفريضة يتوقف قيام الشريعة كلها فهي فريضة المحافظة على النظام وضمان تطبيقه والرقابة الشعبية القائمة عليه ولذا لم تسقط عن أي مسلم ومسلمة في أي مستوى كان . الساكت عن الحق شيطان أخرس .

ولا خلاف ولا شك في أن كافة الأنبياء والأوصياء والعلماء من الصحابة والتابعين وكثير من المؤمنين قاموا بأداء هذه الفريضة العظمى وأدوا هذا الواجب حسب ظروفهم وأحوالهم وامكانياتهم . غير أن الحسين ( ع ) قام باداء هذا الواجب على نحوٍ من الصعوبة والمشقة لم يسبقه فيه سابق ولم يلحقه لاحق . أجل لقد وقف الأنبياء والأوصياء في وجه الطغاة والظالمين وكلّفهم ذلك تضحيات كبيرة في أموالهم وأبنائهم وأنفسهم وأهاليهم ولكن لم يتفق لأحد منهم أن ضحى بكل هذه الأشياء وغيرها مجتمعة وفي آن واحد مثل الحسين ( ع ) ضحى بستة أو سبعة من اخوته وبثلاثة من أبنائه اثنان منهم أطفال رضع ، وسبعة عشر شاباً من بني عمومته وأبناء اخوته وبنيف وسبعين رجلاً من خلص أصحابه وأخيراً بحياته الزكية وبعياله وحرمه وخيامه وماله ومتاعه وكل ما ملكت يداه . ضحى بكل هذه الأشياء وغيرها بشكل من القسوة والعنف والشدة تقشعر منه الجلود ويستعصي على الشرح والبيان فهو ( عليه السلام ) بكل حق وجدارة قدوة الآمرين بالمعروف والمثل الأعلى بين رجال التضحية والفداء :

وما سمعنا عليلاً لا علاج له ... إلا بنفس مداويه إذا هلكا
نفسي الفداء لفادي شرع والده ... بنفسه وبأهليه وما ملكا

فلا عجب بعد هذا إذا عرفنا السبب والعلة حيث يقال إذا عرف

السبب زال العجب ومنه نعرف أسباب حرص المسلمين عامة والشيعة منهم خاصة على احياء ذكرى الحسين ونشرها ولفت الأنظار إليها بكل الوسائل والشعائر . لأن الحسين (ع) أعظم داعية للجهاد في سبيل الله وأظهر مثل للثبات والاستقامة على المبدأ وأرفع منارٍ على طريق الشعور بالمسؤولية وادائها . ولولا حرمة النحت والتماثيل في الإسلام لكان من المفيد جداً بالاضافة إلى ذلك ان نقيم التماثيل للحسين (ع) في كل الساحات والشوارع بل في كل بيت لأننا كلما تذكرنا الحسين (ع) تذكرنا الله والدين والحق والعدل والانسانية المثالية . وكلما نسينا أو تغافلنا عن الحسين التبس علينا وجه الحق وفقدنا الموازين الانسانية والمقاييسي التي تفرق وتشخص الحق عن الباطل . وعند ذلك الويل والشقاء حسب ما ورد في الحديث الشريف كيف بكم . . . كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، ولقد أحسن من قال :

لقد تحمل من ارزائها محناً     لم يحتملها نبي أو وصي نبي

وقال الآخر :

أحسين فيما أنت قد حمّلته     أشغلت فكر العالمين جميعا

وأما جوابنا عن السؤال الثاني فنقول : ليس كل حادثة تتأثر بطول العهد ومرور الزمن عليها فتفقد أهميتها وأثرها في النفوس أو يطويها الزمن في ملف المهملات . كلا . بل نرى بالوجدان ان في العالم حوادث وشخصيات يستحيل على الزمن هضمها فمن الحوادث مثلاً الثورات الشعبية الكبرى التي يحتفل بذكراها رغم مرور الزمن الطويل عليها . ومن الشخصيات مثلاً السيد المسيح عيسى بن مريم (ع) الذي لا يزال

يُحتَفَل بذكرى ميلاده كل عام رغم مرور ما يقارب الألفي سنة على ولادته . بل ويحتفل ايضاً بذكرى صلبه فيما يسمى بالجمعة الحزينة ثم بذكرى قيامته من الموت حسب زعمهم في عيد الفصح وهكذا نجد لكل طائفة وامةٍ ذكريات تاريخية قديمة يحتفل بها على مرّ السنين . فإذاً خلود الشخصيات والحوادث أو عدم خلودها إنما يدور مدار آثار تلك الحوادث والشخصيات لا مدار مرور الزمن . ومما لا شك فيه بين ذوي البصائر والمعرفة أن شخصية الحسين بن علي (ع ) وثورته ضد الدولة الأموية هما في رأس قائمة الشخصيات العالمية والحوادث الجليلة من حيث الآثار والنتائج لأنها غيرت أو أثرت في مجرى تاريخ الأمة الاسلامية وصانت الشريعة الاسلامية من التحريف والتزييف وحفظت كيان المسلمين من الزوال والذوبان . ولذا فليس من مصلحة الانسانية نسيان تلك الشخصية المثالية أو تناسي تلك الثورة المقدسة . حيث أن في نسيان شخصية الحسين نسياناً للانسانية المثلى في كل زمان كما أن في تناسي ثورته المقدسة فقداناً لأعظم درس في الحرية والعزة والتضحية المقدسة . فإلى مزيد من تذكر الحسين (ع ) وإلى مزيد من احياء ذكرى ثورته المقدسة أيها المؤمنون . ولقد احسن وأجاد الاستاذ الجواهري بقوله في قصيدته الشهيرة يخاطب الحسين (ع ) :

فيا ايها الوتر في الخالدين ... فــذاً إلى الآن لم يُشفَــع
تعـاليتَ من مُفـزِع للحتـوف ... وبُــورِكَ قبــرُك من مَفــزَعِ
تلوذ الــدهــور فمن سُجّــدٍ ... على جــانبيــه ومن رُكــعِ
شممتُ ثــراك فهبَّ النسيـم ... نسيمُ الكــرامــة من بَلقــعِ
وطفتُ بقبـرك طوف الخيـال ... بصــومعــة الملهَم الـمبــدِع
كأن يداً من وراء الضـريح ... حـمــراء مـبتــورة الأصبــع
تمــدُّ الى عــالم بــالخنوع ... والـضيـم ذي شــرقٍ متــرع

ليبدل منه جديب الضمر     بآخر معشوشب متمرع
وتدفع هذي النفوس الصغار     خوفاً إلى حرم أمنع
فيا بن البتول وحسبي بها     ضماناً على كل ما ادعى
ويا بن التي لم يضع مثلها     كمثلك حملاً ولم ترضع
ويا بن البطين بلا بطنةٍ     ويا بن الفتى الحاسر الأنزع
تصورت يومك في خاطري     ورددت صوتك في مسمع
وجدتك في صوره لم اورع     باعظم منها ولا اروع

* * *



# هل ألقى الحسين (ع) بنفسه إلى التهلكة بثورته ضد الأمويين ؟

أول الشبهات التي ترد على ذهن السامع أو القارىء لمصرع الحسين (ع) هي شبهة أن الحسين بعمله هذا قد ألقى بنفسه إلى التهلكة التي نهى الله تعالى عنها بقوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة . . . والقيام بمثل ذلك العمل الانتحاري يعتبر غريباً من مثل الحسين (ع) العارف بشريعة الإسلام والممثل الشرعي لنبي الإسلام جده محمد (ص) . لذا فالجواب عن هذه الشبهة يتوقف على تقديم مقدمة للبحث في الآية الكريمة والتعرف على معنى التهلكة المحرمة ومتى تصدق وهل ينطبق ذلك على عمل الحسين (ع) وننظر هل يصدق عليه (صلوات الله عليه) أنه ألقى بنفسه إلى الهلكة والتهلكة أم لا . .؟ قوله سبحانه وتعالى :

« وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين » .

التهلكة . . . يعني الهلاك وهو كل أمرٍ شاقٍّ ومضرٍ بالانسان

ضرراً كبيراً يشق تحمله عادة من فقر أو مرض أو موت .

والآية الكريمة أمرت أولاً بالانفاق في سبيل الله أي التضحية والبذل فيما يرضي الله تعالى ويقرب الانسان إلى الله ثم نهت *عن الالقاء بالنفس إلى التهلكة وذلك بترك الانفاق في سبيل الله . ثم قالت وأحسنوا أي كونوا محسنين في الانفاق والبذل إذ أنه ليس كل تضحية حسنة وشريفة ولا كل بذل هو محبوب وحسن عند الله . وإلا لكانت تضحيات المجانين والسفهاء أيضاً شريفة وفي سبيل الله .

فالتضحية الشريفة المقدسة والتي هي في سبيل الله تعالى تعرف بتوفر شروط فيها وتلك الشروط نلخصها فيما يلي :

الشرط الأول : أن تكون التضحية والبذل والانفاق في سبيل شيء معقول محبوب عقلاً وعرفاً أي في سبيل غرض وهدف عقلاني . وإلا خرجت عن كونها تضحية عقلائية ودخلت في عداد الأعمال الجنونية أو اللاإرادية .

الشرط الثاني : أن يكون المفدَّى والمضحَّى له أشرف وأفضل من الفداء والتضحية لدى العقلاء والعرف العام كأن يضحى بالمال مثلاً لكسب العلم أو الصحة أو يضحى بالحيوان لتغذية الانسان . وهكذا كلما كانت الغاية أفضل وأثمن كانت التضحية أشرف وأكمل .

هذان العنصران هما الشرطان الرئيسيان من الشروط التي لا بد منها في كل بذل وانفاق وتضحية حتى تكون حسنة وشريفة وفي سبيل الله . وعلى هذا يظهر جلياً وبكل وضوح أن ثورة الحسين (ع) كانت في سبيل الله مئة بالمئة وأن كل ما قدم فيها وأنفق من مال وبنين ونفس ونفيس وغال وعزيز كان انفاقاً حسناً وبذلاً شريفاً وتضحية مقدسة يستحق عليها كل إجلال وتقديس وشكر . بداهة توفر

الشرطين الآنفين في ثورته (ع) على أتم صورهما حسبما نعرف ذلك مفصلاً فيما يأتي . .

وكذلك يتضح زيف وبطلان الهراء والتهريج القائل أن الحسين (ع) بنهضته تلك ألقى بنفسه إلى التهلكة لأنه قام بدون عدة وعدد كافيين في وجه قوة تفوقه عدة وعدداً بأضعاف مضاعفة .

إنا نقول لهم لقد قام قبل الحسين (ع) كثير من الأنبياء والرسل في وجه أعداء لهم أقوى عدة وعدداً وقام كثير من الصلحاء وهم عزل في وجه الطغاة الأقوياء ولاقوا صنوفاً من العذاب والأذى والقتل فهل كان كل اولئك على خطأ وباطل في مواقفهم ؟

أما استدلالهم بفعل أمير المؤمنين (ع) مع معاوية حيث قبل الصلح أو التحكيم وكذلك فعل الحسن الزكي (ع) حيث صالح معاوية وقبل ذلك كله فعل النبي (ص) مع المشركين عام الحديبية . . .

فإنه استدلال فاسد وقياس مع الفارق حيث صالح هؤلاء أعداءهم لأنهم ايقنوا بعدم جدوى الحرب والقتال وعدم الوصول إلى الغاية المطلوبة مع الاستمرار في الحرب وهي ظهور الحق وإزهاق الباطل . بل بالعكس ظهر الحق بصبرهم ومهادنتهم أكثر وأكثر . فصلح الحديبية مثلاً أظهر عطف الرأي العام العربي نحو محمد (ص) وأظهر حسن نواياه للعرب وأنه رجل سلام وداعية حب ومودة لا رجل حرب . وبالتالي مهد ذلك الصلح لفتح مكة بدون قتال ثم لدخول الناس في دين الله أفواجاً . وأما قبول علي (ع) للتحكيم في صفين وصلح الحسن مع معاوية فلم يكن عن شعور بالعجز عن المقاومة ولا بدافع قلة العدد وكثرة العدو بل لغرض فضح نوايا معاوية وكشف مؤامراته العدوانية أمام أعين البسطاء الذين كانوا قد

خدعوا بنفاقه ودجله . وكذلك سكوت علي ( ع ) عن حقه بعد وفاة النبي ( ص ) كان لعلمه ( عليه السلام ) أن استعمال السيف لا يجدي نفعاً لمصلحة الإسلام بل يعرض ذلك لخطر أعظم وضرر أشد وفساد أكبر .

**والخلاصة** : أن آية التهلكة لا تشمل مطلق الاقدام على الخطر ولا تحرّم التضحية بالنفس والنفيس إذا كانت لغاية أعظم وأفضل وهدف أنبل وأشرف كالذي قام به الحسين ( ع ) بثورته الخالدة وحيث توفرت في تضحياته كل شروط التضحية الشريفة والفداء المقدس على أكمل وجه لأنه ( عليه السلام ) ضحى وفدى وبذل وأنفق في سبيل أثمن وأغلى شيء في الحياة مطلقاً ألا وهو الإسلام دين الله وشريعة السماء ونظام الخالق للمخلوق ودستور الحياة الدائم ، الذي لولا تضحيات الحسين ( ع ) لدفن تحت ركام البدع والتشويهات والانحرافات التي خلفتها عهود الحكم السابقة كما دفنت الديانات السابقة على الإسلام تحت ترسبات البدع والتحريف حتى لم يبق منها أثر حقيقي حيث لم يقيض لها حسين فيستخرجها ويزيل عنها المضاعفات كالذي فعله الحسين بن علي بالنسبة إلى الديانة الإسلامية الخالدة .

وهنا قد يرد سؤال وجيه يجدر بنا التعرض له والاجابة عليه .

**والسؤال هو** : كيف يكون الإسلام أغلى وأثمن وأشرف وأفضل من كل الموجودات والكائنات حتى الانسان نفسه فضلاً عن المال والولد أليس الله تعالى خلق الكون لأجل الانسان فكيف يضحي بحياة الانسان في سبيل الدين الذي هو بدوره وجد لأجل سعادة الانسان وخدمة الانسان وخيره ؟

**والجواب** : نعم إذا تعرض الدين لخطر الزوال أو التحريف

فمعنى ذلك أن سعادة الانسان تعرضت للخطر وكرامة الانسان تعرضت للزوال لأن كرامة الانسان وشرفه وسعادته انما تكمن في دينه وايمانه بالله العظيم وبدونهما فالحيوانات والوحوش افضل منه واشرف .

قال الشاعر :

لعمرك ما الانسان الا بدينه فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب . . .

لقد رفع الايمان سلمان فارسي . وقد وضع الشرك الشريف ابا لهب وشبه القرآن الكريم الكافرين بالانعام والبهائم في اكثر من آيةٍ واعتبرهم أخس واحط قدراً من الحيوان في آيات أخر . هذا ولا شك في أن الانسان إذا دار أمره بين أن يعيش بلا سعادة ولا كرامة أو يموت دفاعاً عنهما وإبقاء لهما لغيره ، وجب الدفاع والصيانة حتى الموت . إذا دار الأمر بين أن يعيش الانسان بلا سعادة وكرامة أو يموت سعيداً كريماً ، فلا شك أن الموت بسعادة وكرامة أفضل من الحياة بدونهما . إذا دار الأمر بين أن يعيش الانسان في مجتمع لا يشعر بكرامته الانسانية ولا يخضع لنواميس الحياة الطبيعية أو يموت لاعلان ذلك الشعور واعلاء تلك النواميس . فلا خلاف في أن الموت خير له وأفضل . ففي الحديث الشريف عن النبي( ص ) قال : إذا كان امراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحائكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خيرٌ لكم من بطنها ، وإذا كان امراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلائكم وأمركم إلى نسائكم فبطن الأرض خيرٌ لكم من ظهرها .

وقال الحسين (ع ) في خطبةٍ له : إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً . . إذ أن كل الأشياء إنما تخدم

مصلحة الانسان وتكون خيراً للانسان إذا كانت مقرونة مع الدين الصحيح . فالمال مثلاً إنما يكون خيراً وسعادة إذا كان بيد انسان متدين يؤمن بالمبدأ والمعاد ويتقيد بحدود الدين في كسب المال وصرفه . أما المال إذا كان بيد الملحد الأباحي المتجرد من كل قيود الدين والعقل والنظام الاجتماعي الانساني فإنه وسيلة هدم وتخريب وشقاء لصاحبه ولغيره ( إن الانسان ليطغى ان رآه استغنا ) . وقال ( ع ) هلك خزان الأموال وهم أحياء . وكذلك الأولاد إنما يكونون خيراً للوالدين وقرة عين لهما إذا كانوا مؤمنين بالله واليوم الآخر وبما فرض عليهم الدين من حقوق الوالدين واحترامهما . أما لو كانوا بخلاف ذلك فهم وبال على الوالدين يرهقونهما طغياناً وكفراً . وهكذا كل شيء في الحياة نافع وخير إذا ساده النظام والدين وما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ولا سعادة في دنيا بلا دين . . وقال تعالى : « فمن تبع هداي فلا يذل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا . . . » ونعود فنقول :

ان الحسين ( ع ) ضحى في سبيل أقدس قضية وأشرف غاية في الوجود ألا وهو الإسلام الذي تعرض لأكبر الأخطار على يد ألد أعدائه وهم الأمويون فكان ( عليه السلام ) بذلك القيام أصدق مثال وأظهر مصداق للشهداء الذين قال الله تعالى فيهم « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » .

ولله در من قال :

كذب الموت فالحسين مخلّد     كلما مرَّت الدهور تجدد

وقال الاستاذ حسين الأعظمي :

شهيد العلا ما أنت ميت وإنما     يموت الذي يبلى وليس له ذكر
وما دمك المسفوك إلا قيامة     لها كل عام يوم عاشورة حشر

وما دمك المسفوك إلا رسالة     مخلدة لم يخل من ذكرها عصر
وما دمك المسفوك إلا تحرر     لدنيا طغت فيها الخديعة والمكر
وهدم لبنيان على الظلم قائم     بناه الهوى والكيد والحقد والغدر

ومجمل القول هو : أن الحسين ( ع ) بثورته المقدسة لم يلقِ بنفسه إلى التهلكة كما يزعمون . .

بل ألقى بها إلى الخلود والسعادة الأبدية والعزة والشرف في الدنيا والآخرة فاحتل المرتبة الاولى في قائمة العظماء العالميين في الدنيا . وأخذ مكانه في الصف الأول من صفوف الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين . . . وحسن أولائك رفيقاً . . فيا ليتنا كنا معه فنفوز فوزاً عظيماً . وبالتالي هدم جدار الخوف من التضحية والعمل الفدائي في سبيل الحق ووضع الأمة والانسانية جمعاء امام مسؤولياتها وامام واجب الحياة السعيدة وطريقها الى العزة والكرامة في الدنيا والآخرة وهي ما أشار إليه ابوه امير المؤمنين ( ع ) من قبل بقوله الخالد : الحياة في موتكم قاهرين والموت في حياتكم مقهورين . . . اي ان الموت دفاعاً عن الحق ودفعاً للظلم هو الحياة الحقيقية الخالدة وان الحياة مع الخنوع والخضوع للطغاة ومع الاستسلام للقهر والطغيان والعبودية هي الموت الحقيقي المقرون بخزي الدنيا وعذاب الآخرة وعلى العموم فإن الحسين ( ع ) معلم الأجيال تعليماً عملياً بأن الحياة الانسانية الكريمة لا تنال الا بالتضحية والعطاء كما يشير إليه قول الشاعر :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى     حتى يراق على جوانبه الدم

* * *



# لماذا امتنع الحسين من البيعة ليزيد بن معاوية ؟

**قوله تعالى :**

« إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يدُ الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً » .

البيعة لغة من البيع ضد الشراء . وفي الاصطلاح العرفي اعطاء المحكومين ثقتهم للحاكم وانتخابهم له وقبولهم به حاكماً وأميراً .

وفي الشرع ومنطوق الآية الكريمة عبارة عن معاهدة وميثاق مع الله تعالى يوقعها المسلم بواسطة النبي ( ص ) أو نائبه الشرعي . معاهدة وعقد وميثاق على الطاعة والانقياد والعبودية الكاملة في كل ما يأمر به وينهي عنه على لسان أنبيائه وحججه . ومرجع هذا المعنى إلى المعنى اللغوي السابق أي البيع ضد الشراء فالبيعة تعني بيع الانسان نفسه لله تعالى على حد قوله سبحانه ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . . . فالمبايع للنبي ( ص )

أو نائبه يعني سلم نفسه وارادته بيد المبايع له مقابل قيام الأخير باداء واجبه تجاهه من تبليغ وإرشاد وتنظيم على أكمل وجه وكل اخلال أو تقصير بلوازم هذه البيعة وهذا الميثاق من الطرفين يعد خيانة لله تعالى كما أن تنفيذ مقرراتها والالتزام بشروطها يؤتى الأجر العظيم في الدنيا والآخرة . . .

وعليه فيجب على المبايع أن لا يمد يد البيعة إلا بعد التحقق والتأكد حتى يعرف إلى من يمد يده ومِنْ مَن يبيع نفسه ولمن يسلم مقدراته ومقدرات أمته ومجتمعه . لله تعالى أم للشيطان ، للحق أم للباطل ، للعدل أم للجور ، للوفاء والصدق أم للخيانة والكذب ، إن البيعة في عصرنا الحاضر عبارة عن الانتخاب أو قريبة منه فكل صوت يعطى للمرشح للرئاسة أو النيابة هو بمثابة البيعة معه فإذا كان المرشح شيطاناً من شياطين الانس يكون مثله مثل شيطان الجن ابليس . ان قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك .

**والخلاصة** : إن البيعة في الدنيا على قسمين بيعة حق وهداية ، أو بيعة باطل وضلال لأن هناك شروطاً وصفات يجب أن تتوفر في المبايع له حتى تكون البيعة بيعة حق وهداية وقد لخص تلك الشروط والصفات الإمام علي (ع) في خطبة له من نهج البلاغة فقال :

ولقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين : البخيل فيكون في أموالهم نهمه ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الخائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة». وعلى ضوء كل ما ذكر يظهر جلياً الجواب الكافي عن السؤال القائل لماذا لم يبايع الحسين (ع) يزيد بن معاوية . . ؟

وحاصل الجواب هو أن يزيد لم يكن أهلاً لأن يبايع من قبل أي مسلم كان فضلاً عن الحسين ( ع ) المسلم الأول في عصره وسيد شباب أهل الجنة . بل أن يزيد لم يكن مسلماً بالمرة فكيف يبايع بامرة المؤمنين وخليفة على المسلمين فإن كفر يزيد وزندقته والحاده واستهتاره بكل القيم والمقدسات أشهر من الشمس في رابعة النهار ولقد أجمع المؤرخون وأهل السيرة على أن يزيد بن معاوية كان فاسقاً فاجراً خماراً سكيراً يضرب بالطنبور ويلعب بالفهود والقرود فرضه أبوه معاوية خليفة على المسلمين بقوة السيف مع علمه بفساده حيث كان يقول لولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي . واليك تصريحات بعض الخبراء بيزيد من الأولين والآخرين .

## من هو يزيد بن معاوية :

ولنبدأ بكلمة الحسين ( ع ) نفسه عن يزيد التي قالها بمحضر واليه على المدينة الوليد بن عتبة وبمحضر قريبه مروان بن الحكم فلم ينكر عليه أحد منهما . فقال ( ع ) . . . ويزيد رجل فاسق فاجر شارب للخمر قاتل للنفس المحرمة معلن بالفسق والفجور ومثلي لا يبايع مثله . وقال أيضاً . . . لمروان لما أشار عليه بأن يبايع يزيد . . . قال إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام إن قد بليت الأمة براع مثل يزيد بن معاوية .

## آراء العلماء الأقدمين والمعاصرين في يزيد :

وهذا عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة الصحابي الجليل ورئيس وفد أهل المدينة إلى الشام بعد قتل الحسين ( ع ) فلما عاد إلى المدينة جمع الناس في مسجد الرسول ( ص ) وقال أيها الناس قد جئناكم من عند رجل يترك الصلاة ويشرب المسكرات وينكح الامهات والأخوات ويلعب بالقرود والكلاب وإذا لم نخلع بيعته

أخشى أن نقذف بالحجارة من السماء .

وهذا الحسن البصري العالم والنابغة المعروف بزهده وعلمه قال في معرض بيان جرائم معاوية العظيمة الموبقة التي لخصها في أربعة ، وهي : اغتصابه الخلافة . ثم استلحاقه زياد بن سميه بأبيه أبي سفيان ثم قتله لحجر بن عدي الكندي وأصحابه . وأخيراً فرضه لابنه يزيد الخمير السكير خليفة على المسلمين بعده . . . ويشارك اللاحقون من العلماء من سبقهم في الرأي في يزيد . فهذا مثلاً العالم والفيلسوف الشهير ابن خلدون يدعي الاجماع على فسق يزيد وفجوره من قبل كافة علماء المسلمين . ثم هذا الفيلسوف الآخر المعروف بالتفتازاني يحكم بجواز لعن يزيد ولعن أتباعه فيقول بالنص في كتابه شرح العقائد : الحق ان رضا يزيد بقتل الحسين (ع ) واستبشاره به وإهانته أهل بيت النبي ( ص ) مما تواتر معناه ونحن لا نتوقف في شأنه بل في إيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه .

وقال ابن حزم العالم المعروف قال في رسائله ما نصه : قيام يزيد بن معاوية كان لغرض الدنيا فقط فلا تأويل له فهو بغي مجرد .

وقال الجاحظ بالحرف : المنكرات التي اقترفها يزيد من قتل الحسين وحمله بنات رسول الله سبايا وقرعه ثنايا الحسين بالعود وإخافته أهل المدينة وهدمه للكعبة المشرفة . تدل على القسوة والغلظة والنصب والحقد والبغضاء والنفاق والخروج عن الايمان فالفاسق ملعون ومن نهى عن شتم الملعون ملعون .

وهذا القدر من آراء الشخصيات العظام والعلماء الأعلام في سقوط يزيد عن مستويات الانسانية وانحطاطه إلى أسفل درك الشقاء والوحشية والرذيلة يكفي للدلالة على أن الحسين (ع ) عمل بما

يفرضه الواجب الاسلامي والانساني عندما امتنع من إعطاء البيعة ليزيد وأبى أن يعترف بشرعية خلافته .

قال الاستاذ المسيحي الكبير جورج جرداق في كتابه ( علي وعصره ) : نشأ يزيد في الاسرة الاموية التي كانت تنظر إلى الاسلام كحركة سياسية قامت طلباً للرئاسة والملك والزعامة بدليل قول زعيم تلك الاسرة أبو سفيان بن حرب عند دخول الرسول إلى مكة قال للعباس بن عبد المطلب لقد أصبح ملك أبن أخيك عظيماً . فقال له العباس ويلك يا أبا سفيان إنها النبوة . فقال أجل . ولا بد لهكذا حركة أن تنتقل من أسرة إلى أسرة . واجتمع إلى هذه النشأة جهل وتحلل وعدم الشعور بالمسؤولية لذا كانت نتيجته العبث والمجون . وهكذا عرف يزيد بالادمان على شرب الخمر واللعب بالكلاب والقرود وذكر أنه سابق قرداً فسقط عن فرسه سقطة كان فيها هلاكه لعنه الله وكان يلبس كلابه الكثيرة أساور من ذهب وخلاخل من فضة وأثمن أنواع الحرير والدمقس فيما كانت السياط من عماله تلهب ظهور الفقراء والكادحين لجمع الضرائب والخراج والجزية منهم . . . انتهى ما قاله جرداق . . .

**الشعر يدين يزيد :**

ولا بأس أن نستمع إلى بعض ما نظمه الشاعر الكبير الاستاذ بولس سلامة في ( ملحمة الغدير ) عن هذا المخلوق الحقير يزيد بن معاوية لعنه الله .

قال يخاطب المؤذن :

رافـع الصوت داعيـاً للفلاحِ أخفض الصوت في أذان الصباح
وترفق بصاحب العرش مشغولاً عن الله بـالقيـان المـلاح
ألفُ ( الله أكبر ) لا تساوي بين كفي يـزيـد نهلة راح

تتلظى في الكأس شعلة خمرٍ مثل أجِّ اللهيب في المصباح
عنست في الدنان بكراً فلم تدنس بلثمٍ ولا بماءٍ قراح

إلى أن يقول مخاطباً معاوية :

يا بْنَ هندٍ أبيت إلا يزيداً راية للرشاد والاصلاح
أنت رغم العيوب كالليل جنحاً قطرة في هتونه الضحضاح
رغم آثامك الجسامِ بن هندٍ أنت منه كريشة في جناح

وإليك الآن نزراً قليلاً مما حفظه لنا التاريخ من شعر يزيد نفسه المعلن فيه بالكفر والإلحاد والمصرح فيه بفسقه وفجوره واستهتاره بالمقدسات . من باب . من فمك ادينك . . . قالوا كان يقضي ليله ساهراً على موائد الخمر وفي مجلس الغناء . فقيل له يوماً وقد صاح المؤذن بصلاة الصبح الله أكبر . قم يا أمير المؤمنين إلى المسجد لاداء الصلاة . فأنشد يزيد قائلاً :

دع المساجد للعباد تسكنها وقف على دكّة الخمّارِ واسقينا
ما قال ربك ويلٌ للذي شربوا بل قال ربك ويلٌ للمصلّينا
إن الذي شربوا في شربهم طربوا ان المصلّين لا دنيا ولا دينا

وطلع الفجر من ليلة وهو سكران مع الندماء والمغنين ثم طرق سمعه نداء المؤذن حي على الصلاة . فقال اللعين :

معشر الندمان قوموا واسمعوا صوت الأغاني
واشربوا كأس مدام واتركوا ذكر المعاني
اشغلتني نغمة العيدان عن صوت الأذان
وتعوضت عن الحور خموراً بالدنان

ومما ينسب إليه أيضاً لعنة الله عليه قوله :

أقول لصحب ضمَّت الكأس شملهم — وداعي صبابات الهوى يترنم
خذوا بنصيبٍ من نعيمٍ ولذةٍ — فكلٌ وان طال البقا يتصرم

وقال في حفل الترحيب بعبيد الله بن زياد لعنه الله . قال وهو يخاطب ساقي الخمر . . .

أسقني شربةً تروِّي فؤادي — ثم مِلْ بعدها إلى بن زياد
صاحب السرّ والأمانة عندي — ولتسديد مغنمي وجهادي
قاتل الخارجي أعني حسيناً — ومبيد الأعداء والحسَّادِ

وعلى هذا فهل يوجد في العالم دين وضمير وقانون يبيح لانسان أن يعترف بيزيد بن معاوية إماماً لأمة وقائداً لشعب وحاكماً مطلقاً على مجتمع انساني فضلاً عن كونه خليفةً لرسول الله ونائباً عن خاتم الأنبياء ( ص ) ؟. الجواب طبعاً . كلا وألف كلا . . . ومع غض النظر عما تقدم نتساءل . . . هل كان الحسين يسلم على حياته من يزيد لو بايعه وصالحه . .؟ الجواب كلا . بدليل أن الحسن ( ع ) بايع لمعاوية ولم يسلم . ومسلم بن عقيل ( ع ) سلّم نفسه لأبن زياد ولم يسلم . ولله در القائل :

يأبى بنُ فاطمةٍ والسيف في يده — ان ابن ميسون جهراً يعبد الوثنا

وقال الآخر ، مخاطباً الحسين ( ع ) :

وترفّعت يدك الكريمة عن يدٍ — لم تتخذ غير الجريمة مأربا
شُلَّت يَد ترضى ببيعة ظالم — طاغٍ وتخشى أن تثور وتغضبا
فالموت في ظل الكرامة منهل — عذب وميت من يعيش معذبا
يا صارم الحق الصريح تدارك — الدنيا فسيل البغي قد بلغ الزبا
بك نستعين على الطغاة ونزدري — بالنائبات ونستعيد تصلّبا
ونقود ركب الحق لاستقلاله — حتماً وإن تكن المشانق مركبا



# لماذا لم يفعل الحسن ( ع )
# مثل ما فعل الحسين ( ع ) ؟

إن ثورة الحسين ( ع ) تثير التساؤل غالباً حول ما فعله أخوه الحسن ( ع ) من قبل مع طاغية زمانه معاوية بن أبي سفيان من الصلح والمهادنة والبيعة له مع العلم أن كلاً منهما ( عليهما السلام ) إمام معصوم من الخطأ والمعصية فإذا كانت الحكمة والمصلحة فيما فعله الحسين فلماذا لم يفعل الحسن ( ع ) مثله ؟ وإذا كانت الحكمة والمصلحة فيما فعله الحسن ( ع ) فلماذا لم يفعل الحسين ( ع ) مثل فعله . . ؟

**والجواب** : هوأن كلا الفعلين والسيرتين حكمة ومصلحة وحق وصواب ولكن المصلحة والحق والحكمة تختلف صورها ومواردها باختلاف الأحوال والظروف والأشخاص . وأهم تلك الفوارق بين الحالين هو أن فساد الحكم الأموي وتذمر الرأي العام منه في عصر الحسن ( ع ) كان بعد لم يبلغ من الاشتهار والشدة إلى المستوى الذي بلغ إليه في عصر الحسين ( ع ) وعليه فتضحية الحسن ( ع ) بنفسه وأهل بيته حينئذ ما كانت تفسر لدى الرأي العام بأنها ثورة ضد

الفساد والظلم أو انها تضحية في سبيل الدين والمصلحة العامة كما فسرت تضحية الحسين ( ع ) بل كانت تضحية الحسن ( ع ) في ذلك الوقت تفسر غالباً بأنها صراع على السلطة وتنافس وتزاحم وتنازع حول الملك والخلافة . وكانت النتيجة حينئذ فشل قدسية الثورة وعقم تلك التضحية واستفادة العدو منها أكبر فائدة دعائية لنفسه وضد أهل البيت ( ع ) والنتيجة الأسوأ من ذلك هو فراغ الجو وخلوُّ الميدان لمعاوية ولآل أبي سفيان فيطلقون أيديهم هدماً وتحطيماً لكل ما تبقى من اصول الاسلام وأركانه تحت ستار كثيف من الدجل والتضليل والخداع . . . فهل ترى بعد كل هذا حكمة ومصلحة للإسلام والمسلمين في تلك التضحية لو قام بها الحسن ( عليه السلام ) . . ؟

**أجل** : إن السنوات العشرين التي استولى فيها معاوية على مقاليد الملك والسلطة المطلقة بعد أمير المؤمنين ( ع ) وبعد صلح الحسن . نعم تلك السنوات هي التي ملأ فيها معاوية وبطانته وأقاربه ملأوا العالم الإسلامي بالظلم والفساد والدمار والخراب وهتك المقدسات وانتهاك الحرمات تماماً كما تنبأ به من قبل رسول الله حيث قال في الحديث المشهور المتواتر عنه ( ص ) : رأيت بني أمية في المنام ينزون على منبري نزو القردة ويضربون وجوه الناس فيردونهم القهقري فأنزل الله فيهم : « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً » .

وعنه ( ص ) قال لكل شيء آفة وآفة هذا الدين بنو أمية . وروى مسلم في صحيحه عن رسول الله ( ص ) حديثاً حول بني أمية جاء فيه : هلاك أمتي على يد هذا الحي من بني أمية . وقال أيضاً ( ص ) : لو لم يبق من بني أمية إلا عجوز درداء لبغت دين الله

عوجا . . . رواه صاحب كتاب صلح الحسن ( ص ٤٥ ) .

وروى البخاري في صحيحه عن النبي ( ص ) أيضاً انه قال هلاك أمتي على يد أغيلمة سفهاء ، ثم فسرها ببني أمية . وذكر ابن حجر عن الحاكم قال كان أبغض الأحياء إلى رسول الله ( ص ) بنو أمية .

ومن المفيد أن نشير هنا إلى ما صرح به بعض الكتاب المعاصرين والسابقين ومنهم الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه أبو الشهداء من أن بني أمية ليسوا من قريش بل ولا من العرب أصلاً وذلك لأن أمية لم يكن ابناً صُلبيّاً لعبد شمس بل كان غلاماً رومياً تبناه عبد شمس على سنة التبني في الجاهلية فعرف به وسمي أمية بن عبد شمس ، ونعود إلى أحاديث الرسول ( ص ) في تلك الأسرة المشؤومة فنقرأ منها هذا الحديث المتواتر وهو قوله ( ص ) : إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولاً ودينه دغلاً وعباده خولاً .

ونكتفي بهذا القدر من الأحاديث النبوية وننتقل إلى أقوال الكتاب الناطق والإمام الصادق علي ( عليه السلام ) في نهج البلاغة حيث يقول في خطبة له في الملاحم :

ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية فانها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها وخصت بليتها وأصاب البلاء من أبصر فيها وأخطأ البلاء من عمي عنها وأيم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي كالناب الضروس تعدم بفيها وتخبط بيدها وتزين برجلها وتمنع درها ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية وقطعاً جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى والله لا يزالون حتى لا يدعون لله محرماً إلا استحلوه ولا عقداً إلا حلوه وحيت لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلا

ودخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم وحتى يقوم الباكيان باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه . . . ( ج ٤ شرح الحديدي ) .

وذكر السيد المقرم رحمه الله في المقتل الكبير عن كتاب ضحى الإسلام لأحمد أمين المصري قوله في ( ج ١ ص ٢٧ ) : الحق إن الحكم الأموي لم يكن حكماً إسلامياً يسوى فيه بين الناس في الحقوق والواجبات ويكافأ فيه المحسن أياً كان ويعاقب فيه المجرم أياً كان وإنما الحكم فيه عربياً والحكام خدمة للعرب وكانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية لا النزعة الإسلامية .

**أقول** : أن تلك الأعوام العشرين التي قبض فيها معاوية على مقاليد الحكم بدون رادع ولا مانع هي التي كشفت الحجاب عن مدى فساد السياسة الأموية الرعناء وأظهرت للناس عمق العداء والحقد الذي يحمله الأمويون ضد الإسلام ونبيِّ الإسلام والمسلمين جميعاً وفي خلال تلك السنوات تيقظ الرأي العام الإسلامي إلى عظيم أخطار البدع والانحرافات التي أحدثها الأمويون منذ أن تسللوا إلى مراكز السلطة والحكم أفراداً وجماعات ابتداء من عهد الخليفة الأول أبي بكر وفيما بعد وفي أعقاب تلك الفترة المظلمة المشؤومة فترة سلطان معاوية صار الفرد المسلم العادي يشعر في قرارة نفسه وأعماق شعوره نفوراً شديداً وكرهاً مريراً تجاه الجهاز الأموي الحاكم خليفةً وعمالاً وولاةً وبطانةً . فكان الشعب المسلم ينظر إليهم كعصابة لصوص وقطاع طريق وجلادين لا هم لهم إلا نهب الأموال وسلب الحقوق واغتصاب الاعراض وسفك الدماء والتمادي في المتع الحقيرة وإشباع الشهوات . وغير ذلك مما لا يسع المقام وصفه حسب ما هو مسطور في كتب التاريخ والتراجم ، وليس أدل على نقمة المسلمين وتذمرهم من حكامهم الأمويين من هذه الأبيات لشاعر عاش تلك الفترة القاسية وهو عبد الله بن همام السلولي حيث

يقول :

فـإن تـأتـوا بـرملة أو بهنـدٍ　　نـبـايعـهـا أميـرة مـؤمنـينـا
إذا ما مات كسرى قام كسرى　　نـعـدُّ ثـلاثـة متـنـاسقينـا
فيـا لهفـاً لـونَّ لنـا الـوفـا　　ولكن لا نعـود كمـا بـدينـا
إذاً لَضُـرِبتمـوا حتى تعـودوا　　بمكـة تلعقون بهـا السخينـا
حُشينا الغيضَ حتى لو شربنا　　دمـاء بني أميـة مـا روينـا
لقـد ضـاعت رعيتكم وأنتم　　تصيـدون الأرانب غـافلينـا

ففي البيت الأول منها يبين أنه قد ضاعت موازين الخلافة الإسلامية ومقاييسها بحيث لو جاءتنا رملة أو هند أبنتا معاوية المعروفتان بالمجون والفسوق لوجب علينا نحن المسلمين أن نبايعهن بالخلافة عن الرسول والإمرة على المؤمنين . لأننا إن رفضنا قتلنا .

وفي البيت الثاني يقول أن الخلافة الإسلامية تحولت إلى ملك وراثي تماماً كالنظام الملكي عند الأكاسرة ملوك الفرس قبل الإسلام كلما مات كسرى الأب قام كسرى الابن مقامه . وهنا كذلك مات عثمان كسرى الأمويين الأول الذي جعل الدولة الإسلامية بما فيها من خيرات ملكاً خاصاً له ولأسرته الأمويين ، قام كسرى الثاني مقامه وهو معاوية ثم مات فقام كسرى الثالث مقامه وهو يزيد . فالنظام نفس النظام مع الاختلاف في الأسماء والعناوين فقط . . . وباقي الأبيات ظاهرة المعنى واضحة الدلالة على مدى النقمة التي كان يكنها المجتمع الإسلامي والكبت الذي كان يشعر به من رعونة الحكام واستهتارهم . فجاءت ثورة الحسين (ع) تعبيراً كاملاً عن شعور ذلك الشعب المكبوت وتجسيداً حقيقياً لآمال ورغبات تلك الأمة المضطهدة . فكانت القلوب معها تؤيدها وتبارك خطاها . . .

وأُعطيت صفة الثورة التحررية المثالية بين جميع الثورات في العالم . . .

أما في عصر الحسن (ع) وبعد أبيه أمير المؤمنين حيث كان معاوية بعد لم يصل إلى الخلافة العامة والسلطة العامة ولم يظهر أمام الرأي العام على حقيقته الفاسدة وواقعه الخبيث فإن الأمر كان يختلف عنه في عصر الحسين (ع) ويزيد اختلافاً كبيراً . ولذا يجزم الخبراء بأن صلح الحسن (ع) مهد الطريق لثورة الحسين (ع) وهيأ لها الجو والمناخ الملائم لتبرز إلى الوجود كأقدس ثورة إنسانية في العالم وأظهر مصداق لصراع الحق ضد الباطل وأعظم جولة في معركة الخير مع الشر في حياة البشرية من أولها إلى آخرها . كما أنها أي ثورة الحسين (ع) اثبتت للرأي العام ان الدافع الحقيقي لسلوك أهل البيت (ع) انما هي المصلحة العليا للإسلام والمسلمين وليست المصالح الشخصية .

أجل : كل هذه الصور المثالية التي اكتسبتها ثورة الحسين (ع) تعود في جملة ما تعود إليه من عوامل وأسباب إلى صلح الحسن (ع) مع معاوية وبعد هذا كله يمكننا أن نقول بأن الحسنَ والحسين (عليهما السلام) كانا واجهتين لرسالة واحدة واجهةُ التخطيط والتمهيد التي أبرزها الحسن (ع) بصلحه ومسالمته ثم واجهةُ التطبيق والتنفيذ التي أبرزها الحسين (ع) بقيامه ونهضته . وتضحيات الحسن (ع) في سبيل اداء سهمه من الرسالة وحصته من المسؤولية لم تكن قليلة ولا بسيطة . بل كانت تضحيات شاقة وغالية كثيراً . إنها تضحيات أعصاب وعواطف ، تضحيات قلب وفكر وروح ، فصلوات الله وسلامه عليك يا أبا محمد بما صبرت واحتسبت وأثابك الله أجر الصابرين . ورحم الله شيخنا الأصفهاني حيث يقول :

زكت ثمار العلم بالزكي — أكرم بهذا الثمر الجني
أعطاه جده نبيُّ الرحمة — سؤدده وعلمـه وحلمـه
يهنيك يا أبا الولاة السادة — وقادة الخلق إلى السعادة
بمن تسامى شرفاً ومجداً — أخـاً وأمـاً وأبـاً وجـدّاً
بشراك يا حقيقة المثاني — بواحد الدهر بغير ثاني
بالحسن المنطق والبيان — ومن حوى بدايع المعاني
من رشحات بحر علمه الخضم — جرت ينابيع العلوم والحكم
وحلمه له المقام السامي — في حلمه ظلت أولو الأحلام
وصبره العظيم في الهزاهز — يكاد أن يلحق بالمعاجز
من حلمه أصابه من البلا — ما لا تطيقه السماوات العلا
رضاه فيما كان لله رضا — قضى على حقوقه بما قضى
وسلمه في موقع التسليم — من رشحـات قلبـه السليم

* * *



# لماذا لم يقم بالسيف أحد من الأئمة (ع) بعد الحسين (ع) ؟

من الأخطاء التي وقع ويقع فيها بعض الناس هو القياس في سلوك الأنبياء والأوصياء فإذا أحد منهم قام بعمل بارز وحساس بحيث يعجبهم ويتلائم مع رغباتهم وأفكارهم . فحينئذ يتوقعون من الآخرين أيضاً أن يفعلوا نفس ذلك الفعل ويقوموا بمثل ما قام به فلان لأنه أعجبهم ووافق أهوائهم . وعلى هذا الأساس يقولون :

لماذا لم يقم أحد من الأئمة بثورة مسلحة بعد الحسين (ع) ومن ثم رفض بعض المسلمين إمامة أي إمام لم يقم بالسيف ضد أعداءه فالإمامة عندهم مشروطة بشرط الكفاح المسلح ولذا فهم يعترفون بأمامة علي (ع) ثم الحسن (ع) ثم الحسين (ع) ثم زيد بن علي بن الحسين (ع) وابنه يحيى بن زيد وهكذا اما زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق فليسوا عندهم من الأئمة لأنهم لم يقوموا بالسيف . وهؤلاء الطائفة الزيدية الموجودون بكثرة في اليمن وغيرها .

والواقع أن هؤلاء وأمثالهم يظنون أن مصلحة الأمة دائماً تدور

مدار استعمال السيف والكفاح المسلح وجوداً وعدماً فالإمام الذي لا يقوم بهذا الكفاح لم يخدم مصلحة الأمة . غافلين عن أنّ استعمال السيف هو علاج اضطراري ومن باب آخر الدواء الكي . فهذا رسول الله ( ص ) مثلاً لم يستعمل السيف إلا بعد مضي ثلاثة عشر سنة أو أكثر من بدء الدعوة وبعد أن اضطر لاستعماله دفاعاً عن النفس وفي وجه أناس كان موقفه معهم موقف حياة او موت . وبعده الإمام أمير المؤمنين ( ع ) أغمد سيفه خمساً وعشرين سنة وصار يدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتي هي أحسن وأخيراً اضطر إلى استعمال السيف ضد أناس فشلت معهم جميع الوسائل السلمية . وبعده الإمام الحسن ( ع ) الذي جرّد السيف في بدء الأمر ضد العدو ولكن لما ثبت لديه أن الكفاح السلمي والحرب الباردة في ذلك الظرف وفي تلك الأحوال أنجح وأنفع للمصلحة العامة والإسلام من السيف . ترك الحرب وجنح للسلم والمصالحة .

فالغرض أنه لا شك في أن مصلحة الحق والدين ليست منحصرة في الحرب بالسيف وفي الثورة الدموية دائماً. بل في بعض الأحيان والأحوال وفي حالات شاذة نادرة . فالحق لا يفرض بالسيف والعقيدة لا تركز بالقوة . ودين الله لا يقوم على الاكراه والإجبار وقد ذكرنا فيما سبق أن ظروف الحسين ( ع ) كانت ظروفاً شاذة انعدمت فيها كل وسائل الدعوة السلمية ولم يجد الحسين ( ع ) معها بداً من أن يقوم بحركة غريبة ومدهشة لجلب الرأي العام والفات الأنظار وتحريك الضمير الانساني . وقد تحقق كل ما أراده بحركته وبقي استغلال ذلك النتاج وصيانة تلك الثمرة بالبيان والتوجيه ورعاية تلك المكاسب بالدعم الفكري والعلمي والعملي . وهذا هو بالذات كان دور الأئمة ( ع ) من أبنائه بعده وقد قاموا به على أحسن ما يرام وأتم

ما يكون . فالحسين ( ع ) وجّه بثورته الأفكار ولفت الأنظار إلى عدالة قضية أهل البيت ( ع ) وإنهم مع الحق والحق معهم وإن خصومهم مع الباطل . ولكن يا ترى ما هي تفاصيل تلك القضية أي قضية أهل البيت وما هو مفصل هذا الحق الذي لهم ومعهم وما هو وجه الخلاف بينهم وبين غيرهم . فهذه التفاصيل والشروح والبيانات للناس قام بها أبناؤه ( ع ) بعده بشتى الوسائل الممكنة لديهم وبذلك ظهر الحق وانتشر على الصعيد الفكري عامة وعلى الصعيد العملي إلى حد كبير نسبةً ، أما إذا قلت لماذا قعدوا عن استعادة حقهم المغتصب ولم يقوموا بثورة لاسترجاع الخلافة والأمرة والحكم ؟.

قلت : إن ذلك لم يكن مقدوراً لهم جميعاً ولم تتوفر لأحدهم الإمكانيات لذلك الغرض . كما لم تتوفر للحسن ( ع ) ولا للحسين ( ع ) كما قدمنا سابقاً وأعني بتلك الإمكانيات اللازمة لاسترجاع الخلافة من أيدي الغاصبين . الأعوان والأنصار بالقدر اللازم والعدد الكافي والنصاب الشرعي المعروف وهو النصف من عدد العدو وحسب نصوص الآية الكريمة سورة الأنفال آية ٦٧ « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين » .

وكان النصاب الموجب للقتال قبل هذا . هو العشر كما في صريح الآية الكريمة التي قبلها « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا . . . » .

فكان النصاب المبرر للقتال أولاً هو العشر ثم نسخ وصار النصف من قوة العدو ولا شك في أن النصاب الشرعي بصورتيه الأولى والثانية لم يحصل لأحد الأئمة ( عليهم السلام ) بعد النبي

( ص ) سوى علي بن أبي طالب ( ع ) فإنه الوحيد من بينهم الذي حصل على النصاب المذكور وتمكن من القيام واستحصال حقه . وأما الباقون فلم يحصلوا على أعوان وأنصار حتى بمقدار النصاب الأول وهو العشر فضلاً عن النصف . فالحسن ( ع ) مثلاً بقي بعد خيانة الجيش في أهل بيته وعدد قليل من الأصحاب والأنصار لا يتجاوزون المائة رجل وفي قباله معاوية ومعه ستون أو سبعون ألف مقاتل . فأي توازن وأي تقارب بين القوتين : لذلك سقط عنه تكليف الجهاد الشرعي ولم يبق أمامه إلا التضحية والشهادة أو الصلح والمهادنة . فاختار الصلح لأنه كان أصلح يومئذ وأنفع لمصلحة الإسلام العليا من التضحية حسب ما فصلناه سابقاً . فراجع . وكذلك الأمر مع الحسين ( ع ) كما تعلم حيث بقي في نيف وسبعين رجل في مقابل سبعين ألف من الأعداء . ولكنه ( ع ) آثر الشهادة والقيام بعمله الفدائي الخاص نظراً لظروفه الخاصة حسبما فصلناه سابقاً .

وأما باقي الأئمة ( عليهم السلام ) فحالهم لم تختلف عن حال الحسن والحسين ( ع ) بل ربما كان أشد وأحرج . يلتفت ذلك الرجل إلى الإمام الصادق ( ع ) وهو يمشي معه في ضواحي المدينة فيقول له يا سيدي كيف يجوز لك السكوت والقعود عن حقك وأنت صاحب هذا الأمر وابن رسول الله ( ص ) . فسكت عنه الإمام الصادق ( ع ) حتى مر بهم راعٍ يسوق قطيعاً من الغنم فقال له الإمام ( ع ) يا فلان كم تعد هذا القطّيع فقال الرجل لا أدري فقال ( ع ) والله لو كان لي أنصار عدد هذا القطيع لنهضت بهم . فعطف الرجل على القطيع فعده فإذا هو سبعة عشر رأس .

ودخل سهل بن الحسن الخراساني عليه ذات يوم وقال : يا ابن رسول الله لا يجوز لك القعود عن حقك ولك في خراسان مائة

ألف رجل يقاتلون بين يديك من شيعتك . فقال له الإمام الصادق (ع ) وأنت منهم يا سهل فقال نعم جعلت فداك يا سيدي فقال له اجلس فجلس ثم أمر الإمام (ع ) الجارية وقال يا جارية اسجري التنور فسجرته حتى صار اللهب يتصاعد من فم التنور فالتفت الصادق (ع ) إلى سهل الخراساني وقال يا سهل أنت من هؤلاء الذين ذكرت أنهم يطيعون أمري فقال نعم سيدي أفديك بروحي . فقال (ع ) قم وادخل في هذا التنور . فقال سهل أقلني أقالك الله يا بن رسول الله فقال (ع ) قد أقلتك فبينا هم كذلك إذ دخل أبو هارون المكي (ره ) . فسلم فردَّ (عليه السلام ) وقال له :

يا أبا هارون أدخل في التنور ، فقال له سمعاً وطاعة ثم ألقى نعله وشمَّر عن ثيابه ودخل في التنور فقال الإمام (ع ) يا جارية اجعلي عليه غطاءه فغطته ، ثم التفت الإمام (عليه السلام ) الى سهل بن الحسن وصار يحدثه فقال سهل إأذن لي يا سيدي أن أقوم وأنظر ما جرى على هذا الرجل ، فقال (ع ) نعم . ثم قام ومعه سهل وكشف الغطاء عن التنور وإذا أبو هارون جالس على رماد بارد ، فقال له الإمام أخرج فخرج صحيحاً سالماً لم يصبه أي أذى فقال (عليه السلام ) يا سهل كم تجد مثل هذا في خراسان ؟ فقال سهل ولا واحد يا ابن رسول الله .

وهذه العملية هي كرامة ولا شك أظهرها الإمام الصادق (ع ) عبر بها عن أن أهل البيت إنما هم بحاجة إلى جيش عقائدي يطيع الأوامر الصادرة إليه من الإمام (ع ) مهما كانت لا يعرف التردد والهزيمة ولا يفكر بغير الشهادة أو الغلبة لثقته التامة بالإمام (ع ) واعتقاده الراسخ المتين بأن أوامره من أمر الله ورسوله وهو أعرف بالصالح والفاسد والحق والباطل من جميع الناس فهم بحاجة إلى هكذا جيش متوفر لديهم قدر النصاب الشرعي على الأقل وقبل القيام

بالحركة أو الثورة . لكي لا تتكرر نكسة صفين أو مأساة كربلاء أو نكبة الحسن على يد جيشه يوم ساباط .

وخلاصة الكلام : هو أن نقول أما القيام لأجل أخذ حقهم في الخلافة وانتزاع السلطة من أيدي الظالمين فإنه كان مستحيلاً عادة بالنسبة لهم لعدم توفر الشرائط واللوازم الضرورية لمثل هذا القيام لديهم وأهمها الأنصار والأعوان المخلصون . غير أنهم كانوا يدعمون معنوياً ومادياً وفكرياً قدر استطاعتهم كل الثورات الحرة والحركات الاصلاحية التي كانت تقوم بين حين وآخر ضد الأمويين أو العباسيين مثل ثورة أهل المدينة على يزيد لعنه الله ، وثورة زيد بن علي بن الحسين على عبد الملك بن مروان ، وثورة المختار الثقفي في الكوفة وثورة محمد ذو النفس الزكية على المنصور العباسي وبعدها ثورة أخيه إبراهيم أحمر العينين على المنصور أيضاً وغيرها .

وأما القيام لأجل التضحية والشهادة مثل قيام الحسين ( ع ) فإنه لم يكن ضرورياً في عصرهم لأن وسائل الأعلام والدعوة إلى الحق وطرق إتمام الحجة وتبليغ الرسالة لم تنعدم كلياً في عصر الأئمة ( ع ) كما انعدمت في عصر الحسين ( ع ) حتى اضطر إلى القيام بالابلاغ والاعلام عن طريق التضحية والشهادة . فالإمام الباقر ( ع ) والإمام الصادق ( ع ) مثلاً قاما بأوسع حركة إعلامية مستطاعة في ذلك العصر عن طريق المدرسة والتدريس ونشر العلم واستقطاب العلماء وتربية ثلةٍ من الشباب المؤمن بالتربية الإسلامية وبثهم في الأقطار والأمصار يبشرون ويرشدون ويعلّمون . فكان عصرهما ( عليهما السلام ) أحسن عصور الإسلام ازدهاراً بالعلم والمعرفة وتقدم الثقافة وكثرة المدارس والمجالس العلمية . وبقي الحال على هذا الوصف بل وازداد تقدماً وازدهاراً إلى عصر الإمام الرضا ( ع ) والجواد ( ع ) . . . وهما اللذان كوّنا بجهودهما وبمعونة المأمون

العباسي وتعاون المجتمع معهما كونا من المسلمين أساتذة للعالم الغربي اليوم بكل علومه واكتشافاته المدهشة .

قال ابن الوشا دخلت إلى جامع الكوفة في أيام الرضا ( ع ) فرأيت تسعمائة شيخ يحدثون ويدرّسون ويقولون حدثنا جعفر بن محمد ( ع ) .

وفي الختام نكرر القول بأن خدمة المصلحة العامة ونصرة الحق ومكافحة الباطل والظلم ليست في الحرب دائماً . بل الأمر يختلف باختلاف الظروف والأحوال والحرب الدموية هي آخر وسيلة يفكر بها المصلحون المخلصون لأمتهم وللصالح العام بعد اليأس من الوسائل السلمية وإلى هذا يشير حيث يقول الإمام علي ( ع ) في كلماته القصار : رأي الشيخ أحب إليَّ من جلد الغلام .

وإلى هذا يشير المتنبي الشاعر في أبياته المعروفة فيقول :

| | |
|---|---|
| الرأي ثم شجاعة الشجعان | هو أول وهي المحل الثاني |
| فإذا هما اجتمعا لنفس حرةٍ | بلغت من العلياء كل مكان |
| ولربما طعن الفتى أعداءه | بالرأي قبل تطاعن الأقران |
| لولا العقول لكان أدنى ضيغم | أدنى إلى شرف من الانسان |

وقد جاء في الحديث الشريف قوله ( ص ) :

« مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء . . » .

* * *



# هل يمتاز الحسين ( ع ) على سائر الأئمة ( ع ) في الصفات التي اشتهر بها ؟

يعرف الحسين ( ع ) لدى الرأي العام بصفة الثورية والصلابة والشجاعة واباء الضيم فهل هذا يعني أن الحسين كان متفوقاً على سائر الأئمة ( عليهم السلام ) في هذه الصفات أو أن غيره من الأئمة ( عليهم السلام ) أو بعضهم على الأقل كان محروماً من هذه الصفات ؟ . . الجواب : كلا . . .

فالواقع هو أن الأئمة الاثني عشر الذين أولهم علي بن أبي طالب ( ع ) وآخرهم المهدي المنتظر ( ع ) كلهم في مستوى واحد من حيث جميع الفضائل الكمالية والصفات الانسانية ومكارم الأخلاق . وهم بمجموعهم يفوقون كافة الناس في التحلي بالفضائل والكمالات . أي ليس في العالم مثلهم بعد الرسول ( ص ) ولا نظير لهم في أي فضيلة أو كمال نفسي . لأن ذلك شرط العصمة ولازمها . وقد ثبت بدليل العقل والنقل أنهم معصومون ولا يكفي في تحقق العصمة لشخص ما أن يكون مؤمناً صالح العمل والسيرة

والأخلاق فحسب بل يجب أن يكون أيضاً فوق مستوى الناس في العلم والايمان والعمل الصالح ومكارم الأخلاق . ومن ثم يستحق منصب الإمامة على الناس . ومن شواهد ذلك قول الخليل بن أحمد العالم النحوي عندما سئل ما الدليل على إمامة علي ( ع ) بعد رسول الله ( ص ) دون سائر الصحابة فقال الدليل استغناؤه عن الكل واحتياج الكل اليه . . . وهذا الدليل يجري بالنسبة إلى باقي الأئمة الأحد عشر من أبنائه أيضاً وهو أمر يفرضه العقل والمنطق والعدل . إذ أنه لو وجد شخص آخر في عصر الإمام المعين هو مثل الإمام ومساوي له في الفضل والكمال يكون حينئذ تقديم أحدهما على الآخر للإمامة والقيادة باطلاً عقلاً لأنه ترجيح بلا مرجح .

أما إذا وجد من هو أفضل من الإمام وأرفع مستوى في العلم والقدرة والعمل فتقديم الإمام عليه أقبح عقلاً وأشد بطلاناً لأنه من باب تقديم المفضول على الفاضل . أو تقديم الفاضل على الأفضل وهو فاسد . فالله تعالى إنما اختار علياً ( ع ) وأبناءه الأحد عشر المعروفين للخلافة عن الرسول الأكرم ( ص ) ولقيادة الأمة بعده علماً منه تعالى بأن هؤلاء هم أكمل الناس وأفضلهم جميعاً إيماناً وعلماً وعملاً . وأشار تعالى في كتابه العزيز إلى أن ملاك الإمامة والامارة إنما هي في الأفضلية لا غير . فقال تعالى : « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال تعالى : « أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون » . وقال تعالى: « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ، وقال تعالى : « لا ينال عهدي الظالمين » .

وقد نص الإمام أمير المؤمنين ( ع ) على هذا الملاك للسيادة والإمامة والأمرة في كلماته القصار فقال أحسن إلي من شئت تكن أميره . واحتج إلى من شئت تكن أسيره . واستغن عمن شئت تكن

نظيره. وقد كشف رسول الله(ص)النقاب عن أن هذا الملاك متوفر ومتحقق في أهل بيته الطاهرين فقال في وصيته العامة قبيل وفاته«أيها الناس لا تتقدموهم فتهلكوا ولا تتأخروا عنهم فتضلوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم . . . » .

وفي بعض خطب الإمام أمير المؤمنين من نهج البلاغة قوله :

لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ، أبداً هم أساس الدين وعماد اليقين بهم يلحق التالي وإليهم يفيء الغالي ولهم خصائص حق الولاية وفيهم النبوة والوراثة . .

وقال ( عليه السلام ) في مقام آخر : نحن صنائع ربنا والخلق بعد صنائع لنا . أي أن كمالهم من كمال الله سبحانه وكل كمال وصلاح وفضل يوجد في الناس فهو من طهرهم وفضلهم وصلاحهم ( ع ) وبعبارة أخرى إنهم تربية الله تعالى والصالحون من الناس تربيتهم هم ( صلوات الله عليهم ) .

فالغرض أن أهل البيت ( ع ) أفضل الخلق وأكملهم بعد جدهم رسول الله ( ص ) وأما هم وفيما بينهم فلا تفاضل ولا امتياز لأحدهم على الآخر في هذا الأصل أي أصل الكمال والعصمة . نعم قد يوجد تفاضل بينهم ولكن باعتبارات ثانوية كالأبوة والبنوة مثلاً .

ولعلك تقول :

إذا كان الأمر كذلك فلماذا عرف واشتهر بعضهم في بعض الصفات الكمالية دون الآخرين . كالإمام علي ( ع ) مثلاً الذي عرف بالبطولة والشجاعة والإمام الحسن ( ع ) الذي عرف بالحلم والصبر وكظم الغيظ والإمام الحسين ( ع ) الذي عرف بإباء الضيم والثورية

والشدة مع العدو والإمام زين العابدين الذي عرف بالعبادة والإمامين الباقر والصادق ( ع ) اللذين عرفا بالعلم . . . وهكذا ؟ .

فنقول في الجواب :

إن السبب في اشتهار هؤلاء بتلك الصفات لا يعود إلى تفوق ذاتي وإلى أن هؤلاء توفرت فيهم هذه الصفات دون الآخرين أو أكثر من الآخرين . كلا . فالشجاعة التي كانت في الإمام علي ( ع ) مثلاً مثلها تماماً كان في الحسن والسجاد والباقر والصادق ( ع ) وغيرهم . وكذلك الحلم الذي كان في الحسن وإباء الضيم والثورية اللذان كانا في الحسين وهكذا وعلى هذا القياس .

وإنما السبب في ذلك أي في اشتهار بعضهم ببعض الصفات الكمالية دون البعض الآخر يعود بصورة رئيسية إلى الظروف الخاصة والمقتضيات الزمنية التي عاشها كل منهم . فالإمام علي ( ع ) عاش فترة خاصة وظروفاً معينة اقتضت منه أن يبرز شجاعته ويظهر بطولته بسبب الحروب التي خاضها دفاعاً عن الإسلام وصيانة له مع الرسول ( ص ) وبعد الرسول ( ص ) وأي واحد من الأئمة ( ع ) لو كان في عصر الإمام علي وفي مثل ظروفه ومسؤولياته لأظهر من الشجاعة مثل ما أظهره الإمام علي ( ع ) .

وأما الحسن ( ع ) فبالعكس فإنه عاش في ظرف كانت مصلحة الإسلام تقتضي منه المسالمة والمصالحة والصبر فلذلك عرف بالحلم .

لكن الحسين ( ع ) كانت ظروفه تفرض غير ذلك أي الاعتماد على الشدة والثورة ورفض أي مسالمة ومصالحة مع حكام عصره لذلك عرف بالإباء والثورية وصلابة العزيمة .

وأي إمام آخر لو كان بمكان الحسين وفي عصره وظروفه لما

كان يعمل ألا ما عمله الحسين ( ع ) وما قام به من الثورة والتضحية حسب ما شرحنا ذلك في بعض الفصول السابقة .

أما عصر الإمام محمد الباقر وابنه جعفر الصادق فإنه كان يتطلب منهما الاعتماد على نشر العلم وبث الوعي العلمي وارسال البعثات العلمية وفتح المدارس والدورات الدراسية لمكافحة الدسائس الفكرية والتطرف العقائدي والفلسفات المادية التي تسربت إلى المسلمين بحكم اتصالهم بالأمم والشعوب الأخرى لذلك فلقد أسسا أكبر جامعة علمية في العالم الإسلامي حيث انتمى إليها أكثر من أربعة آلاف طالب . ومن هنا عرفا بالعلم وكثرة الأحاديث والأخبار التي رويت عنهما . حتى روى راوٍ واحد عن الإمام الباقر ثلاثين ألف حديث وهو جابر الجعفي وهكذا . وكل من الأئمة ( ع ) لو كان بمكانهما وفي مثل ظروفهما لعرف بمثل ما عرفا به ونشر من العلم مثل ما نشر الباقر والصادق ( ع ) .

**والخلاصة** : أن من الغلط الفاحش والخطأ الكبير ما يظنه البعض من أن اشتهار بعض الأئمة ببعض الصفات كانت بسبب ذاتي وملكات خاصة ومواهب فطرية معينة . كلا ليس كذلك . . . فثورية الحسين وإبائه للضيم وشدته مع الأعداء مثلاً ليست ناشئة عن حرارة دموية ومزاج عصبي خاص به ولا من كبت نفسي كما يزعم الكتاب الجاهلون بحقيقة الحسين ( ع ) ومقامه وحقيقة أهل البيت ( ع ) . وكذلك مسالمة الحسن ( ع ) وصفته السلمية وحلمه مع الأعداء لم تكن أثراً لبرودة دمه وهدوء أعصابه ومزاج خاص به حسبما يصوره لنا بعض المتطفلين على الكتابة عن أهل البيت ( ع ) .

بل الحقيقة هو أن كل ما قام به الحسن أو الحسين ( ع ) وغيرهما من أئمة أهل البيت ( ع ) إنما هو ناشىء ونابع عن إرادة الله

وأمره وإيعاز من النبي ( ص ) من قبل خدمة لمصلحة الإسلام العليا وتمشياً مع متطلبات الظرف والأحوال ، إن أهواء النفس والعواطف والغرائز والحالات الفطرية العضوية لا تأثير لها مطلقاً على تصرفات أهل بيت العصمة ( عليهم السلام ) .

إن سيرة أهل البيت وسلوكهم في هذه الحياة كيّفتها الحكمة والمصلحة لا الغرائز والأمزجة وعواطف النفس الحيوانية . وكل حركة أو سكون أو فعل أو ترك وكل وجه من أوجه النشاط قام به أحدهم كان بوحي من الله ورسوله مطابقاً للكتاب والسنة . هذا ما أثبتته الأحاديث الشريفة الصحيحة عن الرسول الأكرم ( ص ) وأكدته التجارب والنتائج الواقعية . فمن الأحاديث المؤكدة قوله ( ص ) : إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض . وقوله ( ص ) في حق علي بن أبي طالب ( ع ) : علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار . وقال ( ص ) في دعائه له يوم الغدير : اللهم والي من والاه وعادي من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيثما دار . وقال ( ص ) في حق الحسن والحسين ( ع ) : هما إمامان قاما أو قعدا .

وأخيراً قوله ( ص ) : مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى .

وهناك أخبار صحيحة ومعتبرة مفادها أن رسول الله خلف لأوصيائه الاثني عشر ( صلوات الله عليهم ) خلف لهم اثني عشر صحيفة لكل إمام منهم صحيفته الخاصة وفيها تكاليفه المفروض عليه القيام بها في دور إمامته . وقد عمل كل منهم على ضوء ما في صحيفته من أوامر ونواهي وأحكام . وهذا ما أشار إليه الحسين ( ع ) في حديث مع الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري لما

دخل عليه وهو في مكة المكرمة وقال له يا بن رسول الله إني لا أرى لك إلا أن تسالم وتصالح يزيد كما صالح أخوك الحسن ( ع ) معاوية من قبل فإنهْ كان موقفاً رشيداً . فقال له الحسين ( ع ) يا جابر إن أخي فعلَ ما فعل بأمر من الله ورسوله وأنا أفعل ما أفعل بأمر من الله ورسوله . . . الخبر . . .

وعلى كل حال فلقد عرف الحسين ( ع ) أكثر ما عرف بصفة الثورية وإباء الضيم . وبلغت شهرته في هذه الصفة حداً كبيراً حتى اعتبره الرأي العام قدوة الأحرار والمثل الأعلى للثوار في العالم وسيد أباة الضيم في التاريخ . فهذا مثلاً العلامة المعتزلي عقد فصلاً في كتابه شرح نهج البلاغة . ذكر فيه المعروفين بإباء الضيم من العرب في الجاهلية والإسلام . ثم يقول في الختام . وسيد أباة الضيم جميعاً والذي علّم الناس كيف يختارون الموت مع العز وتحت ظلال السيوف على الحياة مع الذل هو أبو عبد الله الحسين ( ع ) .

هذا ولا تزال بعض كلمات الحسين مبدءاً وشعاراً يعلنه ويرفعه كل الثوار في كل زمان ومكان . مثل قوله ( عليه السلام ) : « ألا وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما . . . وقوله ( ع ) ألا وأن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منها الذلة . . . وقوله ( عليه السلام ) لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم اقرار العبيد » .

ومما يتحدث به المؤرخون بإعجاب من صفات الحسين ( ع ) هي شجاعته المدهشة التي أبداها يوم كربلاء في ذلك الموقف الرهيب . فقد ورد عن لسان بعض مقاتليه من جيش عمر بن سعد قوله :

والله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده واخوته وأهل بيته أربط

جأشاً ولا أقوى جناناً من الحسين ( ع ) فلقد كانت الرجال تشد عليه من كل جانب فكان يشد عليها فتهزم من بين يديه انهزام المعزى إذا حلّ فيها الأسد وكانوا ينكشفون عنه يميناً وشمالاً كأنهم الجراد المنتشر وقد تكاملوا ثلاثين ألفاً وهو وحيد فإذا أبعدهم عن المخيم عاد إلى موقفه أمام البيوت وهو يكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وذكر أباب المقاتل أن الحسين ( ع ) حمل على الجيش في ذلك اليوم عدة حملات قتل منهم في مجموعها ألفاً وتسعمائة وخمسين رجلاً . حتى صاح عمر بن الحجاج الزبيدي وهو أحد قادة الجيش صاح بالناس مستثيراً لهم عليه قائلاً ويلكم أتدرون لمن تقاتلون هذا ابن الأنزع البطين هذا ابن قتّال العرب احملوا عليه حملة رجل واحد .

هذا كله بالإضافة إلى ما كان يكابده في تلك الحال من العطش الشديد والجهد والإرهاق قالوا كان العطش قد أثر في شفتيه حتى ذبلتا وأثر في لسانه حتى صار كالخشبة اليابسة وأثر في عينيه حتى صار يبصر ما بين السماء والأرض كالدخان وأما آلامه الجسدية والنفسية التي تراكمت عليه حينئذ فإنها تهد الجبال فلقد كان ( ع ) يعاني أشد الآلام النفسية بسبب ثكل الأولاد وفقد الأخوة والأقارب والأصحاب والشعور بالوحدة والاغتراب ومشاهدة النساء والأطفال حيارى مذهوشين مذهولين من تراكم المصائب وألم الضما على أبواب الخيام وداخلها إلى جنب ابنه المريض المسجى على الأرض الفاقد الوعي من شدة السقام . هذا وأكثر من هذا مما يضيق البيان عن وصفه ويعجز اللسان عن ذكره وتفصيله ومع ذلك كله فلقد كان ( عليه السلام ) كما وصفه السيد حيدر الحلي ( ره ) :

ركين وللأرض تحت الكماة رجيف يـزلـزل ثـهـلانهـا

أقر على الأرض من ظهرها إذا ململ الرعب أقرانها
تزيد الطلاقة في وجهه إذا غيّر الخوف ألوانها
وأضرمها لعنان السماء حمراء تلفح أعنانها
ولما قضى للعلا حقها وشيّد بالسيف بنيانها
ترجل للموت عن سابق له أخلت الخيل ميدانها
كأن المنية كانت لديه فتاةٌ تواصل خلصانها
جلتها له البيض في موقفٍ به أثكل السمر خرصانها
فبات بها تحت ليل الكفاح طروب النقيبة جذلانها
وأصبح مشتجراً للرماح تحلّي الدمامنة مرّانها
فما أجلت الحرب عن مثله صريعاً يجبن شجعانها

* * *



# لماذا يوصف الحسين ( ع ) بسيد الشهداء ؟

من المتداول على ألسنة الشيعة أن يصفوا الحسين ( ع ) بسيد الشهداء . . . فهل هذا صحيح ومنطقي ؟

نقول . أجل : لأن كلمة ( شهيد ) مصطلح إسلامي خاص يعني ذلك المسلم الذي يقتل في ساحة حرب مع أعداء الإسلام دفاعاً عن الإسلام بشرط أن تكون تلك الحرب بأمر أو إذن من النبي ( ص ) أو الإمام أو نائبه الخاص أو العام .

وحكم هكذا قتيل أن لا يغسل ولا يكفن بل يصلى عليه فقط ويدفن بثيابه التي قتل فيها . ويسمى حينئذ ( شهيداً ) لأنه يبعث يوم القيامة على هيئته التي دفن عليها وبدمائه وجراحاته فيشاهده الناس في المحشر ويعلمون أنه مقتول في سبيل الله تعالى . وقيل في تسميته بالشهيد وجوه أخرى وما ذكرناه أقرب إلى الصواب . وأجر الشهيد عظيم جداً عند الله سبحانه بحيث لا يوجد عمل بعد الإيمان بالله أفضل من الشهادة في سبيله . والشهادة كفارة لكل الذنوب . وهي ارفع وأشرف وسام يتحلى به المؤمن في الدنيا والآخرة والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون .

ولكن ليسوا في الفضل سواء ولا في الأجر والمقام على مستوى واحد . بل يتفاوتون في الفضل والمقام والدرجات حسب تفاوت مواقفهم ونياتهم . فكلما كان موقف الشهيد أشد حراجة وأكثر تأثيراً وأصعب ظروفاً كان أجره أكثر ودرجته عند الله أرفع كما أنه كلما كان موقف الشهيد أكثر اخلاصاً وأبعد عن آمال النصر والغنيمة والربح المادي كان فضله أكثر . فشهداء معركة بدر مثلاً أفضل من شهداء معركة أُحد لهذا السبب بالذات باستثناء حمزة بن عبد المطلب ( عليه السلام ) الذي قتل يوم أحد بعد فرار المسلمين عن رسول الله ( ص ) حتى بقي وحده بين اعدائه لم يثبت معه سوى علي ( عليه السلام ) وحمزة بن عبد المطلب الأمر الذي عرضّ حياة النبي ( ص ) لأعظم الاخطار بل عرض بقاء الإسلام للخطر ولذا استحق وسام السيادة من النبي ( ص ) « فقال سيد الشهداء عميّ حمزة بن عبد المطلب » ونحن إذا علمنا أن موقف شهداء كربلاء يوم العاشر من المحرم فاق مواقف جميع الشهداء في العالم حراجة وشدة ومن حيث النتائج والآثار لصالح الحق . إذ وقف بضع عشرات من الرجال والصبيان وهم عطاشا جياعاً محصورين . أمام عشرات الآلاف من الجنود المدججين بالسلاح والمجهزين بكل وسائل القوة . هذا من حيث حراجة الموقف . وأما من حيث خلوص النية فنحن إذا تذكرنا أن شهداء الطف لم يكن عندهم أدنى أمل ولا أقل احتمال في الغلبة والنصر على العدو ولا في غنيمة أو جائزة أو أي نوع من الربح المادي من وراء ذلك الموقف . ثم إذا عرفنا أن موقفهم أحيا الدين وأبقاه وصانه من المحو وحفظه من خطر الزوال الكلي على يد أعداء الله بني أمية كما شرحنا ذلك مفصلاً فيما سبق .

**أقول** : إذا علمنا بكل ذلك واعترفنا به فحينئذ لا نستغرب

القول بأن شهداء كربلاء وعلى رأسهم سيدهم الحسين ( ع ) هم سادات الشهداء في العالم كله أي أفضلهم مقاماً وأكثرهم أجراً عند الله ورسوله . وإن لقب سيد الشهداء أليق وأجدر بالحسين ( ع ) من كل شهيد آخر الذي له فضله وأجره ومقامه العظيم عند الله تعالى أيضاً .

ولا بد من التنبيه إلى أنه قد تداول بين بعض الذين كتبوا عن الحسين ( ع ) في عصرنا الحاضر أن يعطوا الحسين ( ع ) لقب ( أبو الشهداء ) ولعلهم يظنون أن هذا اللقب أليق بمقام الحسين ( ع ) من لقب ( سيد الشهداء ) وهو ظن خاطىء لأنه لا تلازم بين كون الشخص أبا الشهداء وبين كونه شهيداً بذاته أيضاً وكثيراً ما يكون شخص أباً لشهداء ولكنه هو غير شهيد وغير حائز على مقام الشهادة الرفيع . فهذا عقيل بن أبي طالب ( رض ) مثلاً قدم تسعة من أبنائه وأحفاده شهداء بين يدي الحسين ( ع ) يوم عاشوراء ولكنه هو لم يكن شهيداً بل مات في المدينة بعد مقتل الإمام أمير المؤمنين ( ع ) ببضع سنوات فهو أبو شهداء وليس بشهيد . ولذا نقول أن لقب أبو الشهداء لا يدل على شهادة الحسين ( ع ) فضلاً عن سيادته على الشهداء وبالتالي لا يُشعر بهذا الشرف الرفيع والمقام المنيع الذي فاز به الحسين ( ع ) بالإضافة إلى أنه ( ع ) محور للشهداء من كل الجوانب فهو الشهيد ابن الشهيد أخو الشهداء وأبو الشهداء والشهادة سمة أبنائه وآله وأحفاده فهم كما قيل فيهم : القتل لهم عادة وكرامتهم من الله تعالى الشهادة ، ألا هلّم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجبا .

من المضحكات المبكيات في عصرنا الحاضر هو التلاعب والتحريف بالمفاهيم الانسانية ومسخ الصفات الفاضلة . ومنه تحريف كلمة الشهيد والتلاعب بمفهوم الشهادة ومسخ صفتها

الانسانية النبيلة . حتى صاروا يطلقون اسم الشهيد على مجرم يقتل بجرمه وهدام يصرع تحت انقاض هدمه وتخريبه وانتهازي وصولي يفقد حياته القذرة في طريق أطماعه وشهواته وعميل للعدو الكافر والمستعمر الظالم يلاقي جزاء خيانته ومتهور طائش يصيبه أثر طيشه وتهوره . وهكذا وإذا كل هؤلاء أو بعضهم يمنحون لقب الشهداء ووسام الشهادة على صفحات الصحف والمجلات وأبواق الدعاية ووسائل النشر .

وسلام الله تعالى على الإمام أبي الحسن علي أمير المؤمنين حيث تنبأ بظواهر هذا العصر فقال في خطبة له ( عليه السلام ) :

سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ولا أكثر من الكذب .

وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته ولا أنفق منه إذا حُرف عن مواضعه ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف .ولا أعرف من المنكر . . .

ولأجل المزيد من الإيضاح نعود إلى أصل الموضوع فنقول أن للإسلام اصطلاحاً خاصاً ومفهوماً مبتكراً لكلٍ من كلمة شهيد . وكلمة سيد . أما المفهوم الإسلامي الخاص لكلمة شهيد هو ما ذكرنا من أنه عبارة عن المسلم الذي يقتل في سبيل الدفاع عن الإسلام في ساحة القتال بأمر من الرسول أو الإمام أو نائبه الخاص أو العام .

ولا بد لي هنا من الاشارة الى ان الاسلام قد يلحق بعض المؤمنين الذين يقتلون في حوادث فردية خاصة يلحقهم بالشهداء من حيث الأجر والثواب في الآخرة اما في الدنيا فلا تجري عليهم احكام الشهيد من حيث الغسل والكفن . وهذا القسم الثاني من الشهداء هم الذين يقتلون بسبب عقيدتهم الحقة وايمانهم بالإسلام كما في

قوله ( ص ) من قتل دون دينه فهو شهيد . . الخ . او يقتلون بسبب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . كما في قوله ( ص ) سيد الشهداء عمّي حمزة . ورجل قام في وجه سلطان جائر فقتله . . .

والخلاصة ان النوع الثاني من الشهادة هي شهادة اعتبارية ترمز الى عظيم الأجر والثواب في الآخرة فقط وبابه واسع وفيه احاديث كثيرة لا يسع المقام تفصيله .

وأما المفهوم الإسلامي الخاص بالنسبة الى كلمة سيد . فهو عبارة عن الأفضلية أو الأكملية في الشيء فسيد العلماء مثلاً أكثرهم علماً وأحسنهم عملاً وسيد الأنبياء هو أكثرهم فضلاً وأكملهم صفات وسيد الأوصياء هو أكثرهم جهاداً وأشدهم عناءً وأحرصهم على حفظ الوصية وصيانة الرسالة . وسيدة النساء . هي أكثرهن تمسكاً بواجبات المرأة وأشدهن حرصاً على القيام بمسؤوليات المرأة أمام الله تعالى والمجتمع . . . وهكذا وعلى هذا القياس .

فملاك السيادة الإسلامية في أي شيء من الأشياء إنما هو في الأكملية والأتمية والأفضلية في ذلك الشيء . ولقد نص القرآن الكريم على تعيين هذا الملاك وهذه القاعدة للسيادة الإسلامية بقوله تعالى : « أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون » وإلى هذه القاعدة يشير الحديث الشريف . اليد العليا فوق اليد السفلى . أي أن المستغني عن الناس بعلمه وعمله وجهده المفيض عليهم من ثمرات علمه ومواهبه ، هو سيد على من هو محتاج فقير إلى الآخرين لتكاسله واهماله . على حد القول المأثور لأمير المؤمنين ( ع ) : « أحسن إلى من شئت تكن أميره . واحتج إلى من شئت تكن أسيره واستغنِ عمن شئت تكن نظيره » وبهذا الملاك استدل الخليل بن أحمد على سيادة الإمام أمير المؤمنين على كافة الناس بعد رسول الله ( ص )

لما سئل ما دليلك على إمامة علي بعد الرسول(ص)دون سائر الصحابة. فقال استغناؤه عن الكل واحتياج الكل اليه كما ذكرنا سابقاً. والخلاصة هي أن السيادة في أي شيء إنما تدور مدار الكمال الذاتي في صفات ذلك الشيء . والشهداء أيضاً طبقة من الناس في العالم قاموا بعمل التضحية بالحياة في سبيل الله تعالى فنالوا صفة الشهادة . فالحسين (ع) هو الفرد الأكمل والمثل الأعلا في القيام بهذه التضحية كما قدمنا . لذلك استحق مقام السيادة بين كافة الشهداء وهو أمر طبيعي منطقي ليس فيه مبالغة ولا مغالاة .

هم أفضل الشهداء والقتلى الأولى  مدحوا بوحي في الكتاب مبين

وقال الآخر :

فماتوا وهم أزكى الأنامي نقيبةً  وأكرم من يبكي له في المحافل
ولم تفجع الأيام من قبل يومهم  بأكرم مقتول لألئم قاتل

* * *

# لماذا هاجر الحسين (ع) من المدينة ؟

**قوله عز من قائل :**

إن الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً . . . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوّاً غفوراً . .

الهجرة لغةً عبارة عن ترك بلد الاقامة إلى غيره والانتقال من الوطن لآخر . وهي تارة تكون واجبة واخرى تكون مباحة وربما تكون محرمة حسب اختلاف الغاية من الهجرة والنتائج المترتبة عليها من باب أن المقدمة تتبع لذيها في الحكم الشرعي فإذا كانت الهجرة لغرض طلب علم ضروري أو أداء واجب أو التخلص من ارتكاب محرم فالهجرة حينئذ واجبة وتركها يوجب اللوم والعقاب كما في الآية الكريمة السابقة . حيث نزلت في لوم جماعة من المسلمين الذين تخلفوا عن رسول الله (ص) في مكة ولم يهاجروا

إلى المدينة فكانوا مضطهدين في مكة من قبل قريش في أنفسهم ودينهم بعيدين عن معرفة الأحكام والآيات التي كانت تنزل على رسول الله ( ص ) جاهلين بشرائع الإسلام وتفاصيله فكانوا بذلك مقصرين ومعاقبين حسب صريح الآية الكريمة السابقة وهذا الحكم ساري المفعول بالنسبة إلى كل مسلم يعيش في بلد يضطهد فيه ولا يسعه القيام بواجباته ومسؤولياته ولا يحصل فيه على حقوقه المشروعة فإن الواجب عليه أن يهاجر إلى حيث العلم والأمان والحرية الدينية وإلا فهو من الأعراب المذمومين في الكتاب والسنة . لأن الأعرابي في المصطلح الشرعي هو كل من يعيش في بلد جاهلاً لا يمكنه فيه التعلم والعمل الصالح وقيامه بمسؤولياته الشخصية والاجتماعية . . . قال تعالى : « وقالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم . . . الاعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله » . وفي الحديث الشريف ستة أصناف من الناس يدخلون النار بست خصال . الأمراء بالجور والعلماء بالحسد والتجار بالخيانة والدهاقين بالكبر وأهل الرساتيق بالعصبية والاعراب بالجهل . . .

والجهل لا يرفع المسؤولية عن الإنسان إلا إذا كان قاصراً عن المعرفة أي عاجزاً عنها حقيقة وواقعاً كالذين استثنوا في الآية الكريمة بقوله تعالى : « إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً . . . » .

## الواجب والحرام من أقسام الهجرة :

وإذا كانت الهجرة لعكس الغرض السابق أي لأجل القيام بعمل محرم من ظلم أو غصب أو ما شاكل ذلك أو أن يعلم بأن

هجرته إلى ذلك البلد تفوّت عليه واجباً ويضيق عليه هناك في عقيدته ودينه فالهجرة حينئذ تكون محرمة بل مجرد السفر الموقت لأمثال هذه الغايات الفاسدة يكون حراماً مثل السفر للصيد لهواً أو في ركاب ظالم وما أشبه ذلك وهو معبّر عنه في عرف الفقهاء بسفر المعصية وإذا كانت الهجرة لأمر راجح مثل التجارة المباحة والتوسع في طلب العلم وزيارة المشاهد المقدسة والحج المندوب . فالهجرة مستحبة والسفر في هذه الغايات أيضاً مستحب . وإذا كانت لأمر مرجوح شرعاً تكون الهجرة مكروهة كالانتقال من المدينة إلى القرية ومن البلد إلى البادية حيث لا تتوفر فيها وسائل السعادة والراحة وفي النهي عن هكذا هجرة يوصي أمير المؤمنين ( ع ) ولده الحسن ( ع ) في وصيته الكبيرة قائلاً يا بني ( واسكن الأمصار العظام ) أي المدن الواسعة الكبيرة لأنها أجمع للوازم الحياة السعيدة ووسائل الراحة . وقد أكد الإمام الصادق ( ع ) ذلك في الخبر الوارد عنه حيث يقول فيه لا يستغني أهل كل بلد عن ثلاث : فقيه ورع ، وطبيب حاذق ، وحاكم عادل وإن عدموا ذلك فهم همج رعاع . أي لا يشعرون بالكرامة الانسانية ولا يتمتعون بلذة الحياة . فالفقيه للتوجيه والتعليم والحاكم للتنفيذ وإقامة النظام والطبيب للوقاية والعلاج من الأمراض وهذه النواحي الثلاثة هي دعائم الحياة السعيدة والسعادة الاجتماعية : العلم والصحة والأمان . . .

## هجرة الأنبياء ورجال الأصلاح :

فالخلاصة أن الهجرة من المواضيع التي تخضع لكافة الأحكام الإسلامية الخمس الوجوب والحرمة والندب والكراهة والإباحة حسب ما ينتج منها من نتائج . وبعد هذا العرض الموجز للهجرة ككل نأتي إلى هجرة الانبياء ( ص ) لأننا نجد الهجرة تكاد أن تكون ظاهرة ملازمة لحياتهم الرسالية فقل أن نجد نبياً لم يهاجر من بلد إلى بلد

ولم ينتقل من محيط إلى آخر فهذا خليل الرحمن ابراهيم (ع ) بعث في العراق ثم هاجر إلى مصر ثم انتقل إلى الشام وفلسطين واستقر بها إلى أن مات ثم من بعده يعقوب وأولاده ثم موسى الكليم هاجر من مصر إلى مدين ثم عاد اليها ثم هاجر نحو الشام . وهذا عيسى (ع ) بن مريم كان لا يستقر في بلد حتى لقب بالمسيح وأخيراً خاتم الأنبياء محمد ( ص ) هاجر من مكة أولاً إلى الطائف ثم هاجر إلى المدينة واستقر بها إلى أن قبض . ثم هاجر وصيه وخليفته علي (عليه السلام ) من المدينة إلى الكوفة .

فالهجرة إذاً ظاهرة مألوفة في حياة الأنبياء والمرسلين والمصلحين فلماذا هاجر هؤلاء ومن أي قسم من أقسام الهجرة كانت هجرتهم ؟. طبعاً وبدون شك أن هجرة الأنبياء كانت واجبة ومفروضة عليهم من الله سبحانه تمشياً منهم مع متطلبات رسالته . حيث كانوا لا يجدون القدرة الكافية في أوطانهم على تبليغ رسالاتهم نظراً للعراقيل والعقبات التي وضعها المعارضون في طريقهم ولما كان يتهددهم من خطر القتل على أيدي أعدائهم قبل أداء وتبليغ دعوتهم لذا كان لازماًعليهم أن يتركوا الأوطان إلى بلاد أخرى يستطيعون فيها القيام بمسؤولياتهم .

## سيرة الحسين امتداد لسيرة الأنبياء :

والحسين (ع ) وإن لم يكن نبياً إلا أنه قام بمهام الأنبياء وصبر كما صبر أولو العزم من الرسل مسؤوليته امتداد لمسؤولية جده وأبيه حيث أُنيطت به مسؤولية اداء رسالة الإسلام وصيانتها من كل زيف وتحريف كما صرَّح هو (ع ) بتحمله لهذه المسؤولية بقوله في عهده لأخيه محمد بن الحنفية . . . وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد

( ص ) أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي . . . فهو إذاً شعر بأنه مسؤول عن أن يسير بسيرة جده المصطفى وأبيه علي المرتضى .

فهاجر ( عليه السلام ) من المدينة فراراً من كيد آل أبي سفيان ومؤامراتهم ضده تماماً كما هاجر جده محمد ( ص ) قبله بستين عاماً من مكة فراراً من كيد أبي سفيان وحزبه . السبب في الهجرتين واحد والغاية واحدة . فالنبي ( ص ) هاجر خوفاً من القتل المحتم الذي كان ملاقيه لو لم يهاجر وذلك على يد أربعين رجلاً من قريش بتدبير من أبي سفيان وحزبه الذين عزموا على قتل محمد ( ص ) تلك الليلة المعبّر عنها بليلة الهجرة بقصد قتل الرسالة الإسلامية في مهدها ومنع انتشارها .

**التشابه بين هجرة الحسين ( ع ) وهجرة جده محمد ( ص ) :**

كذلك الحسين ( ع ) هاجر من المدينة ليلاً خوفاً من أن يقتل على يد أعوان وعمال يزيد الذي أرسل أوامره المشددة إلى واليه على المدينة يأمره بقتل الحسين ( ع ) فوراً وبدون تردد وإرسال رأسه إليه إن هو لم يبايع . وذلك أيضاً لخنق صوت المعارضة في مهدها ومنعها من الانتشار .

وكما أن هجرة محمد ( ص ) أنتجت توسعاً كبيراً في الرسالة المحمدية في أنحاء الجزيرة العربية وبلغ صداها إلى أنحاء أخرى من العالم وبعدها ببضع سنوات فقط انهارت زعامة أبي سفيان تماماً بفتح مكة . . .

كذلك كانت هجرة الحسين ( ع ) فإنها كسرت الحصار الذي ضربه آل أبي سفيان حول المعارضة الحسينية فعلى صوتها وبلغ صداها إلى أنحاء العالم الإسلامي وما مضت عليها إلا بضع سنوات

حتى انهار سلطان آل أبي سفيان وتقوضت أركان الدولة السفيانية وانهارت انهياراً كلياً بموت معاوية الثاني بعد ثلاثة أشهر من موت يزيد ثم قامت على أنقاضها دولة مروانية بقيادة مروان بن الحكم . وكل ذلك بعد هجرة الحسين (ع) بأقل من خمس سنوات .

حقاً ما أقرب الشبه وأشد التطابق والتقارب بين الهجرتين في العوامل والثمرات . . . بل وحتى في الحالات النفسية ، فليلة الهجرة كانت أشد ليلة على النبي (ص) مرَّت في حياته من حيث الهموم والأفكار والقلق النفسي حتى أنزل الله تعالى عليه سكينته وهو في الغار حسب صريح الآية الكريمة (سورة التوبة ٤٠) : « . . . إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها . . . » وكذلك الحسين (ع) حيث يصف الواصفون أن ليلة هجرته من المدينةكانت أشد الليالي عليه في حياته لما كان يعانيه تلك الليلة من الحيرة والقلق والتفكير في المستقبل والمصير . لذا كان (عليه السلام) يتردد على حرم جده رسول الله (ص) يناجي ربه ويشكو إلى جده ما يعانيه ويقول في مناجاته مع الله سبحانه بعد أن صلَّى ركعات في الحرم ثم رفع طرفه نحو السماء وقال . . . اللهم إن هذا قبر نبيك محمد (ص) وأنا ابن بنت نبيك وقد حضرني من الأمر ما قد علمت اللهم .إني أُحبُّ المعروف وأنكر المنكر وأسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه إلا اخترت لي ما هو لك رضى ولرسولك رضى . . . ثم بكى (عليه السلام) . . . ووضع رأسه على قبر جده وقال يا رسول الله أنا الحسين بن فاطمة فرخك وابن فرختك وسبطك الذي خلفتني في أمتك فاشهد عليهم يا نبي الله انهم قد خذلوني وضيعوني ولم يحفظوني وهذه شكواي اليك حتى ألقاك . . . قالوا وغفت عينا

الحسين ورأسه على قبر النبي ( ص ) فرأى جده رسول الله في كتيبة من الملائكة عن يمينه وشماله وبين يديه فضم الحسين إلى صدره وقبّله ما بين عينيه وقال له حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرملاً بدمائك مذبوحاً بأرض كربٍ وبلاءٍ بين عصابةٍ من أمتي وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى وظمآنٌ لا تروى وهم بعد ذلك يرجون شفاعتي لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة .

حبيبي يا حسين إن أباك وأُمك وأخاك قدموا عليَّ وهم مشتاقون إليك . فبكى الحسين ( ع ) في منامه وقال يا جداه خذني معك وأدخلني في قبرك فلا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا . . .

ضُمني عندك يا جداه في هذا الضريح
علني يا جدي من بلوى زماني أستريح
ضاق بي يا جدُّ من رحب الفضا كل فسيح
فعسى طود الأسى يندك بين الدكتين

فقال له الرسول ( ص ) يا بني لا بد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة لتنال ما قد كتبه الله لك من الأجر والثواب العظيم . فانتبه الحسين ( ع ) وقص رؤياه على أهل بيته فاشتد حزنهم وكثر بكاؤهم حتى ورد عن سكينة بنت الحسين ( ع ) قالت لم يكن في شرق الأرض وغربها أهل بيت أشد خوفاً وهماً وغماً منا آل بيت رسول الله ( ص ) . ولله در السيد حيدر الحلي حيث قال :

من أين تخجل أوجه أموية ... سكبت بلذات الفجور حيائها
ما بل أوجهها الحيا ولو انها ... قطع الصفا بل الحيا ملسائها
قهرت بني الزهراء في سلطانها ... واستأصلت بصفاحها امرائها
ملكت عليها الأمر حتى حرّمت ... في الأرض مطرح جنبها وثوائها
ضاقت بها الدنيا فحيث توجهت ... رأت الحتوف أمامها وورائها
فاستوطنت ظهر الحمام وحولت ... للعز عن ظهر الهوان وطائها


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# لماذا حمل الحسين (ع) عياله وأطفاله في هجرته الثورية؟

في نهضة الحسين (ع) نقاط استفهام كثيرة لدى شبابنا اليوم لأنها نهضة فريدة في نوعها وغريبة في فصولها ومراحلها حسب مظهرها الخارجي. هذا ولا يسعهم تفسيرها بأعمال تهورية عاطفية وحملها على خلوها من الحكمة والمصلحة. لا يسعهم ذلك طبعاً لأن الذي قام بها رجل أقل ما يقال فيه أنه شخصية عالمية كبيرة خالدة ذو حكمة ودهاء استطاع بحكمته وسياسته أن يؤثر في مجرى التاريخ الإسلامي ويخلد لنفسه ذكراً رفيعاً واسعاًعبر القرون والأجيال هذا فضلاً عن أنه إمام معصوم من الخطأ والغلط حسب النصوص النبوية الشريفة. فإذاً لا بد أن تكون هناك حكمة وراء تلك التصرفات وهي كذلك بالفعل. وها نحن نتعرض لأهم تلك النقاط بالبحث والتحليل لنوقف أبناء جيلنا الأعزاء على أسرار تلك الثورة المقدسة والتضحية المثالية رجاء أن يتأثروا بها ويستوحوا مبادئها وأهدافها ويسيروا على أضوائها وهديها المبارك إن شاء الله تعالى.

تحدثنا في الفصول السابقة عن أول حلقة في سلسلة الحركة الحسينية وهي : لماذا عارض الحسين (ع) خلافة يزيد وأعلن العصيان والخلاف على حكومة الأمويين القوية المسيطرة بكل وسائل القوة والقدرة أعلن ذلك بامتناعه من البيعة ليزيد بن معاوية رغم ضعفه (ع) مادياً وعسكرياً إلى أقصى حدود الضعف .

وتحدثنا أخيراً حول الحلقة الثانية في تلك السلسلة وهي . . . لماذا ترك الحسين (ع) مدينة جده رسول الله (ص) وهاجر عنها وهو أشرف إنسان فيها وأعز فردٍ على أهلها . . .

والآن نبدأ بالحديث عن ثالث نقاط الاستفهام . والسؤال حولها . وهو : لماذا حمل الحسين (ع) معه النساء والعائلة والأطفال وهو خارج في معارضة دولة ومكافحة حكومة فعرّض تلك العقائل للأسر والسبي والتشريد وغير ذلك ؟

والجواب عن هذا السؤال : هو أن الحسين (ع) حامل رسالة هو مسؤول عنها وعليه أن يؤديها إلى العالم الإسلامي وخرج من المدينة لهذه الغاية فلو كان قد ترك العائلة في المدينة لعرض تلك العقائل لخطر الأسر والسبي من قبل الأمويين ومعلوم أن الرجل الغيور لا يسعه الصبر مهما كان وهو يرى عائلته في أسر العدو لا بد له حينئذ أن يستسلم للعدو لأجل أنقاذ عياله وقد كان من صور الارهاب في سياسة الأمويين أنه إذا هرب رجل من قبضتهم يلقون القبض على نسائه وعائلته حتى يضطر فيسلم نفسه إليهم . كما فعلوا بزوجة عمرو بن الحمق الخزاعي لما هرب من الكوفة عندما طلبه زياد ليقتله فكتب معاوية إليه أن احمل إليّ زوجته فألقى زياد القبض على زوجته آمنة بنت رشيد رحمهما الله وحملها أسيرة إلى معاوية فأمر بها إلى السجن فسجنت حتى جيء برأس زوجها عمرو إلى الشام بعد أن

ألقي القبض عليه في غارٍ قرب الموصل من قبل والي معاوية عليها . وطعن بتسع طعنات ثم قطع رأسه وحمل على قناةٍ إلى معاوية في الشام فقال معاوية للحرسي انطلق بهذا الرأس وضعه في حجر زوجته آمنة واحفظ ما تقول فلم تشعر وهي في السجن إلا ورأس زوجها عمرو في حجرها فضمته إلى صدرها وبكت وقالت غيبتموه عني طويلاً وأهديتموه إليَّ قتيلاً فأهلاً وسهلاً بها من هدية غير قاليةٍ ولا مقلية ثم قالت للحرسي أبلغ معاوية عني ما أقول وقل له أيتم الله ولدك وأوحش منك أهلك ولا غفر لك ذنبك وعجّل لك الويل من نقمه وطلب منك بدمه فلقد جئت شيئاً فريّاً وقتلت باراً تقيّاً . فلما سمع كلامها أمر بإحضارها في المجلس فأحضرت وصار يشتمها ويتهددها . . .

وكما فعلوا بزوجة المختار بن أبي عبيدة الثقفي لما هرب من سجن ابن زياد فألقى القبض على زوجته وزجها في السجن إلى أن اجتمع قومها عنده وتشفعوا فيها فأطلقها .

والشواهد التاريخية على هذه السياسة اللاإنسانية عند الأمويين واتباعهم كثيرة جداً والحسين كان يعرفها منهم تماماً ويعلم يقيناً أنه بمجرد أن يخرج من المدينة. في اليوم التالي يلقي الأمويون القبض على عقائل الرسالة ويحملوهن سبايا إلى يزيد في الشام فكيف يستطيع الحسين (ع) حينئذ أن يؤدي رسالته ويستمر في معارضته وثورته . حتماً كان لا يسعه ذلك أبداً . فالسبي لا بد منه لتلك العقائل سواء أخذهن معه أو أبقاهن فلم لا يأخذهن معه ليأمن الضغط عليه من جهتهن ويؤدي رسالته بحرية واطمئنان ويدافع عنهن ما دام فيه عرق ينبض وهكذا كان فإذا قتل فلقد قضى ما عليه ويبقى ما عليهن . . . هذا احد وجوه الحكمة في عمله هذا والوجه الآخر الذي لا يقل دلالةً على بعد نظر الحسين (ع) وعمق حكمته . هو ان الحسين

(ع) يعرف انه إذا قتل لا يوجد رجل في العالم الإسلامي يمكنه ان يتكلم بشيء ضد سياسة الأمويين مهما كان عظيماً حيث انهم قطعوا الألسن وكموا الأفواه فكان قتله يذهب سدى وقد لا يعرف أحد من المسلمين ما جرى عليه، حيث أن وسائل الاعلام كلها كانت محصورة بأيدي الدولة من شعراء وخطباء ورواة وقصاصين، وفعلاً كان اناس يعيشون في الكوفة ولا يعلمون بما جرى ومن تكلم بشيء فمصيره القتل كما فعل بهاني بن عروة وعبد الله بن عفيف الأزدي. فأراد الحسين (ع) ان يحمل معه ألسنة ناطقة بعد قتله لتنشر أنباء تلك التضحية في العالم الإسلامي ومذياعاً سياراً يذيع تفاصيل تلك المأساة الانسانية والجرائم الوحشية فلم يجد سوى تلك المخدرات والعقائل اللواتي سبين وسُيِّرن بعد الحسين في ركب فظيع مؤلم يجوب الأقطار يلقين الخطب في الجماهير وينشرن الوعي بين المسلمين وينبهن الغافلين ويلفتن انظار المخدوعين ويفضحن الدعايات المضللة حتى ساد الوعي وتنبه الناس إلى فظاعة الجريمة وانهالت الاعتراضات والانتقادات على يزيد والأمويين من كل الفئات والجهات وبات يزيد يخشى الانفجار والانقلاب حتى في عاصمة دولته الشام وصار يظهر التنصل والندم ويلقي التبعة واللوم على ابن زياد وأخيراً اضطر أن يغير سياسته تجاه أهل البيت فأحسن اليهم وأكرمهم وصار يتطلب عفوهم ومرضاتهم بالأموال وغيرها. كل ذلك بفضل الخطب والبيانات التي صدرت من تلك العقائل في المجالس والمجتمعات وبفضل المظاهر المشجية التي سار بها ركب السبايا من بلد إلى بلد ومن مجلس إلى مجلس مما جعل الرأي العام يعطف على قضية أهل البيت (ع) ويشجب جرائم أعدائهم فكان في ذلك نصر كبير لحق آل محمد ونشر للتشيع في العالم. فالواقع الذي يجب أن نؤكده هو أن زينب العقيلة شريكة أخيها الحسين (ع) في ثورته سواء بمؤازرتها له في حياته أو بقيامها بمسؤولية

الدعوة والتوعية بعد شهادته فلولا سبي النساء لكانت ثور الحسين عقيمة الأثر لا تذكر إلا في بطون بعض كتب التاريخ كنبأ بسيط مشوه عن حقيقته تمام التشويه كما شوّه التاريخ قضايا كثيرة هامة جداً لأنها لم تحصل على القدر الكافي في النشر والبيان والتعقيب مثل حادثة يوم غدير خم وقد بلغ من أثر الاهمال والاخفاء لواقعة غدير خم أن بعض الكتاب يذكرها بأنها واقعة من وقائع العرب في الجاهلية . أجل هكذا يضيع الحق ويخفى الواقع إذا لم تتوفر له الدعوة الكافية كقضايا وفاة الرسول الأكرم (ص) وما جرى على ابنته فاطمة وآل البيت بعد وفاته من غصب وهضم للحقوق واعتداء على الحرمات والكرامات . . . وغيرها .

وبعد أن تبينا هذين الوجهين من وجوه الحكمة في حمل الحسين (ع) للعيال معه نختم هذا الفصل بذكر هذا الوجه الثالث وهو لا يقل أهمية عن الوجهين السابقين ألا وهو الحفاظ على حياة الإمام زين العابدين (ع) إذ لا شك في أنه لولا وجود العقيلة زينب (ع) لقتل زين العابدين بعد قتل الحسين (ع) حتماً . حيث تعرض الإمام (ع) للقتل مرتين المرة الأولى يوم عاشوراء لما هجم الأعداء على مخيم الحسين (ع) ودخل الشمر على زين العابدين وهو مريض لا يفيق من شدة المرض فجذب النطع من تحته وقلبه على وجهه ثم جرد السيف ليقتله فانكبت عليه عمته زينب (ع) واعتنقته وصاحت ان أردتم قتله فاقتلوني قبله وبينما هي كذلك إذ دخل عمر بن سعد الخيمة فلما نظر إلى العقيلة زينب منكبة عليه قال للشمر دعه لها فانه لما به فتركه . والمرة الثانية في مجلس عبيد الله ابن زياد لما نظر إلى الإمام (ع) وقال له من أنت قال أنا علي بن الحسين قال اللعين أوليس قد قتل الله علياً فقال الامام (ع) كان لي أخ أكبر مني يسمى علي قتله

الناس يوم كربلاء فقال ابن زياد بل الله قتله فقال الإمام الله يتوفى الأنفس حين موتها فغضب ابن زياد وقال أوبك جرأة على رد جوابي . غلمان جروا ابن الخارجي واضربوا عنقه فقامت الجلاوزة وسحبوا الإمام إلى القتل فقامت العقيلة زينب ( ع ) ورمت بنفسها عليه وصاحب يا بن زياد حسبك من دمائنا ما سفكت فاترك لنا هذا العليل وان كنت قد أردت قتله فاقتلني قبله قالوا فنظر إليها ابن زياد وقال عجباً للرحم أنها والله لتود أن تقتل دونه فاتركوه لها فانه لما به . فتركوه . .

فإن قلت لماذا أخرج الحسين ( ع ) ابنه زين العابدين معه وهو مريض عليل ؟

قلت ان زين العابدين ( ع ) لم يكن مريضاً عند خروجه من المدينة ولا في مكة ولا في أثناء الطريق وإنما بدأ فيه المرض لما نزلوا أرض كربلاء وأخذ المرض يتزايد فيه حتى بلغ معه إلى أقصى شدته يوم عاشوراء وفي ذلك عناية خاصة من الله تعالى وهي أن لا تبقى الأرض خالية من الإمام إذ لولا مرضه ( عليه السلام ) لكان الواجب يفرض عليه الدفاع عن أبيه الحسين ( ع ) والاستشهاد بين يديه .

والخلاصة . . ان في حمل العيال واخراج النساء معه مصالح وحِكم وتلك بعضها أو أهمها وقد أشار الحسين ( ع ) إلى تلك المصالح والحِكم بكلمته الاجمالية المعروفة ( قد شاء الله أن يراهن سبايا ) وهو جواب مقتضب ولم يشأ في تلك الساعة أن يفصح عن الهدف لئلا يستفيد الخصم من كلامه فيكون ذلك حائلاً دون الوصول بالثورة إلى أهدافها . قالها للذين سألوه ما معنى حملك لهذه النسوة . . . فأشاءة الله تعلقت باحياء دينه وحفظ قرآنه وابقاء شريعته . ولما لم تكن هناك وسائل طبيعية لهذه الغاية سوى استشهاد

الحسين وصحبه وسبي زينب ( ع ) وأخواتها لذا فقد تعلقت إرادته سبحانه عرضاً بقتل الحسين وسبي النساء تماماً كما قال الحسين ( ع ) لقد شاء الله أن يراني قتيلاً وقد شاء الله أن يراهن سبايا . ولنعم ما قاله بعض الأدباء :

وتشاطرت هي والحسين بنهضةٍ حتم القضاء عليهما أن يندبا
هـذا بمعترك الـرمـاح وهـذه من حيث معترك المكاره في السبا

ولذلك نجد الإمام أمير المؤمنين ( ع ) اشترط على زوج العقيلة زينب وهو ابن أخيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لما زوّجه بابنته زينب اشترط عليه شرطاً ضمن العقد أن لا يمنعها من الخروج مع أخيها الحسين ( ع ) إلى العراق . وهذا يكشف عن مدى بعد النظر وسعة علم الإمام ( عليه السلام ) بما سيجري وبالمصالح التي تترتب على مشاركة زينب للحسين في ثورته .

ولم تزل تلك العقائل بعد الحسين وعلى رأسهن زينب ( ع ) لم يزلن يؤلبن النفوس ضد الحكم الأموي الغاشم ويهيّجن الرأي العام ضد يزيد بن معاوية وذلك بعقد المجالس وبالندبة وتعداد الجرائم والموبقات التي صدرت من الفئة الحاكمة تجاه آل الرسول .حتى التحقت زينبُ بأخيها فكانت أول لاحقة بالحسين( ع )من أهل بيته فسلام عليها يوم ولدت ويوم شاركت في أقدس ثورة ويوم توفيت مناضلة بطلة ويوم تبعث إلى الله لتشكو إليه ظلم الأمة وغدرها وانقلابهم على الاعقاب . وفي الختام نسأل الباري جل شأنه أن يتغمد شيخنا العلامة الاصفهاني بواسع رحمته حيث يقول في أرجوزة له في العقيلة الكبرى ( ع ) :

مليكـة الـدنيـا عقيلة النسـا عديلة الخامس من أهل الكسا

شريكة الشهيد في مصائبه — كفيلة السجّاد في نوائبه
بل هي ناموس رواق العظمة — سيدة العقائل المعظمة
أم الكتاب في جوامع العلا — أم المصاب في مجامع البلا
رضيعة الوحي شقيقة الهدى — ربيبة الفضل حليفة الندى
ربة خدر القدس والطهارة — في الصون والعفاف والخفارة
ما ورثته من نبي الرحمة — جوامع العلم أصول الحكمة
سرُّ أبيها في علو الهمة — والصبر في الشدائد الملمة
بيانها يُفصح عن بيانه — كأنها تفرغ عن لسانه
فإنها وليدة الفصاحة — والدها فارس تلك الساحة
وما أصاب أُمّها من البلا — فهو تراثها بطفّ كربلا
لكنها عظيمةٌ بلواها — من الخطوب شاهدت أدهاها
وما رأت بالطّف من أهوالها — جلَّ عن الوصف بيان حالها
وَسَوقها إلى يزيد الطاغية — أشجى فجيعةٍ وأدهى داهيه
أمامَها رأس الإمام الزاكي — وخلفها النوائح البواكي
أتوقف الحرّة من آل العبا — بين يدي طليقها واعجبا
وقد أبانت كفر ذاك الطاغي — بأحسن البيان والبلاغِ
حنّت بقلبٍ موجعٍ محترق — على أخيها فأجابها الشقي
« يا صيحةً تحمُدُ من صوائح — ما أهون النوح على النوائح »

* * *

# لماذا توجه الحسين (ع) بهجرته في البداية إلى مكة المكرمة؟

**قوله تعالى :**

**« ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل » .**

هذه الآية الكريمة تمثل بها الحسين (ع) عندما دخل إلى مكة مهاجراً من مدينة الرسول (ص) وذلك في الخامس من شعبان سنة ٦٠ من الهجرة ، وتوجهُ الحسين (ع) بنهضته المباركة إلى مكة وحلولهُ فيها أمر معقول ومشروع للغاية يقره الشرع والعرف السياسي . أما من الناحية الشرعية فإنه يجب على الانسان أن يحل بلداً يمكنه فيه القيام بواجباته مع الحفاظ على حياته ما أمكن ، ومكة المكرمة هي البلد الوحيد في ذلك اليوم الذي يتمكن فيه الحسين (ع) الجمع بين هذين الأمرين معاً . لأنه حرم مقدس ومأمن لكل شيء حتى الحيوان والطير والنبات بنص الكتاب العزيز : « ومن دخله كان آمناً . . . » حتى قاتل النفس المحرمة إذا دخل مكة

آمن على حياته من القصاص . نعم يضيق عليه حتى يخرج عنها ثم يقتص منه .

وأما من الناحية السياسية فإن الحسين (ع ) قائم بثورة فكرية اصلاحية وهي بحاجة إلى أعلام ودعوة وأنصار . ولا شك أن مكة يومئذ أنسب بلد للقيام بذلك كله لأنها مختلف الناس وممر المسلمين من جميع الأقطار وكل حدث يحدث في مكة ينعكس صداه فوراً في كافة الأقطار الاسلامية وتسير به الركبان إلى جميع العالم الاسلامي وكل دعوة تنبثق في مكة سرعان ما تصل إلى اسماع المسلمين في كل مكان . وفعلاً استطاع الحسين ( ع ) بفضل اقامته في مكة أن يبلغ أنباء ثورته على الحكم الأموي إلى أكثر الأقطار ويتصل بكثير من الوجوه والزعماء والوفود . ولذا فقد اجتمع له في خلال تلك المدة بين الستة آلاف والعشرة آلاف رجل وهم الذين تفرقوا عنه أثناء الطريق عندما ظهر لهم غدر أهل الكوفة بالحسين (ع ) وفي خلال تلك المدة تسلم اثني عشر ألف كتاب دعوة من أهل العراق بالتوجه إليهم . وعلى كل حال كان في اقامة الحسين (ع ) في مكة المكرمة دعماً كبيراً لقضيته واعلاناً واسعاً عن ثورته ولكن الذي حدث بعد ذلك وجعل الحسين يضطر إلى الخروج من مكة بكل سرعة واستعجال . هو أن الأمويين قرروا هتك حرمة مكة وانتهاك كرامتها وصمموا على قتل الحسين فيها ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة . واتخذوا لذلك جميع الاجراءات فبعث يزيد جيشاً يتألف من ثلاثين ألف رجلاً فأحاط بمكة خوفاً من أن يقوم الحسين بثورة مسلحة فيها ضدهم وعزل والي مكة وعيّن مكانه عمرو بن سعيد الأشدق المعروف بعدائه الشديد للهاشميين وضم إليه امارة الحرمين مكة والمدينة حيث كان قد عزل والي المدينة أيضاً لتهاونه في أمر الحسين ولم يعجل في قتله قبل خروجه من المدينة . وبالاضافة إلى ذلك كله بعث ثلاثين جاسوساً

اندسوا مع الحجاج « لغرض قتل الحسين » أينما وجدوه ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة . ولو تأخر الحسين ، مع ذلك في مكة لمدة قليلة أخرى لقتل غيلة على يد أولئك الجواسيس ولذهب دمه هدراً وعفي أثر الجريمة تماماً ولأنكر قتله نهائياً وبتاتاً ، ولذهبت ثورته المقدسة أدراج الرياح بدون أثر وقبل أن يقوم بتلك التضحيات التي هزت ضمير العالم وزلزلت العرش تحت أقدام آل أبي سفيان . إن الحسين لم يخرج من المدينة أو من مكة هرباً من القتل من حيث هو لأنه كان يعلم أن مصيره القتل على كل حال خرج أو لم يخرج ولكن هرب من القتل قبل الأوان من القتل قبل اداء الواجب أو قل هرب من قتله عقيمة وهرب أيضاً من شيء آخر ، وهو هتك حرمة البيت الحرام بسببه كما صرح بذلك لبعض المعترضين عليه بالخروج فقال ( عليه السلام ) إني أحب أن أقتل خارج مكة بباع خير من ذراع لئلا أكون الذي تستباح به حرمة هذا البيت وما انتهكت حرمة مكة والبيت الحرام منذ حرمهما الإسلام إلا على يد الأمويين فهم أول من هتكوا الحرمات وسحقوا المقدسات فكره الحسين ( ع ) أن يكون دمه أول دم يسفك في البيت وأول انسان به تهتك حرمة الحرم . لذا خرج يوم التروية أي يوم الثامن من ذي الحجة حيث لم يتمكن من اتمام الحج فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحل من إحرامه وجعلها عمرة مفردة . قال الفرزدق الشاعر حججت بأمي سنة ستين للهجرة فبينا أنا أسوق بعيرها وقد دخلت الحرم وإذا بقطار خارج من مكة فقلت لمن هذا القطار فقيل للحسين بن علي بن أبي طالب ( ع ) فدنوت منه وسلمت عليه وقلت له يا بن رسول الله ما الذي أعجلك عن الحج فقال ( ع ) يا عبد الله لو لم أعجل لأخذت . وقال لسائل آخر إن بني أمية لا يدعونني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي .

**والخلاصة** : لقد أصاب ( ع ) وعمل بمقتضى الحكمة في

توجهه أولاً إلى مكة ثم في خروجه منها بعد أن أحدق به خطر القتل . فهو ( عليه السلام ) بدخوله إلى مكة وإقامته فيها طيلة أربعة أشهر مهد لثورته المقدسة تمهيداً اعلامياً ودعائياً كاملاً . وبخروجه منها حفظ حياته للقيام بمهام الثورة من حيث العمل والتطبيق . وأخيراً فهذه حياة المصلحين الأحرار حياة تشريد ومطاردة وخوف واضطهاد ولله در الحاج مجيد الحلي ( ره ) حيث قال :

أيطيب عيش وابن فاطمة ... نهبت حشاه البيض والسمرُ
تالله لا أنساه مضطهداً ... حتى يضم عظامي القبرُ
ومشرّداً ضاق الفضاء به ... فكأن لا بلد ولا مصر
منع المناسك أن يؤديها ... بمنى فكان قضائها النحر
إن فاته رمي الجمار فقد ... أذكى لهيب فؤاده الجمر
يسعى لاخوان الصفاء وهم ... فوق الصعيد نساءك جزر
ويطوف حول جسومهم وبه ... انتظم المصاب ودمعه نثر
أفديه مستلماً بجبهته ... حجراً إذا ما فاته الحجر

* * *

# كيف وثق الحسين بأهل الكوفة ولماذا خرج اليهم ؟

للشيخ صالح الكواز ( ره ) :

إذا ما سقى الله البلاد فلا سقى     معاهد كوفان بنوء المرازم
أتت كتبهم في طيهن كتائب     وما رقمت إلا بسم الأراقم
لخير إمام قام في الأمر فانبرت     له نكبات أقعدت كل قائم
أن أقدم الينا يا بن أكرم من مشى     على قدم من عربها والأعاجم
فكم لك أنصاراً لدينا وشيعة     رجالاً كراماً فوق خيل كرائم
فودع مأمون الرسالة وامتطى     متون المراسيل الهجان الرواسم
وجشمها نجد العراق تحفه     مصاليت حرب من ذوابة هاشم

يتساءل الكثيرون ممن يستمع إلى سيرة الحسين، ويقول واعجبا كيف وثق الحسين ، بأهل الكوفة واعتمد عليهم في ثورته ولبّى طلبهم وهو من أعلم الناس وأعرفهم بغدر أهل الكوفة وتقلبهم . وقد سبق له أن جربهم مع أبيه علي وأخيه الحسن ، هذا بالاضافة إلى

نصح جملة من خلص أصحابه وأقاربه له بعدم الركون إلى رسائلهم ورسلهم فإنهم قوم غدر وخيانة ؟

ونقول لهؤلاء إن ما فعله الحسين (ع) كان عين الصواب والصحيح في عرف الشرع والسياسة . أما أنه لم ينجح في عمله هذا فذلك بحث آخر سوف نتعرض له في الفصول الآتية تحت عنوان « هل كانت ثورة الحسين ( ع ) ناجحةً أم لا ؟ » أما توجه الحسين ( ع ) يومئذٍ وهو في تلك الظروف إلى العراق كان مطابقاً للشرع والعرف السياسي الصحيح . نقول كان مطابقاً للشرع لأن الشارع الإسلامي يركز أحكامه على الناس حسب ظواهرهم ويعتبر الظواهر هي الحجة والقياس ومناط الأحكام . أما البواطن والخفايا والظنون والأمور الغيبية فلا اعتبار لها في التشريع الاسلامي وإنما أمرها إلى الله والله وحده هو المحاسب عليها يوم الحساب . قال سبحانه وتعالى : « ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا . . . » قيل نزلت في مسلم رفع السيف في بعض الغزوات على مشرك ليقتله فقال المشرك أشهد أن لا إله إلا الله ولكن المسلم مع ذلك ضربه بالسيف وقتله . فبلغ الحادث إلى رسول الله (ص) فدعا بالمسلم وقال له لم قتلته وأنت سمعته يشهد أن لا إله إلا الله . فقال المسلم يا رسول الله أنه قالها خوف السيف لا عن ايمان وعقيدة فقال الرسول ( ص ) : وما يدريك بذلك فهل فلقت قلبه وعرفت كذبه . وعلى أثر هذه القضية نزلت الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً الخ » ( سورة النساء آية ٣ تفسير المنار ج ٥ ) . ونصوص القرآن على حجية الظواهر في الإسلام كثيرة منها قوله تعالى : « إن الظن لا يغني من الحق شيئاً . . . » ، وقوله تعالى : « ولا تقفوا ما ليس لك به علم . . . » ، وقوله تعالى :

« واجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم ولا تجسسوا . . . » ، وأما السنة فأقوال وأفعال . منها قوله ( ص ): أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله فإذا قالوها حقنوا دمائهم وأموالهم وأعراضهم . وأيضاً أحاديث أخرى مضمونها : من تشهد بشهادتنا وصلى إلى قبلتنا . . . فله ما لنا وعليه ما علينا . وأكثر قواعد وأصول الفقه الإسلامي مبنية على الظاهر القائم بالفعل مثل قاعدة : المتهم بريء حتى تثبت ادانته . أو قاعدة لا يجوز القصاص قبل الجناية . وقاعدة اليد وقاعدة الطهارة . وقاعدة الحلية وقاعدة الأباحة . وغيرها . . . فالخلاصة أن الإسلام دين يعامل الناس على الظاهر منهم فعلاً لا على ما يمكن أن يُبدوا او يظهروا احتمالاً . فإذا تحقق هذا ، نقول أن أهل الكوفة أظهروا الولاء والطاعة للحسين ( ع ) بشكل من الاخلاص والالحاح والجدِّية لم يسبق له مثيل وكان اظهارهم لهذا الولاء منذ عصر معاوية وفي حياة الحسن ( ع ) وبعده وتضاعف طلبهم له عند وفاة معاوية ولما بلغهم نبأ وفاة معاوية وامتناع الحسين ( ع ) من البيعة ليزيد وجهوا رسلهم ورسائلهم ووفودهم إلى الحسين ( ع ) وهو بعد في المدينة ولما استقر الحسين في مكة انهالت عليه طلباتهم وكتبهم كالسيل المتدفق حتى تسلم الحسين منهم في يوم واحد ستمائة كتاب وبلغ مجموع كتبهم إلى الحسين ( ع ) خلال مدة اقامة الحسين ( ع ) في مكة بلغ مجموعها إلى اثني عشر ألف كتاب وكل كتاب موقع من قبل رجلين والثلاث والأربع . وكلها تكرر عبارة « اقدم يا بن رسول الله ليس لنا إمام غيرك فلقد اخضر الجناب وأينعت الثمار وإنما تقدم على جند لك مجندة » وكتب له بعضهم قائلاً إن لم تجب دعوتنا وتلبي طلبنا وتتوجه إلينا خاصمناك بين يدي الله يوم القيامة .

فأي حجة أعظم وألزم من ذلك وأي عذر للحسين ( ع ) أمام

الله وأمام التاريخ إذا لم يلبي دعوهم بعد ذلك كله وهل كان يبرر له ذلك أن يقول كنت أظن أو أتوقع منهم الغدر والخلاف ؟ . وهذا الإمام أمير المؤمنين ( ع ) يقول في دستوره الخالد إلى واليه على مصر مالك الأشتر : ( إن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك ) . ومن قبله رسول الله ( ص ) فكم كان يرتب آثار المسلمين وأحكامهم على المنافقين الذين يعلم علم اليقين أنهم كاذبون في كل ما يظهرون ولكن الاسلام يعامل الناس على الظاهر حتى يتبين الخلاف والعكس . والحسين ( ع ) سار حسب ما يقتضيه الشرع ولبّى دعوة أهل الكوفة لما أتموا الحجة عليه بطلباتهم المتكررة ودعواتهم الحارة المتواترة وقد أضيف إلى تلك الحجة عليه حجة أخرى إلا وهي رسائل سفيره ونائبه الخاص مسلم بن عقيل ، الذي بعثه إلى الكوفة ليستكشف حقيقة الأمر أكثر فأكثر ويتعرف على واقع تلك الدعوات عن كثب فكان نتيجة ما قام به مسلم بن عقيل طيلة أكثر من شهرين في الكوفة ان كتب إلى الحسين ( ع ) مؤكداً له استعداد أهل الكوفة للتضحية بين يديه بالنفس والنفيس وبكل غالٍ وعزيز ويستحثه على القدوم إلى الكوفة فوراً . وكان مما قاله في بعض كتبه إلى الحسين ( ع ) : أما بعد فاقدم يا بن رسول الله فإن الرائد لا يكذب أهله ان الناس ينتظرونك وإن الكوفة بأسرها معك . . . فهل ترى أيها القارىء الكريم أي عذر للحسين بعد كل هذا إذا تخلف عن اجابتهم وترك التوجه اليهم ؟ .

وقد صرح هو ( ع ) بالمسؤولية التي توجهت إليه تجاه أهل الكوفة لابن عمه عبد الله بن عباس لما ألح عليه بترك المسير إلى العراق . فقال الحسين ( ع ) يا بن عم لقد كثرت علي كتبهم وتواترت علي رسلهم ووجبت علي أجابتهم .

وأما من الناحية السياسية والحكمة ، فإن الحسين ( ع ) ثائر في وجه دولة قوية وحكومة مسيطرة . وطبعاً لا بد له من قوة كبيرة يستند إليها في هكذا ثورة . والعراق يومئذ أنسب قوة وأكبر سند لمثل تلك الثورة التي عزم الحسين على القيام بها وذلك نظراً إلى مركز العراق الجغرافي وموقعه الاستراتيجي ومناخه الاقتصادي وغيرها من الملائمات التي تميزه عن باقي الأقطار الأخرى. ومن ثم اختارها أمير المؤمنين ( ع ) من قبل مركزاً لقيادته وعاصمة لخلافته ومنطلقاً لحركته الاصلاحية الشاقة الواسعة بعد عهد عثمان الذي أغرق المجتمع الإسلامي بالمفاسد والانحرافات . وقد خرج منها علي ( ع ) بمائة ألف مقاتل أو يزيدون إلى حرب صفين . والخلاصة هي أن الكوفة يومئذ أفضل وأنسب منطلق لكل حركة ثورية لولا عيب واحد فيها فوّت كل مزاياها الثورية ألا وهي حالة التقلب والتلوّن التي امتاز بها أهل العراق عامة وأهل الكوفة خاصة وقد نقل عن لسان كاهنة اليمن في كلمته التي حدَّد فيها صفات الشعوب والأقطار . فقال وأما العراق فشقاق ونفاق وثياب رقاق ودم مهراق . وجاء في بعض وصايا معاوية لابنه يزيد قال وانظر أهل العراق فإن طلبوا منك أن تعزل عنهم في كل يوم والياً وتنصب لهم آخر فافعل لأن ذلك أيسر من أن يخرجوا عليك . ويعزو الخبراء هذه الحالة فيهم إلى احساسهم المرهف وذكائهم الفطري المفرط فهم دائماً وأبداً كانوا مصدر تعب وازعاج للولاة والحكام والأمراء لا يستقيمون إلا تحت وطأة العنف والارهاب والظلم . فهم كما قيل عنهم ( عبيد العصا ) على المدى البعيد . وطلاب الحق والعدل على المدى القريب . سريعو الاقبال وسريعو الادبار .

وعلى كل حال نتساءل بعد كل هذا ونقول لو لم يتوجه الحسين ( ع ) إلى العراق رغم دعوتهم الملحة له فإلى أين كان

يتوجه بعد أن صارت حياته في مكة معرضة للخطر في أي لحظة ولم يتلق دعوة من أي مكان آخر غير العراق فهل كان يبقى في مكة حتى يقبض عليه ويسلم أسيراً إلى يزيد أو يغتال ويقتل غدراً ويذهب دمه هدراً ؟ . .

نعم لك أن تقول لماذا لم يعدل عن الكوفة عندما ظهر له غدرهم به وانقلابهم عليه ؟ فنقول أجل :

لقد حاول العدول عنها بل عدل عن التوجه اليها فعلاً لما التقى بطلائع جيش العدو بقيادة الحر بن يزيد الرياحي . وأيقن بأنه ليس له في الكوفة مكان ولا أعوان ولكن الحر منعه من ذلك وصمم على أن يأخذه إلى عبيد الله ابن زياد أسيراً وبعد محاولات عنيفة وتمانع من الطرفين اتفق الحسين ( ع ) معهم على أن يسلك طريقاً لا يرده إلى مكة والمدينة ولا يدخله إلى الكوفة ليسير على وجهه في أرض الله تعالى إلى حيث ينتهي به السير . وهكذا كان وأخذ الحسين ( ع ) طريقاً وسطاً وصار يتياسر عن الكوفة إلى الغرب متجهاً نحو المدائن بقصد أن يخرج من منطقة نفوذ ابن زياد الذي كان أخبث وأشقى رجل في عمال يزيد وأشدهم عداءاً وبغضاً لآل النبي ( ص ) . فسار الحسين ( ع ) في الاتجاه الجديد والحر وأصحابه يسايرونه على البعد حتى وصل أرض كربلاء وهي أرض على شاطيء الفرات كانت تسمى نينوى والغاظريات ووادي الطفوف فلما وصل ركب الحسين ( ع ) اليها وصل أيضاً رسول من ابن زياد بكتاب منه إلى الحر الرياحي يذكر فيه اطلاعه على ما حدث بينه وبين الحسين ( ع ) ويأمره فيه أن يأتي اليه بالحسين ( ع ) سلماً مستسلماً وإلا فليحبسه عن الرجوع أو المسير وليجعجع به في المكان الذي يصل فيه الكتاب اليه ويخبره بأن حامل الكتاب عين عليه . فدنا الحر عند ذلك من الحسين ( ع ) وأطلعه على الكتاب وقال لا يسعني بعد هذا

أن أدعك مستمراً في سيرك فإما أن تنزل هنا أو نقاتلك فعرض عليه بعض أصحابه القتال مع القوم فقال (ع) اني أكره أن أبدئهم بقتال وسبب هذا (الكره) هو أنه (عليه السلام) كان يأمل فيهم العودة إلى رشدهم والرجوع إلى نصرته والانقلاب على ابن زياد. ولذا كان (عليه السلام) يردد ويكرر الدعوة لهم بالعودة إليه، حتى آخر ساعة من حياته المقدسة... ولكن... قست القلوب فلم تمل لهداية... تباً لهاتيك القلوب القاسية... ثم نزل الحسين وأصحابه في جانب ونزل الحر في ألف فارس في جانب آخر من أرض كربلاء وذلك يوم الثاني من شهر المحرم الحرام سنة ٦١ للهجرة ثم كتب الحر إلى ابن زياد كتاباً يخبره بنزول الحسين (ع) أرض كربلاء فكتب ابن زياد إلى الحسين (ع) كتاباً يقول فيه:

أما بعد يا حسين فقد بلغني نزولك أرض كربلاء وقد كتب إلي أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسد الوثير ولا أشبع من الخمير حتى ألحقك باللطيف الخبير أو تنزل على حكمي وحكم يزيد..

فلما وصل كتابه إلى الحسين (ع) وقرأه رماه من يده وقال لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق. بسخط الخالق. فقال له الرسول الجواب أبا عبد الله فقال (عليه السلام) ليس له عندي جواب فقد حقت عليه كلمة العذاب. فعاد الرسول إلى ابن زياد فأخبره فغضب ابن زياد وجمع الناس في الجامع الأعظم وخطبهم وأعلن النفير العام وقال برئت الذمة ممن وجدناه بعد ثلاثة أيام لم يخرج إلى حرب الحسين بن علي (ع) ويروى أنه جيء إليه بعد الثلاث برجل فقال لِمَ لم تخرج إلى حرب الحسين (ع) فقال أنا رجل غريب من أهل الشام جئت إلى الكوفة في حاجة وغداً خارج عنها فقال ابن زياد وأنت صادق في قولك ولكن في قتلك تأديب للآخرين ثم أمر به فقتلوه. وهكذا ساق الناس إلى حرب الحسين (ع) على الصعب

والذلول حتى اجتمع لحرب الحسين (ع) في كربلاء ثلاثون ألف مقاتل أو يزيدون كلهم من أهل الكوفة ليس فيهم شامي ولا حجازي . . . وحيث أن أهل العراق لا يوثق بهم لذا أخذ يزيد الاحتياط لنفسه حذراً من انقلاب أهل الكوفة على ابن زياد فجهز جيشاً من ستين ألف رجل وبعثه إلى العراق ونزل بالقرب من كربلاء وأرسل قائده إلى عمر بن سعد يعرض عليه استعداده للاشتراك معهم في حرب الحسين (ع) متى أراد وفي ذلك يقول بعض الأدباء :

ملأ القفار على بن فاطمة جندٌ ملأ صدورهم ذحل
جاءت وقائدها العمى وإلى حرب الحسين يسوقها الجهل
بجحافل بالطف أولها وأخيرها بالشام متصل

ونعود فنلخص الجواب ونقول :

أن الحسين (ع) لم يثق باهل الكوفة ولا اعتمد عليهم مطلقاً وانما قام بواجبه الشرعي لأبراء ذمته من المسؤولية امام الله والتاريخ هذا من جهة .

ومن جهةٍ اخرى ان ظروفه (ع) اضطرته إلى التوجه اليهم وتلبية دعوتهم عسى ولعل أن يحصل منهم خير واصلاح . وسبحان الذي يُغيّر ولا يتغير لكن . . . خاب الظن . . . والذي خبث لا يخرج الا نكدا .

* * *

# هل الذين قتلوا الحسين (ع) كانوا شيعة ؟

جاءوا بسبعين ألفاً سل بقيتهم     هل قابلونا وقد جئنا بسبعينا

لقد تعددت الروايات واختلفت الأخبار في عدد أفراد الجيش الذي خرج إلى حرب الحسين (ع) بكربلاء ، والأشهر الأصح منها يتفاوت ويتراوح بين الثلاثين ألف والسبعين ألف مقاتل وقد أجمع المؤرخون على أنهم جميعاً كانوا من أهل الكوفة خاصة ليس فيهم شامي ولا حجازي ولا بصري والمعروف عن أهل الكوفة أنهم شيعة أو يغلب عليهم التشيع لأهل البيت (ع) ومن هنا استنتج بعض الذين كتبوا في الحسين (ع) أن الشيعة هم الذين قتلوا الحسين (ع) بكربلاء ويفسرون أيضاً زيارة الشيعة لمرقد الحسين (ع) بكربلاء وبكاء الشيعة على الحسين (ع) أيام عاشوراء وغيرها من مظاهر الحداد التي يقيمونها اليوم على الحسين (ع) يفسر هؤلاء الكتاب ذلك منهم بأنه ندم وتكفير لما فعله سلفهم وآبائهم من قبل وتعبير منهم عن مدى احساسهم بقبح الجريمة التي ارتكبها الأجداد . . . أقول هكذا قال بعض المعاصرين من الذين كتبوا عن الحسين (ع) . فهل هذا صحيح ؟ . .

**الجواب** : كلاّ . لم يكن في ذلك الجيش الذي اجتمع على حرب الحسين ( ع ) بكربلاء يوم العاشر من المحرم ولا شيعي واحد . بل كان ذلك الجيش خليطاً مؤلفاً من الخوارج ومن الحزب الأموي ومن المنافقين الذين عانى منهم الإمام علي والإمام الحسن من المحن والأذى وأيضاً كان فيهم كثير من المرتزقة الذين كانوا يشكلون جيشاً نظامياً أقامه الولاة للاستعانة بهم على قمع الفتن والحركات الداخلية وكان أكثرهم من الحمر . أي غير العرب لم يعرف لهم نسب ولا حسب ولا مبدأ . وبكلمة واحدة ما كان فيهم شيعي قط .

ودليلنا على ذلك هو : أولاً إن الكوفة كانت علوية النزعة ويغلب عليها التشيع في عهد الإمام علي ( ع ) ولكنها لم تبق على ذلك بعده لأن معاوية وولاته عندما استولوا على الكوفة بعد مقتل الإمام علي ( ع ) قتلوا الشيعة فيها وشردوهم حتى لم يبق فيها في عصر زياد ونجله ، شيعيّ بارز معروف إلا وهو مقتول أو مسجون أو مشرد .

وإن أردت تفصيل ما فعله معاوية بالشيعة في الكوفة وغيرها في عهد خلافته فاقرأ كتب التاريخ والسيرة لتعرف كيف قامت المجازر البشرية ونصبت المشانق وفتحت السجون لابادة الشيعة والتشيع في ذلك العصر المشؤوم حتى بلغ الحال أن الرجل كان يتهم بالكفر والالحاد والزندقة فلا خوف عليه ولكن إذا اتهم بالتشيع لعلي ( ع ) سفك دمه ونهب ماله وهدمت داره وصار مجرد ذكر فضيلة او حديث في فضل علي ( ع ) او عنه جريمةً يعاقب عليها .

كتب معاوية بن أبي سفيان بنسخة واحدة إلى جميع عماله وولاته في الأقطار أن انظروا إلى من يتهم بحب علي ( ع ) فامسحوا

اسمه من الديوان ( أي من كافة الحقوق المدنية والمالية ) ومن قامت عليه البينة أنه من شيعة علي فاقتلوه وانهبوا ماله واهدموا داره . وكان البلاء على الكوفة اشد واعظم فولىٰ عليها معاوية زياد بن ابيه لأنه كان معهم واعرف بالشيعة من غيره فنكل بهم اشد تنكيل .

ولقد حار الخبراء والمتتبعون للتاريخ كيف بقي في العالم شيعة مع تلك الحملات الابادية والاضطهادات والمطاردات التي قامت ضدهم طيلة مئة عام أو أكثر فترة الحكم الأموي وبعده في حين أن بعض الطوائف التي ظهرت في تلك الفترة قد أُبيدت وزالت كلياً لما وجّه إليها بعض ما وجّه إلى الشيعة من الضغط والتنكيل . . . أجل أن المقتضى الطبيعي لما لاقاه الشيعة من أعدائهم ابان الحكم الأموي هو أن لا يبقى للشيعة عين في العالم ولا أثر . ولكن بما أن التشيع هو دين الله الكامل ونوره المبين والحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وشريعة قرآنه المنزل على خاتم أنبيائه محمد ( ص ) . وقد تعهد الله سبحانه وتعالى أن يحفظ دينه ويتم نوره ويحفظ قرآنه ويظهر الحق على الباطل ولو كره الكافرون « أما الزبد فيذهب جفاءاً واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » وها هو التشيع اليوم يعم أقطار الأرض ولا يكاد يخلو منه مكان في العالم . والذين ينتمون إليه اليوم يبلغون مئة مليون أو أكثر من المسلمين، وهذا علي بن أبي طالب الذي كان يشتم ويسب على المنابر الإسلامية طيلة الحكم الأموي ها هو اسمه اليوم على المآذن مقروناً باسم الله وباسم رسوله . يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره المشركون .

**والخلاصة** : لم يبق في عصر الحسين ( ع ) في الكوفة من الشيعة سوى أقلية قليلة هم بقية حملات الابادة والسيف والتنكيل الأموي وكانوا لا يتجاوزون الأربعة أو الخمسة آلاف رجلاً وهم الذين

كان ابن زياد لعنه الله قد ملأ بهم سجون الكوفة ومعتقلاتها بعد ان قتل منهم العشرات امثال ميثم التمار واصحابه التسعة الذين اعدموا في يوم واحد قبل قدوم الحسين (ع) إلى العراق وهؤلاء هم كل الشيعة الباقين في الكوفة يومئذ وهم الذين كسروا السجون بعد أن ترك ابن زياد العراق والتحق بالشام كسروا السجون وخرجوا ثائرين بدم الحسين (ع) بعد قتله بما يقرب من أربع سنوات وقبل ثورة المختار وتوجهوا نحو الشام والتقوا بجيوش الأمويين على نهر الزاب في شمال العراق وقاتلوا حتى قتلوا . وعرفوا في التاريخ بالتوابين . وهي تسمية غير حقيقية حيث لم تصدر منهم خطيئة بالنسبة إلى الحسين (ع) حتى يكون قتلهم في الثأر له توبة عنها بل هم الآسفون على الأصح حيث أسفوا أن يقتل الحسين (ع) ولم يستطيعوا الدفاع عنه وقالوا : (لا خير في العيش بعده) فإذاً اتهام الشيعة بأنهم قتلوا الحسين . لأن أهل الكوفة كانوا في وقت من الأوقات شيعة بمجموعهم أو بأكثريتهم . اتهام باطل لا أساس له وقد عرفت وجه البطلان فيه .

وأما ما نراه اليوم من الأكثرية الشيعية في العراق فانه حدث بعد ذلك وبعد زوال السلطان الأموي الجائر عن العراق والعالم الاسلامي وعلى أثر الحريات التي نالها الشيعة في اكثر فترات الدولة العباسية وببركة العتبات المقدسة ومراقد أهل البيت (عليهم السلام) المنتشرة في أنحاء كثيرة من العراق . ولا تنسى أن الجامعة العلمية التي أسسّها شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي أعلا الله مقامه في النجف الأشرف قبل اكثر من ألف عام كان لها الأثر الكبير في نشر التشيع في العراق وفي أنحاء أخرى من البلاد الإسلامية وذلك بما خرجته هذه الجامعة من فحول العلماء ورجال العلم وأعلام الدعوة وكبار الفلاسفة والمجتهدين ومراجع الدين حتى صارت النجف

الأشرف مهوى أفئدة طلاب العلم والمعرفة وموطن العلماء العظام وعاصمة العالم الشيعي ولا تزال كذلك إلى اليوم وستبقى كذلك إلى الأبد إن شاء الله رغم كل المحاولات التي تبذل للقضاء على قدسية هذه المدينة العلمية المقدسة . وللقضاء على التشيع الصحيح في العراق وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين .

هذا كله بيان لبطلان هذا الاتهام من الناحية التاريخية وعلى صعيد الواقع القائم آنذاك . وأما إذا نظرنا إلى هذه التهمة من الناحية الفكرية وناقشناها على الصعيد العقائدي فإنا نجد التناقض الصريح في مؤداها . لأن التشيع بمعناه الحقيقي وقتل الحسين ( ع ) ضدان لا يجتمعان فقولهم أن الشيعة قتلوا الحسين ( ع ) نظير القول مثلاً بأن المسلمين قتلوا النبي محمد ( ص ) أو قولنا مثلاً بأن الشيوعيين قتلوا ماركس أو لينين . فهل هذا يمكن عادة ؟ طبعاً كلا . لأن معنى مسلم يعني من يقدس محمداً ( ص ) ويحترمه ويضحي بكل غالٍ وعزيز دفاعاً عنه وان الشيوعي يعني ذلك الشخص الذي يقدس ماركس ولينين ويحترمهما إلى أبعد الحدود وينقاد لأوامرهما وتعاليمهما فكيف يمكن أن يقدم على قتلهما مع الاحتفاظ بشيوعيته وهل يعقل أن يقدم انسان على قتل رسول الله ( ص ) وهو في نفس الوقت مسلم ويصدق عليه صفة الإسلام . هذا مستحيل وغير معقول . نعم شخص كان مسلماً ثم ارتدوكفر وقتل محمداً ( ص ) مثلاً هذا يجوز ويعقل . وهكذا الحال بالنسبة الى الشيعي لأن التشيع عبارة عن تقديس الحسين ( ع ) بشكل ليس فوقه تقديس إلا قدسية الله ورسوله والانسان الشيعي هو الذي يؤمن بإمامة الحسين ويعتقد بخلافته عن رسول الله نصاً وعقلاً ويرى الحسين ( ع ) حجة الله على خلقه ووليه في عباده وانه أولى بالمؤمنين من أنفسهم وان مخالفته وعصيان أوامره كفر ومروق عن الدين فضلاً عن قتله وسفك

دمه . فكيف يجتمع هذا المعنى في نفس انسان مع إقدامه على قتل الحسين (ع ) متعمداً وأي تضاد وتهافت وتناقض أقبح من هذا . ولكن ويا للأسف إن الحقد على الشيعة والتعصب ضدهم أعمى البصائر وذهب بالعقول من هؤلاء حتى صاروا لا يتعقلون ما يقولون وأنّي لأتحدّى أي أحد يثبت وجود شخص واحد شيعي بهذا المعنى في صفوف جيش عمر بن سعد الذي حارب الحسين بكربلاء . نعم كان فيهم أناس كانوا سابقاً من الشيعة . أي أنهم حضروا مع الإمام علي (ع ) في معركة الجمل وفي معركة صفين مثل الشمر بن ذي الجوشن الضبابي وشبث بن ربعي وقيس بن الأشعث ومحمد بن الأشعث وغيرهم لعنهم الله ولكنهم ارتدوا بعد ذلك وصاروا خوارج وكفّروا علياً في فتنة رفع المصاحف التي أثارها ابن العاص حسب ما هو معروف وهؤلاء الخوارج هم الذين قاتلهم الإمام علي (ع ) في معركة النهروان فقتل من قتل منهم وانهزم من انهزم وألّف الخوارج طائفة من طوائف المسلمين بعد ذلك وتآمروا على قتل الإمام وقتلوه في الصلاة وهجموا على ابنه الحسن (ع ) يوم ساباط وطعنوه ، وإلى غير ذلك من مظاهر عدائهم لعلي (ع ) وأبنائه الطاهرين .

**والحاصل** : إن التشيع عقيدة وعمل وإن إطاعة الحسين (ع ) واحترامه والدفاع عنه من صميم تلك العقيدة وقوام ذلك العمل كالذي فعله أولئك النفر من الشيعة أصحاب الحسين (ع ) يوم كربلاء الذين بذلوا أنفسهم وضحّوا بأبنائهم وعوائلهم وكل ما يملكون دفاعاً عن الحسين وآله (ع ) .

فسلام عليهم بما صبروا ونعم عقبى الدار . ورحم الله السيد رضا الهندي حيث قال فيهم :

وقفوا يدرءون سمر العوالي عنه والنبل وقفة الأشباح
فوقوه بيض الضبا بالنحور البيض والنبل بالوجوه الصباح

فئة ان تعاور النقع ليلاً ... أطلعوا في سماه شهب الرماح
وإذا غنت السيوف وطافت ... أكؤس الموت وانتشى كل صاح
باعدوا بين قربهم والمواظي ... وجسوم الأعداء والأرواح
أدركوا بالحسين أكبر عيد ... فغدوا في منى الطفوف اضاح

وبعد هذا كله نعود فنقول : وأما بكاء الشيعة على الحسين وزيارتهم لقبره الشريف وغيرهما فليس هو بدافع الندم ولا لغرض تكفير جريمة الآباء كما زعم الخصم . بل هو بدوافع ولأغراضٍ سنأتي على ذكرها قريباً ان شاء الله تعالى .

وفي الختام لا بد من الاشارة الى أن أنتفاء التشيع عن قتلة الحسين ( ع ) حسبما ذكر يستلزم حتماً انتفاء الإسلام عنهم أيضاً لأن قتل الحسين ( ع ) جريمة لا يمكن أن تصدر من مسلم يؤمن بالله ورسوله ويلتزم باحكام الكتاب والسنة فالذين قاتلوا الحسين ( ع ) لم يكونوا في الحقيقة والواقع من الشيعة ولا من المسلمين بل كانوا كما وصفهم الحسين ( ع ) يوم عاشوراء بقوله : يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرّفي الكلم ومطفيء السنن وقتلة اولاد الأنبياء . . . » وكما خاطبهم ( عليه السلام ) بقوله : « يا شيعة آل أبي سفيان ويا حزب الشيطان ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد . فكونوا احراراً في دنياكم وارجعوا إلى احسابكم وانسابكم ان كنتم عرباً كما تزعمون . . » . فهم من شيعة آل ابن سفيان لا من شيعة اهل البيت . وهم من حزب الشيطان . لا من حزب الله . وهم لا دين لهم اصلاً ولا مبدأ ولا عقيدة . واخيراً هم براءٌ من العروبة والعربية التي هي شيم كريمة واخلاق فاضلة ، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين . . .

* * *



# هل كان الحسين (ع) يطلب الحكم بثورته ؟

من الشبهات القوية حول قيام الحسين (ع) بثورته المباركة هي شبهة أن قيامه بها هل كان طلباً للملك والسلطان وللإستيلاء على الحكم أم لا؟ وقد تعرض الكثيرون ممن كتبوا عن الحسين (ع) لهذه الشبهة فنفوها نفياً كلياً مؤكدين أن الحسين (ع) لم ينهض طلباً للحكم ولا كان من أهدافه انتزاع السلطة من الأمويين ولم يكن يفكر في ذلك أبداً .

فكأن هؤلاء يرون طعناً في كرامة الحسين (ع) ونقصاً في قدسية ثورته أن ينسبوا اليه الرغبة في الحكم والميل إلى تسلم السلطة والعمل من أجل انتزاع الخلافة من أيدي الأمويين . ويزعمون أن الحسين (ع) أجلّ وأرفع من أن يطلب الأمرة والحكم بتلك المحاولة . بل كان غرضه الأوحد القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن طريق التضحية والشهادة فقط وهؤلاء يشكرون على كل حال على نواياهم الطيبة تجاه الجسين (ع) . ولكن الحقيقة والواقع هو خلاف ما يرون ويزعمون . . .

وذلك لأن طلب الحكم والسلطة والأمرة ليس قبيحاً دائماً ولا هو مذموم مطلقاً بل إذا كان طلب الحكم والسلطان صادراً من أهله الأكفاء ولغرض الاصلاح وإحقاق الحق ومكافحة الباطل فإنه حينئذ يكون محبوباً عقلاً وقد يكون واجباً شرعياً يفرضه الله تعالى على الانسان الصالح اللائق للحكم والأمارة . مثله تماماً كمثل طلب أي شيء آخر من وسائل الحياة الأخرى كطلب المال والجاه مثلاً . كما قال (ع) : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك . . . وكيف يكون طلب الحكم نقصاً أو عيباً وقد طلبه من قبل أبوه أمير المؤمنين طيلة خمس وعشرين سنة بعد رسول الله (ص) إلى أن وصل إليه بعد مقتل عثمان ولكنه (ع) أوضح لنا غاياته من وراء ذلك الطلب فقال أما والله ان إمرتكم لأهون علي من هذا النعل إلا أن أقيم حقاً وأدفع باطلاً . وقال (ع) أيضاً في خطبة له :

اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك .

فإذاً لو كان طلب الحكم والسلطان لا لغرض المنافسة والتفاخر ولا للحصول على الشهوات واللذة الحقيرة ولا لخدمة مصلحة شخصية بل كان لغرض اعادة معالم الدين والاصلاح في البلاد ونشر العدل والأمن بين العباد وانصاف المظلوم من الظالم . . وأمثالها فالطلب حينئذ أمر حسن ومحبوب ومرغوب فيه شرعاً ومنطقاً ، فأي ضير على الحسين (ع) إذاً كان يطلب السلطة والحكم بتلك الثورة المقدسة لنفس هذه الأهداف ؟

أو ليس الحكم والسلطان حقه الشرعي والعقلي بعد أبيه وأخيه ؟ أو ليس هو (ع) أحد أولي الأمر الذين فرض الله طاعتهم

على عباده في محكم كتابه فقال أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . أو ليس هو ( ع ) أحد أئمة المسلمين الذين نص عليهم رسول الله جملة وتفصيلاً ؟ أو ليس هو ( ع ) أحد الإمامين اللذين نص الرسول على ثبوت الإمامة لهما سواء قاما أم قعدا كما في الحديث المتواتر : الحسن والحسين إمامان . ثم هل كان في عصر الحسين ( ع ) من هو أجدر بالأمرة والخلافة من سيد شباب أهل الجنة أبي عبد الله الحسين ( ع ) ؟

ومن الجهة الثانية نسأل يا ترى ما الذي كان يفعله الحسين ( ع ) لو استلم السلطة أو ليس كان يفعل ما فعله رسول الله ( ص ) وأمير المؤمنين وكل الأنبياء والمرسلين والأوصياء الحاكمين ؟ فإذا أي نقص يرد على ثورة الحسين ( ع ) لو كانت بقصد الاستيلاء على الحكم وطلب السلطان ؟ ان الذين يهاجمون ثورة الحسين ( ع ) من طريق اتهامها بأنها كانت طلباً للملك وصراعاً على السلطة . هؤلاء لم يعرفوا شيئاً عن شخصية الحسين ( ع ) ولا عن اهداف ثورته بل نظروا إليه كزعيم سياسي قام طلباً للسلطة لأجل السلطة ككل الزعماء السياسيين الدنيويين الماديين في العالم من خلفاء وملوك ورؤساء دول الذين استغلوا سلطتهم وسلطانهم لاشباع شهواتهم ونيل رغباتهم في الفسق والفجور والظلم والجور والتجبر والطغيان فاهلكوا العباد وخرّبوا البلاد وافسدوا في الأرض فكانوا ولا يزالون مصدر كل الشرور والآثام . أما لو كانوا قد عرفوا حقيقة الحسين ( ع ) وأهدافه البعيدة وغاياته الرئيسية من تلك الثورة وإن طلبه للسلطة كان لأجل التوصل بها إلى تلك الغايات الانسانية العليا . وإن الطريق الذي سلكه طلباً للسلطة هو طريق المثالية والشرف والنبل والشهامة والكرم وعدل عن الطريق التقليدي الذي يسلكه عادة الزعماء السياسيون وهو طريق ( الغاية تبرر الواسطة . وان الملك عقيم . . . ) .

أقول لو عرف أولئك المهاجمون هذه الأمور عن الحسين (ع) لعدلوا عن مسلك الاتهام . وهذا هو الاستاذ العقاد يرد عليهم في كتاب أبي الشهداء فيقول بالحرف ص ١٩٥ . . .

« وأيسر شيء على الضعفاء الهازلين أن يذكروا هنا طلب الملك ليغمروا به شهادة الحسين وذويه . فهؤلاء واهمون ضالون مغرقون في الوهم والظلال . لأن طلب الملك لا يمنع الشهادة وقد يطلب الرجل الملك شهيداً قديساً وقد يطلبه وهو مجرم بريء من القداسة . وإنما هو طلب وطلب وإنما هي غاية وغاية وإنما المعول في هذا الأمر على الطلب لا على المطلوب فمن طلب الملك بكل ثمن وتوسل له بكل وسيلة وسوى فيه بين الغصب والحق وبين الخداع والصدق وبين مصلحة الرعية ومفسدتها ففي سبيل الدنيا يعمل لا في سبيل الشهادة . ومن طلب الملك وأباه بالثمن المعيب وطلب الملك حقاً ولم يطلبه لأنه شهوة وكفى وطلب الملك وهو يعلم أنه سيموت دونه لا محالة وطلب الملك وهو يعتز بنصر الايمان ولا يعتز بنصر الجند والسلاح وطلب الملك رفعاً للمظلمة وجلباً للمصلحة كما وضحت له بنور ايمانه وتقواه . فليس ذلك بالعامل الذي يخدم نفسه بعمله ولكنه الشهيد الذي يلبي داعي المروءة والاريحية ويطيع وحي الايمان والعقيدة ويضرب للناس مثلاً يتجاوز حياة الفرد الواحد وحياة الأجيال الكثيرة » . انتهت كلمة العقاد . . . ويقول هو أيضاً في نفس الكتاب « ان الحسين (ع) طلب الخلافة بشروطها التي يرضاها ولم يطلبها غنيمة يحرص عليها مهما تكلفه من ثمن ومهما تطلب من وسيلة فكانت عنايته بالدعوة والاقناع اعظم جداً من عنايته بالتنظيم والإلزام » . أعود فأقول ما المانع من أن يطلب الحسين (ع) الملك والسلطة بعد أن طلبها نبي الله سليمان بن داود (ع) من ربه صراحة . فقال « رب هب لي ملكاً لا

ينبغي لأحد من بعدي » وطلبها ابراهيم الخليل ( ع ) لذريته بعد أن حصل عليها هو لنفسه . قال « إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين » . وإلى غير ذلك من الشواهد والأمثال ونوجه الخطاب ثانياً إلى هؤلاء المدافعين عن الحسين بأنه لم ينهض طلباً للملك . فنقول لهم ها هو الحسين ( ع ) بالذات يصرح بأنه يطلب الأمرة والسلطان لأنه أولى بهما وأحق من يزيد بن معاوية وغيره . نعم أنظر إلى كلماته التي قالها في مجلس الوليد حاكم المدينة وبمحضر من مروان بن الحكم . . . فقال ( ع ) : « نحن أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي والتنزيل ويزيد رجل فاسق فاجر شارب للخمر قاتل النفس المحترمة معلن بالفسق والفجور ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أولى بالخلافة والأمر » . . فالحسين ( ع ) يطلب الخلافة والأمر ولكن من طريق المنطق والموازين العادلة والتحكيم الحر والانتخاب الشعبي الصحيح . وعلمه بالشهادة والقتل دون الوصول إليها لا ينافي طلبه لها ولا يتعارض مع سعيه للحصول عليها لأن في الطلب والسعي إتمام للحجة على الناس وافراغ للذمة من المسؤولية أمام الله والتاريخ حتى لا يقال أنه قصر أو تكاسل ولو رشح نفسه وسعى لها لحصل عليها . ومن قبله أخوه الحسن ( ع ) كان يعلم بكل ذلك المصير الذي وصل اليه علماً كاملاً . ومع ذلك لم يمنعه ذلك العلم من التهيؤ وتجهيز الجيش والمسير نحو الحرب مع العدو واتخاذ كافة اللوازم المطلوبة . وهذا أبوهما أمير المؤمنين ( ع ) فإنه طلب الخلافة والأمرة التي هي حقه الشرعي والطبيعي بعد رسول الله ( ص ) . طلبها بكل الوسائل ما عدا السيف . إذ رأى أن في استعمال السيف يومئذٍ خطراً على مصلحةالإسلام العليا . ولكن استعمل الوسائل السلمية حتى أنه صار يحمل زوجته فاطمة ( ع ) وأبنائه الحسن والحسين ويطوف بهم على زعماء المهاجرين والأنصار

وكبار الصحابة مطالباً بحقه وحقوق هؤلاء مذكراً لهم بالنصوص النبوية الشريفة التي سمعوها من الرسول ( ص ) في حقه وحق هؤلاء واستمر على ذلك أربعين يوماً . وهو يعلم علم اليقين أنه لا يحصل على حقه من الخلافة ولا هؤلاء يحصلون على حقوقهم من الخمس ومن الميراث ومن فدك . ولكن ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة . كما أنه (ع ) حضر مجلس الشورى مع الخمسة الآخرين الذين رشحهم عمر بن الخطاب للخلافة حضر معهم الإمام وطالب بالخلافة وحاجج القوم وبذل كل ما في وسعه من الجهد للوصول إلى الحكم . فلم يصل وكان يعلم علم اليقين أنه لا يصل . ولكن لاتمام الحجة وإبراء الذمة كما سبق وذكرنا في موضوع تعليل خروج الحسين (ع ) إلى العراق أن الظواهر هي الحجة في العلائق والنظم الاجتماعية الإسلامية وواجب النبي والإمام أن يسير مع الناس حسب ظواهرهم وبمقتضى الأسباب والعوامل الطبيعية العادية ولا يرتب الآثار عليهم حسب المعلومات الغيبية والتنبؤات التي ليس عليها دليل قائم أو أثر ملموس .

وبكلمة موجزة نقول أن لأهل البيت حقاً وأن عليهم لواجباً أما حقهم فالقيادة والأمرة وأما واجبهم فاظهار الحق وبيانه . وظلامتهم الكبرى في الحياة ان قاموا بواجبهم أحسن قيام ولكن حرموا من كافة حقوقهم . وان غصب حقهم منهم لم يمنعهم من القيام بواجبهم . على أن ذلك الحق لو وصل اليهم كاملاً لاستطاعوا من اداء مسؤوليتهم على وجه أكمل وأنفع للأمة كما قال أمير المؤمنين (ع ) :

والله لو ثنيت لي الوسادة وجلست عليها لأفتيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الأنجيل بانجيلهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم حتى ينطقوا جميعاً ويقولوا صدق علي بما حكم . . . وكما قال

سلمان الفارسي ( ره ) في خطبة له بعد وفاة الرسول ( ص ) : « والله لو وليتموها علياً لأكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم ولو دعوتم الطير في السماء لأتتكم والحيتان في البحار لأجابتكم ولما طاش سهم من سهام الله ولا تعطل حكم من أحكام الله ولكن حظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم » . وقالت فاطمة ( ع ) : والله لو مالوا عن المحجة اللائحة وزالوا عن قبول الحجة الواضحة لردهم اليها ولحمَلَهم عليها ولسار بهم سيراً سجحاً لا يكلم خشاشه ولا يكلُّ سائره ولا يملُّ راكبه ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطانا ونصح لهم سراً واعلانا ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل . . . الخ » وفي ختام هذا الموضوع نستمع إلى مقطوعة شعرية رائعة من المرحوم الحاج هاشم الكعبي ( ره ) :

| | |
|---|---|
| أو ما علمت الماجدين | غداة جدوا بالرحيل |
| عقدوا على البين النكاح | وطلقوا سنن القفول |
| عشقوا العلا ففنوا بها | والغصن يرمي بالذبول |
| أو ما سمعت بن البتولة | لو دريت بن البتول |
| ازدقاها شعث النواصي | عاقدات للذيول |
| متنكب الورد الذميم | مجانب المرعى الوبيل |
| طلاب مجد بالحسام العضب | والرمح الطويل |
| متطلباً أقصى المطالب | خاطب الخطب الجليل |
| ظلت أمية ما تريد | غداة مقترع النصول |
| رامت تسوق المصعب | الهدا رمستاق الذلول |
| ويروح طوع يمينها | قود الجنيب أبو الشبول |
| رامت لعمر بن النبي الطهر | ممتنع الحصول |
| وغوا بها جهل بها | والبغي من خلق الجهول |
| لفّ الرجال بمثلها . . . | وثنا الخيول على الخيول |

وأبـاحهـا عضب الشبـا  لا بالكهام ولا الكليل
لـسـنـانـه ولـسـانـه  صدقان من طعن وقيل
ذات الـفـقـار بـكـفـه  وبكتفـه ذات الفـظول
وأبـو المنيـة سيـفـه  وكذا السحاب أبو السيول
يـا بن الذين تـوارثـوا العليا  قـبيـلاً عـن قـبـيـل
والسـابقين بـمجـدهـم  في كلٍّ جيل كلٍّ جيل
ان تمس منكسر اللوى  ملقىً على وجه الرمول
فلقـد قتـلت مهـذَّبـاً  عن كلِّ عيبٍ في القتيل

* * *

# هل كان الحسين (ع) عالماً بمصيره المعروف ؟

يكثر التساؤل حول علم الحسين (ع) بما صار إليه عاقبة أمره حسب ما هو معروف هل كان من باب الاحتمال أوالظن الذي يحتمل العكس والخلاف فيكون حينئذ قد خدع بكتب أهل العراق وغرّر به من قبلهم ؟

أم كان ذلك العلم من باب القطع والجزم واليقين الذي لا شك فيه . فيكون حينئذ قد أقدم على حركة انتحارية ؟ . نقول أجل كان عالماً بما جرى علماً يقينياً قاطعاً لا يشوبه شك وقد أعلن عنه في مكة قبيل الخروج بخطبته التي قال فيها (ع) : وكأني بأوصالي هذه تقطعها . الخ . . .

ولكن مع ذلك لم يكن خروجه عملاً انتحارياً بل كان قتله نتيجة طبيعية للظروف والأحداث العادية التي أوجدها الناس بجهلهم وسوء تصرفهم . من قبيل علم الطبيب مثلاً بموت هذا المريض في النهاية بسبب تطور المرض ومضاعفاته الطبيعية التي لا خيار للطبيب فيها وجوداً ولا عدماً . وإنما عليه أن يراقبها ويساير مراحلها بما عنده من مخففات ومسكنات فقط وهو بانتظار نتيجتها الطبيعية القصوى . كذلك علم الحسين (ع) بذلك المصير . فهو (ع) كان يعلم من

البداية ان يزيد سيستولي على الخلافة ويطلب منه البيعة وهو يمتنع من البيعة فيأمر بقتله في المدينة فيخرج منها حفظاً لدمه ودفاعاً عن كرامته ويكتب اليه أهل العراق بالطاعة والبيعة له فتتم عليه الحجة الظاهرية بحسب القوانين الشرعية فإذا وصل إليهم يغدرون به ويحصرونه في وادي كربلاء ويخيّرونه بين القتل او الاستسلام . وهكذا تتسلسل الحوادث حسب مجراها الطبيعي، حتى تؤدي إلى العاقبة التي حصلت . ولم يكن بوسع الحسين أن يغير أو يدفع شيئاً منها ولا أن يقف منها مواقف غير التي وقفها . نعم حاول بكل ما استطاع أن يخفف من وطأتها ويؤخر من حدوثها فما استطاع لوجود الموانع والدوافع الشرعية والزمنية .

صحيح أنه لو كان قد بايع ليزيد لتغير وجه مصيره إلى حد كبير ولكن قد أثبتنا سابقاً أن ذلك كان حراماً على الحسين ( ع ) من الوجهة الشرعية والأخلاقية والعرفية وجريمة كبرى على شرفه ودينه وأمة جده ( ص ) وعلى هذا فقس باقي الحوادث المتتابعة بعدها التي ما كان باستطاعة الحسين ( ع ) دفعها إلا بالتنازل عن كرامته والتخلي عن مسؤوليته والخيانة لرسالته وللأمانة الملقاة على عاتقه من قبل الله ورسوله والأمة .

**والخلاصة** : كان علم الحسين ( ع ) علماً بترتب الحوادث على عواملها الطبيعية والمعلولات على عللها والمسببات على أسبابها تلك الأسباب والعلل التي أوجدها الناس بسوء اختيارهم وضعف الوازع الديني في نفوسهم فهم محاسبون عليها ومعاقبون بها يوم تجزى فيه كل نفس بما كسبت وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . ولم يكن باستطاعة الحسين ( ع ) أن ينجو من نتائجها الا بالتخلي عن واجباته الشرعية ومسؤولياته الاجتماعية والعقلية والاخلاقية . وهيهات ذلك من الحسين ( ع ) فهو

مثاب ومأجور بكل خطوة خطاها نحو مصيره المعروف والمجتمع الذي فرض عليه تلك الخطوات والمصير معاقب ومسؤول امام الله والتاريخ .

ومن هنا قيل أنه ( ع ) جمع بين التكليفين في آن واحد التكليف الباطني ، وهو تكليفه من الله بأن يفدي الدين بنفسه وأنه شهيد هذه الأمة . والتكليف الظاهري وهو تكليفه العرفي الطبيعي أي مسايرة الاحداث والتطورات حسب متطلباتها العادية في الحفاظ على حياته والدفاع عن عائلته وأولاده وكرامته قدر الامكان . فالحسين ( ع ) فدائيٌ مستميت ولكن ضمن القوانين الشرعية وعرف العقلاء . وهذا من خصائصه ( ع ) ولعلك تقول : من أين علم الحسين ( ع ) بتلك القضايا الغيبية قبل وقوعها ؟ فأقول :

وصلت إليه من أبيه علي ( ع ) وجده محمد ( ص ) وبالتالي عن الله سبحانه وتعالى الذي هو وحده علام الغيوب وقد أوحى سبحانه إلى رسوله ( ص ) بكل ما يجري على الحسين ( ع ) .

فإن قلت : فلماذا لم يحفظ الله تعالى وليه الحسين ( ع ) ولم يدفع عنه القتل وهو العالم بكل شيء والقادر على كل شيء ؟

قلت في الجواب : لأن على قتله توقف بقاء الدين الذي كان معرضاً للزوال بسبب الوضع الخطير الذي حدث له في حكومة يزيد لعنه الله . فدار الأمر بين حياة الحسين ( ع ) أو حياة الدين لأن الجمع بينهما يؤدي إلى الجبر وسلب الحرية الانسانية أي سلب الآثار من المؤثرات وفصل المعلولات عن عللها . وهو ممنوع في شريعة الله تعالى فكان الدين أولى بالحياة فالحسين ( ع ) فداء الدين وبهذا صرحت أخته العقيلة زينب(ع)لما جلست عند رأسه وهو صريع ورفعت طرفها نحو السماء وقالت اللهم تقبل منا هذا الفداء

وإلى هذا المعنى يرمز الحديث الشريف المشهور القائل ( حسين مني وأنا من حسين ) . فحسين مني واضح أي ابني وولدي ، ولكن قوله ( ص ) أنا من حسين يعني أن بقاء ذكري وشريعتي وديني بالحسين أي بتضحية الحسين وشهادته . ولقد قال بعض الخبراء وهو السيد جمال الدين الأفغاني ( ره ) أن الإسلام محمدي الوجود والحدوث . وحسيني البقاء والاستمرار . وقال المستشرق الألماني ماربين في الحسين ( ع ) كلمته المعروفة « واني أعتقد بأن بقاء القانون الإسلامي وظهور الديانة الإسلامية وترقي المسلمين هو مسبب ، عن قتل الحسين ( ع ) وحدوث تلك الفجائع المحزنة وكذلك ما نراه اليوم بين المسلمين من حس سياسي واباء الضيم . . . وقال أيضاً لا يشك صاحب الوجدان إذا دقق النظر في أوضاع ذلك العصر ونجاح بني أمية في مقاصدهم. لا يشك أن الحسين ( ع ) قد أحيا بقتله دين جده وقوانين الإسلام ولو لم تقع تلك الواقعة لم يكن الإسلام على ما هو عليه الآن قطعاً بل كان من الممكن ضياع رسومه وقوانينه حيث كان يومئذ جديد عهد . . . » انتهى محل الشاهد من كلام ماربين المستشرق الألماني . وقال الشيخ عبد الله العلائلي في كتابه ( الامام الحسين ) فإن الحسين الذي شهد المثل الأعلى للحكم ازمان جده وأبيه . يجب أن يغضب وان يندفع وان يثور مهدماً فبنّاءً لأن البناء على الفساد ترميم للفساد لذلك كان عمل المصلحين الحقيقيين هدماً وبناءً ولهذا فقط رأينا الحسين ( ع ) يولي وجهه قبل الثورة قبل الانشاء . وأحسن تعبير عن هذا الواقع هو ما قاله ذلك الشاعر عن لسان الحسين ( ع ) يوم عاشوراء :

ان كان دين محمد لم يستقم     إلا بقتلي يا سيوف خذيني

وقال السيد جعفر الحلي :

بقتله فاح للإسلام طيب شذى     وكلما ذكرته المسلمون زكـا

# لماذا يأذن الحسين (ع) لأصحابه بالتفرق عنه ؟

أثبتنا في البحث السابق أن الأمرة والحكم كانا على رأس متطلبات الحسين (ع) من وراء ثورته الخالدة لأجل الوصول بهما إلى غايته الكبرى وهدفه الأعلى على أكمل وجه وهو اصلاح المجتمع واعادة نظام الإسلام إلى المجتمع الإسلامي وطبعاً أنّ هذا الهدف لا يتم إلا من طريق السلطة ، فالسلطة إذاً كانت الطريق الأمثل أمام الحسين (ع) للوصول إلى اداء رسالته وتحقيقها كاملة . والحسين (ع) طلب السلطة وسعى اليها قطعاً وبلا شك . وهنا يبرز سؤال ويعترضنا استفهام حساس وهو لماذا إذاً أجاز لأتباعه وأصحابه الذين خرجوا معه وانضموا إليه أن يتفرقوا عنه وهو في أمسّ حاجة إلى الاستكثار من الأعوان تحقيقاً لما طلب من الحكم والسلطان . وفعلاً تفرقوا عنه قبل لقاء العدو حتى لم يبق معه منهم إلا القليل الذي لم يتجاوزالنيف وسبعين رجلاً بعد أن كانوا معه حوالي الستة آلاف رجل تقريباً . فهل هذا سلوك ثائر يريد الاستيلاء على الحكم ؟

نقول أجل أن الحسين (ع) ثائر لأجل إحقاق الحق ونشر العدل والخير. والحق لا يتحقق من طريق الباطل والعدل لا ينشر بواسطة الظلم والخير لا يعطى على أيدي المبطلين وبكلمة واحدة الورد لا يجنى من العوسج والعسل لا ينال من الحنظل.

ومكلف الأيام ضد طباعها ـ متطلب في الماء جذوة نار... إن الحسين (ع) أراد السلطة لاستخدامها في مصلحة المجتمع ولخدمة الدين والإسلام فلا يجوز أن يطلبها بطريق خداع الجماهير والتغرير بهم واغفالهم عن حقائق الأمور وواقع الحوادث ورفع الشعارات الكاذبة والدعايات المضللة. مثله مثل أبيه الإمام علي (ع) الذي رفض الخلافة يوم الشورى لما توقف حصولها على كلمة كذب واحدة حيث قيل له نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وعلى سيرة الشيخين أبي بكر وعمر. فقال (ع): كلا بل على كتاب الله وسنة رسوله فقط. وكان (ع) يسعه أن يقول نعم وينال الخلافة ثم يسير بعد ذلك حسب كتاب الله وسنة رسوله لا غير ولم يكن ملزماً بالشرط الأخير شرعاً لأن سيرة الشيخين إن كانت موافقة لكتاب الله وسنة رسوله فهي داخلة في الشرط حتماً وإن كانت مخالفة لهما فلا يجوز للمسلم أن يعمل بها... ولكن الإمام (ع) مع ذلك كره أن يقول لشيء نعم وهو يعلم من نفسه أنه لا يلتزم به وبذلك فوت الخلافة على نفسه مدة اثني عشر سنة تقريباً وهي مدة خلافة عثمان بن عفان.

فسياسة الحسين هي بعينها سياسة أبيه علي (ع) وجده النبي (ص) وهي سياسة الإسلام والحق التي ترتكز على الصراحة والدقة والواقعية وتأبى الكذب والانتهازية واللف والدوران.

ثمّ أن الستة آلاف رجل الذين كانوا مع الحسين (ع) كان أكثرهم من الأعراب وأهل الأطماع والمرتزقة الذين يتبعون القادة

طمعاً في الغنائم والمناصب والأرزاق خرجوا مع الحسين ( ع ) والتحقوا به في أثناء الطريق علماً منهم بأن الحسين ( ع ) قادم على بلد قد دانَ له أهلها بالطاعة والولاء وبايعه أهلها بالاجماع وسوف ينتصر بهم حتماً ويصلون باتبّاعه إلى مغانم وأرباح . وكان الحسين ( ع ) يعرف ذلك في نفوسهم فلما تجلى غدر أهل العراق وظهر انقلابهم ولم يبق هناك أمل في انتصاره بهم على الأعداء بل أصبحوا هم من الأعداء والمحاربين له وذلك بقتلهم سفيره مسلم بن عقيل ( ع ) وقتل رسوليه عبد الله بن بقطر وقيس ابن مسهر الصيداوي رحمهما الله تعالى . عند ذلك تغير مجرى الثورة السابق وتحولت من حرب هجومية متكافئة وجهاد منظم مفروض حسب المقاييس الشرعية . إلى حرب فدائية استشهادية ليس فيها أمل في الانتصار العسكري وإنما المقصود منها التضحية والشهادة لغرض التوعيةوتنبيه الرأي العام ولفت الأنظار إلى حقيقة الحكم القائم وواقع الزمرة الحاكمة وعزلهم عن الأمة المسلمة فيحبط بذلك مؤامراتهم العدوانية ضد الإسلام ومصلحة المسلمين . قال العقاد في ص ١٩٣ « وعلى هذا النحو تكون حركة الحسين ( ع ) قد سلكت طريقها الذي لا بد لها أن تسلكه وما كان لها قط من مسلك سواه . . . حيث وصل الأمر إلى حدٍ لا يعالج بغير الاستشهاد » .

لذا فقد كره الحسين ( ع ) أن يترك أتباعه غافلين عن هذا التطور وجاهلين لهذا التحول المصيري الهام خوف أن يباغتوا بالمصير الذي لا يرغبون فيه فيسلموه عند الوثبة ، ويهزمون من الميدان عند اللقاء ويتفرقون عنه ساعة بدء المعركة . وفي ذلك وهن كبير يصيب معنوية القائد ويضعف مقاومة المخلصين من أصحابه . وإن تلك الأجازة لهم بالانصراف إذا شاءوا كانت من الحسين ( ع ) بالنسبة لهم أولاً للاختبار والامتحان . وثانياً بمثابة مخض وغربلة

فاستخرج الزبدة منهم وهم نيف وسبعون رجلاً وقد بلغوا إلى ليلة عاشوراء إلى ما يقارب الثلاثمائة رجل كل منهم فدائي مخلص للحسين ( ع ) بايعوه على الموت واختاروا الشهادة على الحياة والقتل على البقاء في الدنيا . . . ولقد اختبرهم مراراً فما وجد فيهم إلا الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دونه استئناس الطفل بلبن أمه حسب شهادة الحسين ( ع ) في حقهم . قالوا له في بعض تلك الاختبارات : يا سيدنا لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لآثرنا النهوض معك على الاقامة فيها فقال لهم الحسين ( ع ) اعلموا أنكم كلكم تقتلون ولا يفلت منكم أحد . فقالوا الحمد لله الذي مَن علينا بشرف القتل معك ولا أرانا الله العيش بعدك أبداً وقال له مسلم بن عوسجة الأسدي ( ره ) : أنحن نتخلى عنك وبماذا نعتذر إلى الله في اداء حقك . أما والله لا افارقك حتى أطعن في صدورهم برمحي وأضرب بسيفي ما ثبت قائمه بيدي ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة حتى أموت معك . وقال له سعيد بن عبد الله الحنفي والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسوله فيك . أما والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق حياً ثم أذرى يفعل بي ذلك سبعين مرة لما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها ابداً . وقال له زهير بن القين البجلي ( ره ) والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذلك ألف مرة وأن الله عزّ وجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك . وهكذا تكلم الباقون من أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً فجزاهم الحسين ( ع ) خيراً .

أجل والله جزاهم الله خيراً لقد سجّلوا بموقفهم هذا رقماً قياسياً خالداً وضربوا أروع مثال للتضحية في سبيل الكرامة وللعمل

الفدائي الصحيح . ألا هكذا فليكن العمل الفدائي وإلا فلا . فهم قدوة كل عمل فدائي مثمر ومخلص ولا يمكن أن ينجح أي عمل فدائي ما لم يكن الحسين ( ع ) وأصحابه مثله الأعلى وقدوته المثلى . إخلاص للقضية واستصغار لكل غال وعزيز في سبيلها ودون تحقيقها . ولقد أجاد من وصفهم بقوله :

فسـاموهـم إمـا الحياة بـذلـة ... أو الموت فاختاروا أعز المراتب
بنفسي هم من مستميتين كسروا ... جفون المواضي في وجوه الكتائب
وصالوا على الأعداء أُسداً ضوارياً ... بعوج المواضي لا بعوج المخالب
أصيبوا ولكن مقبلين دماؤهم ... تسيل على الأقدام دون العراقب

وأخيراً نقول : أن الحسين ( ع ) حافظ على قدسية ثورته ونبل نهضته وشرف تضحيته بذلك العمل . أي بأن أبعد عنها الأوباش وأهل الأطماع والانتهازيين عملاً بمضمون الآية الكريمة : « وما كنت متخذ المضلين عضداً » وعملاً بالقاعدة المعروفة ( فاقد الشيء لا يعطيه ) . أجل إن شرف كل ثورةٍ يتوقف إلى حد كبير على شرف الثائرين وحسن نواياهم واخلاص نياتهم . ثم أن الاصلاح لا يأتي على أيدي غير الصالحين . وهذا من أعظم الدروس نفعاً للأجيال في ثورة الحسين ( ع ) .

* * *



# هل كانت ثورة الحسين (ع) ناجحة ومحققة لاهدافها ؟

كتب الحسين (ع) إلى من تخلف عنه كتاباً لما نزل كربلاء قال فيه أما بعد فمن لحق بي منكم استشهد ومن لم يلحق لم يبلغ الفتح والسلام .

فأي فتح هذا الذي يقصده الحسين (ع) مع علمنا بأنه قتل هو وأصحابه وأهل بيته وسبيت حريمه وحمل رأسه إلى ابن زياد ويزيد ؟ نقول :

كان للحسين (ع) من وراء ثورته المقدسة هدفان : هدف قريب مباشر وهدف بعيد وغير مباشر .

أما الهدف القريب المباشر فهو استرجاع حقه الشرعي والطبيعي في الخلافة والحكم لأجل اصلاح المجتمع واعادة نظام الإسلام إلى الحياة الاجتماعية واحياء سنة جده الرسول (ص) واماتة البدع وتصحيح الأخطاء والانحرافات التي تراكمت على المسلمين منذ وفاة محمد (ص) من جراء السياسات المختلفة التي مارسها الحكام من ذلك اليوم إلى يوم الحسين (ع) . مما أدى إلى

أن لا يبقى من الإسلام بأيدي المسلمين إلا أسمه ولا من القرآن الكريم إلا رسمه .

وأمّا الهدف البعيد غير المباشر فهو وضع النقاط على الحروف . ووضع الحدود والعلامات الواضحة بين الإسلام الحقيقي والإسلام المزيف . ولفت الأنظار إلى فشل السياسة السابقة التي أدت إلى الوضع الفاسد القائم وإلى خطأ المفاهيم التي سار عليها المسلمون بعد وفاة الرسول ( ص ) .

**والخلاصة** : كان هدفه الأول احياء الإسلام فكرياً وعملياً . وهدفه الثاني أحيائه فكرياً على الأقل . وهو وإن فاته تحقيق الهدف الأول بسبب غدر أهل الكوفة ، ولم يتسنَّ له أن يقيم حكومة إسلامية صحيحة ويطبق النظام الإسلامي الصحيح بين المسلمين .

ولكن حقق هدفه الثاني بلا شك ونزه دين الله وشريعة الإسلام وسنة خاتم الأنبياء عن الشوائب المهينة والمظاهر المشوهة والمفاهيم المغلوطة التي ألحقت به وتراكمت عليه وأظهر وجه الإسلام الجميل ومنظره الجذاب وصورته السماوية الغراء من بين ركام البدع والاجتهادات الضالة والاستحسانات الفاسدة .

وكمثل على ذلك نقول أن مما شاع وذاع بين الخبراء والباحثين هو أن من أهم النتائج والآثار لمأساة الحسين ( ع ) وحادثة كربلاء انتشار التشيع وظهور مذهب أهل البيت ( ع ) أكثر فأكثر وتزايد عدد الشيعة في العالم الإسلامي رغم أن انبثاق التشيع كان مقارناً مع انبثاق فجر الإسلام ومنذ أوائل البعثة المحمدية غير أنه كان محدوداً ومحصوراً في نطاق أعيان الصحابة واعلام المهاجرين والأنصار بالاضافة إلى بني هاشم . أما بعد ثورة الحسين ( ع ) فإنه أي التشيع أصبح منتشراً في كافة الأقطار وبين عامة الطبقات . . .

والسؤال الآن هو كيف كان ذلك ولماذا ؟

**الجواب** : أقول لأن الرأي العام وكل انسان حر عاقل ذو وعي وضمير لما سمع بأنباء تلك المجزرة الرهيبة التي أبيد فيها آل رسول الله ( ص ) وبما تلاها من الجرائم والموبقات وأبشع المنكرات التي تأباها حتى الوحوش . . .

أقول لما اطلع عليها صار يفكر في نفسه ويتساءل : من أين جاءت هذه العصابة المجرمة الأموية الى السلطة وكيف توصل هؤلاء الطغاة المتمردون على أبسط القوانين الانسانية والإسلام إلى الأمرة والحكم فسوّدوا وجه التاريخ الإسلامي والعربي وملأوا الدنيا بالظلم والفساد . من الذي مكّن لهم ومهّد الطريق أمامهم إلى الخلافة الإسلامية ؟

فيأتيه الجواب طبعاً وبكل بساطة . أنه بسبب الغلطة الكبرى والخطأ الذي ارتكبه بعض الصحابة بعد وفاة النبي محمد ( ص ) بانكارهم الحق الشرعي والطبيعي في الخلافة لعلي بن أبي طالب (ع)بعد الرسول ورفضهم النصوص القرآنية والوصايا النبوية في خلافة علي وولايته العامة على الأمة بعد النبي(ص)وادعوا أن الله لم يعيّن لرسوله خليفة قط والرسول لم يختر لنفسه نائباً ووصياً . وأن أمر القيادة والإمامة بعد الرسول موكول إلى اهواء الناس وآرائهم . فأدى ذلك بطبيعة الحال إلى أن يتقمص الخلافة ويتسلم زمام السلطة والقيادة العامة بعد الرسول الأكرم ( ص ) أشخاص جديدو عهد بالإسلام وأهدافه بعيدون عن تفهّم جوهره ولبابه . بعد لم يعرفوا الإسلام بروحه وحقيقته وواقعه الذي هو تربية روحية وتهذيب خلقي وتكوين انساني أكثر من كونه توسعاً اقليمياً وسلطة زمنية وحركة سياسية .

لذلك صاروا يخبطون خبط عشواء ويتخبطون في أمر الخلافة بغير هدى ولا طريق معين فتارة يعتمدون في اختيار الخليفة مبدأ الانتخاب العام وتارة مبدأ النص والاختيار الفردي وأخرى مبدأ الشورى من قبل أشخاص معدودين وهكذا كلما اعتمدوا مبدأ جاء بنتيجة أسوأ من الأول إلى أن صارت الخلافة الإسلامية لعبة صبيانية ومطمعاً لكل طامع حقير .

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس

فيا ترى هل يجوز على الله سبحانه وتعالى وهو علام الغيوب القادر الحكيم هل يجوز له أن يرضى لعباده هذا الخبط والضلال فلا يختار لهم قائداً مخلصاً وإماماً عالماً وخليفة كفؤاً بعد نبيه محمد ( ص ) الذي لا نبي بعده ؟

كلا وحاشا وسبحانه وتعالى عما يزعم الجاهلون ويقوله الظالمون . قل لي بربك أيها المنصف إلى أي شيء أوكلهم الله بعد رسوله في أمر التنظيم والتوجيه . أإلى القرآن الكريم فقط ؟ وفيه الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والمجمل والمفصل والتفسير والتأويل . مع العلم بأنه سبحانه أمرهم فيه أن يرجعوا لمعرفة آياته وتأويلها إلى الراسخين في العلم . أي علم القرآن . وأمرهم بأن يسألوا أهل الذكر عما يجهلون منه فمن هم هؤلاء الراسخون في العلم ومن هم أهل الذكر . أفلا يجب عليه تعالى أن يعرف العباد بهم ؟ وإلا فما وجه الحكم في الأمر بشيء مجهول . ثم بأي حجة يحتج الله سبحانه على عباده إذا ضلوا بعد النبي ( ص ) ولم يهتدوا إلى أهل الذكر وإلى العلماء الراسخين ؟ وهذا القرآن كما تراه يحتمل سبعين وجهاً في التفسير والتأويل على حد الحديث الشريف الذي مؤداه أن للقرآن سبعين بطناً فمن فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده

من النار . . . هذا من جهة .

ومن الجهة الأخرى يقول المثل المأثور : حدث العاقل بما لا يليق فإن صدق فلا عقل له . فهل يليق أيها العاقل المنصف بمقام رسول الله ( ص ) وهو الفرد الأكمل في النوع الانساني عقلاً وحكمة أن يموت ويترك رسالته دون تعيين نائب عنه في رعايتها ونشرها وصيانتها والدفاع عنها ؟ يموت تاركاً الأمة التي تعب على إنشائها طيلة ثلاث وعشرين سنة دون تعيين راعٍ يرعاها وبلا أن ينصب خليفة عنه لقيادتها وهي بعد في بداية الطريق ودور الطفولة ومرحلة الخطر . محاطة بالأعداء والموتورين والطامعين من الخارج ومهددة بالمنافقين والانتهازيين والمؤلفة قلوبهم من الداخل ؟ يموت بدون وصية وبدون تعيين وصي وبدون أن يختار نائباً وخليفة عنه في أمته فيخالف بذلك كافة الأعراف العقلائية وأبسط النواميس العقلية وقانون الأنبياء والمرسلين ؟ قل لهؤلاء الذين يزعمون أن محمداً ( ص ) مات ولم يعين لنفسه خليفة ووصياً . . .

قل لهم هل فعل ذلك نبي أو رسول قبل محمد ؟ أي نبي من آدم فمن بعده مات قبل أن يعين ويختار وينصب خليفة ووصياً ؟ فكيف يشذ محمد ( ص ) عن سيرة الأنبياء ويخالف مسلك المرسلين مع كونه آخرهم وخاتمهم ؟

هاك كتب التاريخ وسير الأنبياء فراجعها لتعرف أنه ما من نبي من آدم ( ع ) إلى عيسى فارق الحياة وخرج من هذه الدنيا إلا بعد أن اختار لنفسه وصياً وعيّن نائباً وعرفه لأمته وسلمه كتبه ومواريث العلم والنبوة. سواء كان ذلك الوصي والخليفة نبياً أيضاً كأكثر أوصياء الأنبياء أو لم يكن نبياً بل كان إماماً وخليفة فقط يقوم بمهام النبي ويرعى شؤون أمته ورسالته .

واليك أسماء البارزين من أولئك الأنبياء وأسماء خلفائهم الذين قاموا بعدهم بوصية خاصة ونص وتعيين :

١ - آدم ( ع ) : أبو البشر وأول الأنبياء . خلف ولده الثالث شيث ( ع ) وصياً وخليفة من بعده وسلَّم اليه الصحف التي أنزلها الله عليه والكلمات التي تلقاها من ربه فتاب عليه بعد أن كان قد أوصى إلى ولده هابيل واختاره خليفة عنه فحسده أخوه الأكبر قابيل وقتله حسب ما هو معروف ومشروح في الكتاب العزيز .

٢ - نوح ( عليه السلام ) شيخ المرسلين . خلف ولده الصالح سام ، واختاره خليفة على أمته من بعده وسلَّم اليه الصحف والكتب المنزلة عليه بعد أن هلك ابنه الأكبر الكافر ( كنعان ) مع المشركين والكفرة في الطوفان على ما ذكر من قصته في القرآن .

٣ - ابراهيم الخليل ( ع ) خلف ابنه الأكبر اسماعيل ( ع ) خليفة على أمته من بعده وأوصاه أن يخلف أخاه الأصغر اسحاق ( ع ) من بعده وأوصى اسحاق أن يخلف ابنه الأكبر يعقوب .

٤ - موسى بن عمران كليم الله ( ع ) عيّن أولاً أخاه ووزيره في الرسالة هارون بن عمران ليخلفه في أمته ولكن وافاه الأجل المحتوم قبل موسى ( ع ) فأوصى موسى إلى يوشع بن نون ( ع ) وخلفه إماماً على أمته وسلّمه التوراة والمواريث ولما مات موسى وقام يوشع بن نون مقامه حسدته زوجة موسى وهي صفيراء بنت شعيب فأثارت ضده الفتنة وحاربته ولكن الله سبحانه نصره عليها وقصته مذكورة في كتب سيرة الأنبياء .

٥ - داود ( ع ) اختار ولده سليمان في حياته وأوصى اليه وسلَّمه الزبور ومواريث النبوة فقام من بعده بأمر الرسالة .

٦ - عيسى بن مريم ( ع ) روح الله وآيته أوصى إلى شمعون

الصفا وهو من خلص الحواريين فقام شمعون الصفا من بعد أن رفع عيسى ( عليه السلام ) قام مقامه خليفة في أمته ووصياً على رسالته .

٧ - زكريا ( عليه السلام ) أوصى في حياته إلى ولده يحيى ( عليه السلام ) وعيّنه خليفة عنه بعده . . . وهكذا .

فكيف يجوز في عرف الشرع ومنطق العقل وسيرة العقلاء أن يشذ محمد ( ص ) عن سيرة سلفه الصالح ويخالف الأنبياء جميعاً فيموت ويترك أمته سدى حبلهم على غاربهم تتلاعب بهم الأهواء وهو أفضل الأنبياء عقلاً وحكمة ومعرفة ورسالته خاتمة الرسائل والشرائع جاءت لتدوم إلى الأبد وليهتدي بها البشرية جميعاً فهل هذا معقول ؟ والشيء الآخر هو :

ان السيرة الفطرية في سلوك كل بشر عادي أنه إذا كان مسؤولاً عن شيء أو يحرص على سلامة شيء من مال أو متاع أو عائلة ثم عرضت له حاجة تدعوه أن يغيب عن تلك المسؤولية فإنه بحكم فطرته الارتكازية يفكر بمن يقوم مقامه مدة غيابه للحفاظ على ذلك الشيء واداء تلك المسؤولية مدة غيابه .

فمثلاً رجل رب عائلة يريد السفر لعدة أيام أو أشهر فإنه بفطرته البشرية العادية يوصي إلى رجل رشيد من أقاربه أو جيرانه أو أصدقائه يوصيه بأن يرعى شؤون عائلته ويتفقد أمورهم مدة غيابه .

ومثل آخر: رجل صاحب مكتب أو متجر أو شيء من هذا القبيل يريد مغادرته لحاجة في الخارج خلال مدة العمل فإنه يكلف شخصاً أو ينصب شخصاً للقيام مقامه أو لرعاية المكتب على الأقل ريثما يذهب ويعود ولا يمكن أن يترك المكتب مهملاً مفتوحاً بدون رعاية من أحد .

وأخيراً فلنتصور رجلاً راعي معز أو غنم أو بقر يريد أن يترك

القطيع في الصحراء ويعود إلى البلد لحاجة عارضة فهل يتركه بدون أن ينصب مكانه رجلاً لحراسة القطيع وحمايته مدة غيابه وإذا فعل وترك القطيع سدى وذهب عنه أفلا يلومه العقلاء على ذلك ويعتبرونه مقصراً في واجبه متهاوناً بمسؤوليته .

وهنا نتساءل : هل كانت الأمة والرسالة أقل شأناً وقيمة عند محمد ( ص ) من الدكان أو المكتب عند صاحبه ومن قطيع الغنم عند الراعي ؟

أم أن محمد ( ص ) أقل حكمة وأضعف تفكيراً وشعوراً بالمسؤولية من صاحب المتجر والدكان ومن راعي الغنم والبقر ومن الرجل العادي رب العائلة ؟ نعوذ بالله من هذه الافتراءات ونبرأ إلى الله من هذه المزاعم والأقوال . . .

والأمر الرابع : أقول هل رأيت أو سمعت في العالم ملكاً بدون وليّ عهد معين في حياته أو رئيس جمهورية أو أمير دولة بلا نائب مخصوص مختار قبل وفاته ؟

فهل كان محمد ( ص ) أقل ادراكاً للأصول الأدارية والسياسية والزعامة من كل الملوك والرؤساء . أم ماذا ؟ أم أن الملوك والرؤساء أكثر اشفاقاً على سلامة الشعوب والنظام من سيد المرسلين خاتم الأنبياء على أمته ورسالته ؟

أيقبل عقلك ويرضى وجدانك أن الخليفة الأول أبا بكر يهتم بأمر المسلمين فلا يفارق الحياة حتى ينص على عمر بن الخطاب بالخلافة من بعده ويكتب له العهد بذلك . والخليفة الثاني عمر يهتم بأمر القيادة الإسلامية وزعامة الأمة فلا يموت حتى يرشح ستة أشخاص من كبار الصحابة لمنصب الخلافة ويضع نظام الشورى ويؤكد على أن لا تمضي ثلاثة أيام بعد موته حتى يكون أحد هؤلاء

السنة قد تعيّن للخلافة وتسلَّم زمام أمور الأمة . ولكن محمد ( ص ) يموت بلا وصية وبدون وصي وخليفة ؟ أفيجوز أن يكون كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب أشد حرصاً على مصلحة الإسلام والمسلمين من صاحب الرسالة ومؤسس الأمة محمد ( ص ) ؟

ان مبدأ الاعتراف بالأمر الواقع الذي يسير عليه أكثر المسلمين بزعم أن خلافة الثلاثة بعد النبي ( ص ) وقيامهم مقام الرسول ( ص ) أمر قد وقع وصار فيجب الاعتراف بصحته والإذعان لشرعيته . . . أقول إن هذا ليس مبدء شرعياً ولا يقره العقل والعقلاء . إذ ليس كل ما وقع في العالم وحدث في التاريخ هو حق وصواب وعدل وصلاح وليس كل ما يحدث، ويقع يجوز الاعتراف بصحته والالتزام بشرعيته . . ما أكثر الحوادث الباطلة والوقائع الفاسدة والقضايا التي تحققت في هذه الحياة ولكن على أساس الظلم والعدوان .

فهذه مثلاً دولة إسرائيل القائمة في قلب العالم العربي الإسلامي وقد اعترف بها أكثر دول العالم وتؤيدها أكبر الحكومات مادياً ومعنوياً . فهل يجوز للعقل والشرع وعرف العقلاء الاعتراف بها وبشرعيتها لمجرد ذلك ؟ الجواب طبعاً كلا . لأنها وقعت وتحققت على الغدر والخيانة والغصب كما أن المبدأ القائم على الفكرة القائلة بأن الصحابة كلهم عدول أخيار صلحاء لا يجوز الطعن فيهم ولا يحق لنا التنديد بهم . هذا المبدأ هو الآخر غير صحيح لا يقوم على أساس من المنطق والدليل إذ لا شك أنهم كانوا بشرا مثلنا غير معصومين من الخطأ والعصيان ومخالفه أوامر الرسول(ع) إلا من عصمه الله منهم بقوة الايمان والتقوى ومتانة العقيدة واستكمال التربية الإسلامية . وقد وقعت بينهم اختلافات شديدة أدّت إلى أن يشتم بعضهم بعضاً ويقاتل بعضهم البعض وسفكت بينهم الدماء ، فهل

كانوا جميعاً على حق في تلك المنازعات ؟ وهل كانوا كلهم عدولاً في خلال تلكالحروب والمعارك ؟ وهل القاتل والمقتول منهم في الجنة ؟

إن مجرد الصحبة للرسول ( ص ) ليست علة تامة لحصول الايمان والعصمة الحافظة. كيف لا وقد صرح القرآن الكريم بوجود عدد كبير من المنافقين بين صفوف الصحابة الذين كانوا مع الرسول ( ص ) في المدينة وقد دبّر بعضهم عدة مؤامرات لاغتيال النبي ( ص ) فنجا منها بمعجزة . وكان فيهم أي في أولئك المنافقين عدد قد أتقنوا فن النفاق إلى حد ان خفي نفاقهم حتى على النبي ( ص ) فما كشفوا إلا بعد وفاته ( ص ) وقد ذكرهم الله تعالى لرسوله على نحو الاجمال فقال : « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذّبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم » . ثم كيف يستبعد منهم مخالفة أوامر الرسول ( ص ) في وصيِّه وخليفته علي بن أبي طالب بعد وفاته وقد خالفوا أوامره مراراً في حياته وهم معه وجهاً لوجه خذ مثلاً لذلك ما أجمع عليه المسلمون جميعاً وهي قضية طلب النبي ( ص ) الدواة والكتف في حال مرضه الذي توفي فيه ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً فعصوا أمره ولم يلبُّوا طلبه وقالوا أنه يهجر . فغضب الرسول عليهم وقال قوموا عني . راجع ذلك في الصحاح والمسانيد . وفكر فيما شرحناه بعقلك وحكِّم وجدانك وضميرك لتعرف أن فكرة التشيع والمذهب الشيعي هما عصارة مدلول الكتاب العزيز والسنة الشريفة ونابعان من صميم العقل والضمير الانساني . ولتعرف أن التشيع قائم على أساس متين من الدليل والمنطق والوجدان وهو عبارة أخرى عن الإسلام التام الكامل الشامل لكل ما جاء به محمد ( ص ) من عند الله تعالى بدون زيادة ولا نقصان . كيف لا وهو مذهب أهل البيت

( ع ) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . . .

والآن نختم البحث حول هذا الموضوع ونعود إلى الغرض المقصود وهو أن من ثمرات ثورة الحسين ( ع ) ومن نتائج تضحياته الجسام انتباه الرأي العام الإسلامي إلى خطأ السياسات الارتجالية التي سار عليها ولاة الأمر منذ وفاة الرسول الأكرم ( ص ) والتي أدّت بالمسلمين إلى النكسات والنكبات وتشتت الكلمة واندلاع الفتن والحروب الداخلية والمفاسد الاجتماعية وانحسار الروح الإسلامية من نفوس المسلمين . وأدّت أخيراً إلى هذه الوصمة المخزية ولطخة العار في جبين الانسانية حيث لم يمض على وفاة رسول الإسلام ونبي المسلمين سوى خمسين عاماً فقط وإذا المسلمون أنفسهم ينهالون علي أهل بيت نبيهم وأولاد منقذهم وذرية سيدهم محمد ( ص ) قتلاً وتشريداً وابادة وتقطيع أوصال وحمل الرؤوس على أطراف الرماح من بلد إلى بلد وترك الجثث على وجه الرمال وحمل بنات رسول الله سبايا حواسر على الأقتاب تساق كما تساق سبايا الكفرة والأشرار كل ذلك بسبب أنهم أنكروا الظلم والفساد وعارضوا البدع والاستبداد . فهل ارتكبت أمة في العالم قبل هذه الأمة عاراً مثل هذا العار وجريمة أبشع وأخزى من هذه الجريمة ؟

قال السيد الرضى ( ره ) في قصيدة له :

جزورا جزر الأضاحي نسله ثم ساقوا آله سوق الأما

لو بسبطي قيصر أو هرقل فعلوا فعل يزيد ما عدى

ليس هذا لرسول الله يا أمة الطغيان والبغي جزا

كل ذلك من جراء الإعراض عن الإمامة الشرعية والخلافة الالهية بعد رسول الله ( ص ) . تماماً كما تنبأت به وحذرتهم عنه سيدة النساء فاطمة بنت محمد ( ص ) في الخطبة التي ألقتها على

نساء المهاجرين والأنصار بعد اغتصاب الخلافة من الإمام علي ( ع ) حيث قالت ( عليها السلام ) :

« ويحهم أنا زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة والدلالة ومهبط الروح الأمين والطبن بأمور الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين وما الذي نقموه من أبي الحسن نقموا منه والله نكير سيفه وقلة مبالاته بحتفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة وزالوا عن قبول الحجة الواضحة لردهم اليها ولحملهم عليها ولسار بهم سيراً سجحاً لا يكلم خشاشه ولا يكل سائره ولا يمل راكبه ولأوردهم منهلاً نميراً صافياً تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطانا ولنصح لهم سراً واعلانا ولم يكن يتحلى من الغنى بنائل ولا من الدنيا بطائل غير ري الناهل وشبعة الكافل ولبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب : ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون .

ويحهم أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون .

أما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج ثم احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً فهنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون غب ما أسس الأولون ثم طيبوا عن دنياكم نفساً واطمئنوا للفتنة جأشاً وابشروا بسيف صارم وسطو معتد غاشم وبهرج شامل واستبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً فيا حسرة لكم وأنى بكم وقد عمّيت عليكم إن ألزمكموها وأنتم لها كارهون » .

ونعود فنقول إن ثورة الحسين ( ع ) كانت ناجحة وفاتحة ورابحة . ولكن نجاحاً معنوياً وفتحاً فكرياً على الصعيد العالمي

وربحاً عاطفياً ووجدانياً عمَّ النوع الانساني بكل شعوبه وطوائفه وقومياته حيث تميز لهم الرشد من الغي والحق من الباطل والإسلام الصحيح من الجاهلية المبرقعة بشعار الإسلام . وأخيراً اتضح وتأكد للجميع ان السبب الأول لحدوث هذه المأساة المخزية هو يوم السقيفة يوم وقوع الانقلاب الجاهلي ضد آل بيت النبي ( ص ) يوم اغتصاب الخلافة من صاحبها الشرعي والطبيعي علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) . . . وأما النصر العسكري والنجاح المسلح فليسا دائماً دليلاً على النجاح الحقيقي على حد الكلمة المأثورة : جولة الباطل ساعة وجولة الحق إلى قيام الساعة ( والعاقبة للتقوى . . . ) .

* * *



# هل هناك ثمرة من ثورة الحسين (ع) للمسلمين ككل ؟

أيها القارىء الكريم لا تظن أن ثورة الحسين (ع) وتضحياته السخية المباركة قد خدمت التشيع فحسب . كلا . . بل وخدمت المسلمين كأمة واحدة وبأجمعهم أيضاً وذلك بما ولدته فيهم من وعي وإحساس تنبهوا بهما إلى أمر خطير وغلط كبير جداً كان محدقاً بهم وكاد أن يبدل دينهم وهم لا يشعرون .

وهو أن المسلمين من حيث العموم كانوا ينظرون إلى الخلفاء والأمراء الذين حكموهم منذ أن قبض النبي محمد (ع) بصفة مزدوجة هي صفة المشرعين والمنفذين في آن واحد أي كانوا يتصورون أن الخليفة له صلاحية التشريع والتحليل والتحريم والتغيير والتبديل وبالتالي فله حق الاجتهاد واعمال الرأي ضد نصوص القرآن والسنة الثابتة . كما له حق التطبيق وصلاحية التنفيذ قياساً لهم على رسول الله (ص) الذي كان هو المشرع والمنفذ معاً ومن هذه النظرة الخاطئة من المسلمين إلى حكامهم تجرأ بعض أولئك الحكام على

الاجتهاد ضد نصوص الكتاب والسنة الشريفة وعلى التلاعب بأحكام الإسلام حسب شهواتهم ومصالحهم .

فما أن التحق رسول الله ( ص ) بالرفيق الأعلى حتى بدأ الاختلاف بين سيرته وسيرة المسؤولين بعده إلى أن جاء دور عثمان فكان الاختلاف بين سيرته وسنة رسول الله بلغ إلى حد قالت عنه أم المؤمنين عائشة وقد أخرجت ثوباً من ثياب النبي ( ع ) تعرضه على الناس . انظروا هذا ثوب رسول الله بعد لم يبل وعثمان قد أبلى سنته .

والخطر الأكبر الذي كان يكمن في تلك الظاهرة هو أن المسلمين كانوا يأخذون تلك التصرفات الشاذة عن نصوص القرآن والسنة الشريفة من قبل الخلفاء بعين الاعتبار وبأنها من صميم الاسلام وشريعة الله تعالى . لذا فقد استغل الأمويون تلك النظرة أكبر فرصة لهم في سبيل تحقيق مؤامراتهم العدوانية ضد الإسلام ونبي الإسلام فأخذوا يحرفون ويشوهون ويتلاعبون بشعائره ومقدساته حيثما شاءوا . فمن ذلك مثلاً أن معاوية صلى بهم ذات مرة صلاة الجمعة يوم الأربعاء فصلوها معه . وسن لهم سب الإمام أمير المؤمنين على المنابر وفي صلاة الجمعة . وأعطى الجزية للرومان مقابل سحبه المرابطين على الحدود ليحارب بهم أمير المؤمنين ( ع ) ولبس الحرير والذهب وشرب الخمر وقتل النفوس المحترمة على الظنة والتهمة وألحق زياد بن سمية بأبيه أبي سفيان خلافاً لنص الحديث الشريف : الولد للفراش وللعاهر الحجر وحوَّل الخلافة الإسلامية إلى ملك وراثي عضوض . والخ . وإلى غير ذلك من بدعه ومخالفاته التي يطول شرحها وقد بلغت به الجرأة على التلاعب بالدين إلى حد حاول اسقاط الشهادة بالرسالة لمحمد ( ص ) من الأذان فقال في تصريح له مع المغيرة بن شعبة ما مضمونه . اني لا

ارى نفسي منتصراً ما دام ذكر محمد الهاشمي ينادى به على المآذن في كل يوم خمس مرات . وكان الناس يأخذون تلك البدع بعين الاعتبار وإنها من الدين كما قدمنا . ولكن بعد ثورة الحسين ( ع ) تغيرت نظرة المسلمين إلى الحكام والأمراء وظهروا أمام الرأي العام الإسلامي على أنهم سلاطين جور وحكام بالقهر والغلبة وملوك دنيويون ليس لهم صفة شرعية ولا سلطة تشريعية . فالإسلام شيء وسيرة الحكام والأمراء الذين يحكمون المسلمين شيء آخر لا يمثل أحدهما الآخر في شيء أبداً .

ولهذا التبدل والفصل بين الحكام وأعمالهم من جهة وبين الإسلام والمسلمين من جهة أخرى بقي الإسلام محفوظاً ومصاناً في أطار الكتاب والسنة الشريفة على الصعيد الفكري إلى يومنا هذا . ولولا ذلك لكان الإسلام خبراً بعد عين ولكان المسلمون اليوم أمة جاهلية أباحية لا تعرف الله ولا تؤمن بنبي ولا تقرأ كتاباً .

وليس أدل على ذلك أي على ما قلناه من أن ثورة الحسين ( ع ) عزلت الحكام عن الشعب وانتزعت منهم صلاحية التشريع وصفة الشرعية عن سلوكهم . من ظهور الطوائف ، وتعدد المذاهب وتزايد الفرق الإسلامية بعد عصر الحسين ( ع ) مباشرة . ووجه الدلالة فيه هو من حيث أن الحكام لما شعروا بمقت الأمة لهم وتنفر الرأي العام منهم وان الحسين ( ع ) قد انتزع بثورته المقدسة الخالدة . السلطة الروحية من أيديهم وبالتالي تبيّن لهم أنهم أصبحوا معزولين عن الشعب روحياً ودينياً لذا حاولوا أن يستعيدوا سلطتهم على الأمة وسيطرتهم على الشعب ولو من طريق غير مباشر أي بواسطة عملاء لهم من رجال الدين والعلماء الذين تغريهم المناصب وتستغويهم الأموال امثال أبي هريرة وشريح القاضي وسمرة بن جندب وعكرمة والشعبي والزهري وغيرهم . ليكون هؤلاء العملاء

كحلقة وصل بين الشعب والحكام ينفذون سياسة الحكام ويبررون اجرامهم ويدعمون سلطانهم اللاشرعي ومن ثمة يكونوا سلاحاً بيد السلطات يحاربون بهم الدين ويدافعون بهم عن حكمهم وسلطانهم القائم باسم الدين .

وهكذا كان . فقد بدأ الحكام بعد الحسين سياسة التفرقة الطائفية وتمزيق وحدة المسلمين بالطائفية وتعدد المذاهب التي بلغت في أواسط الدولة العباسية إلى أكثر من ثلاثمائة طائفة وفرقة وكل طائفة تنتمي وتنتسب إلى رجل دين أو عالم أو محدث إما مساير للسياسة والحكام كلياً . أو سلبي مجامل لهم على أحسن الفروض وبذلك نجحت سياسة ( فرق تسد ) في خدمة الحكام نجاحاً كبيراً وظلوا محتفظين بكراسيهم وسيطرتهم من هذا الطريق . وظل أئمة الهدى من أهل البيت ( عليهم السلام ) ومعهم شيعتهم وأصحابهم هم الطائفة الوحيدة بين تلك الطوائف الإسلامية الكثيرة الذين يمثلون الحزب المعارض لتلك الحكومات الجائرة والذين يقفون في وجه أولئك العلماء الدجالين ورجال الدين المنافقين السائرين في ركاب الحكام والأمراء . فهذا مثلاً الإمام جعفر بن محمد الصادق ( عليه السلام ) بعث اليه المنصور الدوانيقي مرة يقول له يا ابا عبد الله هلا تغشانا وتزورنا كما يغشانا غيرك من العلماء . فأرسل إليه الإمام ( ع ) يقول له ليس عندنا من الدنيا ما نخافك عليه وليس عندك من الآخرة ما نرجوك له ولستَ في نعمة حتى نهنيّك ولا ترى نفسك في مصيبة حتى نعزيك وقد قال رسول الله ( ص ) إذا رأيتم العلماء على أبواب الأمراء فقولوا بئس العلماء وبئس الأمراء وإذا رأيتم الأمراء على ابواب العلماء فقولوا نعم العلماء ونعم الأمراء . فعلام نصحبك بعد هذا . فأرسل إليه المنصور ثانية يقول له تصحبنا لتنصحنا . فقال الإمام ( عليه السلام ) ان من يريد الدنيا لا ينصحك

وان من يريد الآخرة لا يصحبك .

ولقد بذل الحكام جهوداً كثيرةً وحاولوا شتى المحاولات لكي يستميلوا أهل البيت ( ع ) نحوهم ويجذبوهم إلى جانبهم ليكسبوا تأيدهم . ولكن فشلوا وخاب ظنهم وما وجدوا من آل محمد ( ص ) إلا الاستقامة على الحق والتصلب ضد الباطل واعلان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذهم في الله لومة لائم . لذلك قابلوهم بكل ظلم واضطهاد وحاربوهم بكل قسوة وعنف واضطهدوا شيعتهم ومنعوا الناس من الوصول إليهم وأغلقوا أبوابهم و ( تركوهم شتى مصارعهم وأجمعها فظيعة ) :

فمكابد للسم قد سقيت　　حشاشته نقيعه
ومضرج بالسيف آثر　　عزه وأبى خضوعه
ومصفد لله سلم أمر　　ما قاسا جميعه
وسبية بانت بأفعى　　الهم مهجها لسعه

وهذا الاضطهاد والتعسف الذي مارسه الحكام ضد أئمة الهدى من آل البيت ( ع ) هو السبب في انقسام الشيعة أنفسهم إلى عدة فرق وطوائف أيضاً لأن امام الحق كان ممنوعاً من اظهار نفسه والدعوة إليه وكان بسطاء من الشيعة يخدعون بالدعايات المضللة والمظاهر الجذابة فليتفون حول بعض الأشخاص من أبناء الأئمة ( عليهم السلام ) أو من أقاربهم ويقولون بإمامتهم . مثل الكيسانية الذين دانوا بإمامة محمد بن الحنفية ( ره ) بعد الحسين ( ع ) لما كان يتحلى به محمد من علم وشجاعة وانه ابن الإمام علي ( ع ) وأخو الحسين ( ع ) وبالتالي هو أكبر من الإمام زين العابدين ( ع ) .

ثم الزيدية الذين دانوا بإمامة زيد بن علي بن الحسين ( ع ) بدل الإمام محمد الباقر ( ع ) . ثم الاسماعيلية الذين قالوا بإمامة

اسماعيل بن الصادق ( ع ) بدل أخيه الإمام موسى الكاظم ( ع ) . وهكذا إلى غيرها من الفرق الشيعية الأصل والتي شذت عن طريق الحق بسبب اختفاء صوت امام الحق أو الارهاب الذي كان يحول دون وصولهم إلى امام الحق وقد أبيد أكثر تلك الطوائف والفرق ولم يبق منها إلى اليوم سوى الطائفة الزيدية في اليمن والطائفة الاسماعيلية في الهند والباكستان . إلى جانب الطائفة الحقة الجعفرية الإمامية الذين يشكلون أكبر طائفة إسلامية في العالم والذين ساروا مع التشيع الصحيح إلى آخر الشوط ودانوا بإمامة الأئمة الأثني عشر المنصوص عليهم من رسول الله ( ص ) بالإمامة وهم علي بن أبي طالب ثم ابنه الحسن ( ع ) ثم أخوه الحسين ( ع ) ثم ابنه علي زين العابدين ( ع ) ثم ابنه محمد الباقر ( ع ) ثم ابنه جعفر الصادق ( ع ) ثم ابنه موسى الكاظم ( ع ) ثم ابنه علي الرضا ( ع ) ثم ابنه محمد الجواد ( ع ) ثم ابنه علي الهادي ( ع ) ثم ابنه الحسن العسكري ( ع ) ثم ابنه محمد المهدي ( ع ) صاحب العصر والزمان عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

وهنا بمناسبة ذكر صاحب الزمان يتولد سؤال كثيراً ما يتساءل به شباب عصرنا الحاضر حول هذا الإمام الثاني عشر عند الشيعة الجعفرية الذي يعتقد فيه أنه غاب عن الأبصار بعد وفاة أبيه الإمام الحادي عشر الحسن العسكري ( عليه السلام ) وذلك قبل أكثر من ألف ومائة وعشرين عاماً أي في سنة ٢٦٠ من الهجرة وهو لا يزال حياً يرزق حتى الآن في هذه الدنيا إلى أن يأذن الله له بالظهور فيظهر ويطهر العالم من الظلم والجور والفساد في وقت لا يعرفه على وجه التحديد إلا الله تعالى .

والسؤال في هذا الموضوع يدور غالباً حول بقائه حياً هذه المدة الطويلة وانه كيف يعيش انسان حوالي ألف ومائة وعشرين سنة

ولا يزال حياً إلى ما شاء الله ؟

الجواب : أولاً من الناحية العلمية لا مانع في ذلك ولا استحالة . لأن العلم لم يحدد عمر الانسان وإنما حدد أسباب الوفاة وهي تتلخص في اختلال المزاج والتوازن الصحي واصابة الأعضاء الرئيسية في الجسم بعطب خطير فكلما حافظ الانسان على توازن صحته وسلامة أعضائه الرئيسية كلما استمر بقائه وطالت حياته ومن هنا يختلف الناس في طول البقاء وقصره تبعاً لسلامة أجسامهم من الأمراض .

ومما لا شك فيه أن الإمام المعصوم المؤيد من قبل الله تعالى يكون أعرف الناس بقوانين الوقاية الصحيحة وأكثر الناس عملاً بها وتمسكاً بها فلا بد أن يكون أطول الناس عمراً وأكثرهم بقاء في هذه الحياة . وقد حدثنا التاريخ عن أشخاص عمروا في الدنيا مئات السنين مثل نوح ( عليه السلام ) الذي عمر أكثر من ألف وخمسمائة سنة وغيره كثيرون ممن عمر مدداً تراوح بين المائة سنة والألف سنة وأحوالهم مذكورة في بطون كتب التاريخ والمعمرين ومنهم مثلاً سطيح كاهن الشام الذي عاش ثلاثين قرناً حسب نصوص التاريخ ومات بعد ولادة النبي محمد ( ص ) بمدة قليلة وقصته معروفة . . .

وثانياً من الناحية العقلية فلا مانع فيه ايضاً أذ لا يلزم منه تناقض ولا تضاد . واخيراً فان القضية برمتها ارادة الهية واذا اراد الله شيئاً هيأ اسبابه وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير . وهي ليست باعجب من قضيتي البرزخ والمعاد وغيرهما . والواقع أن البحث حول الإمام المهدي ( ع ) يحتاج الى تفصيل واسع لا يسعه المقام وسنعود إليه بمناسبة أخرى إن شاء الله .

والخلاصة هي : أن ثورة الحسين ( ع ) حفظت للمسلمين

اسلامهم من خطر انقلاب جاهلي ماحق وعرفتهم بـأعدائهم المتسترين بثياب الإسلام والحاكمين باسم الإسلام وبعثت فيهم روح الثورة والمعارضة ضد أولئك الأعداء وحفظت لهم شخصيتهم الإسلامية وقد أجاد المرحوم السيد جعفر الحلي (ره) حيث قال :

يوم بحامية الإسلام قد نهضت ... له حمية دين الله إذ تـركا
رأى بأن سبيل الغـيِّ متّبَـعٌ ... والرشد لم تدرِ قومٌ أية سلكا
والناس عادت إليهم جاهليتهم ... كأن من شرع الإسلام قد أفكا
وقد تحكّم بالإسـلام طاغيـة ... يمسي ويصبح بالفحشاء منهمكا
لم أدري أين رجال المسلمين مضوا ... وكيف صار يزيد بينهم ملكا
العاصر الخمر من لئم بعنصره ... ومن خساسة طبع يعصر الودكا
لئن جرت لفظة التوحيد في فمه ... فسيفه بحشا التوحيد قد فتكا
قد أصبح الدين منه يشتكي سقَماً ... وما إلى أحد غير الحسين شكا
فما رأى السبط للدين الحنيف شفاً ... إلا إذا دمه في كربلا سفكا
وما سمعنا عليلاً لا علاج له ... إلا بنفس مداوية إذا هلكـا
نفسي الفداء لفادٍ شرع والده ... بنفسـه وبـأهليـه ومـا ملكـا
بقتله فاح للإسلام نشر هدىً ... وكلّما ذكرته المسلمون زكـا

* * *

# هل يصح البكاء على الحسين (ع) وهو الثائر الفاتح ؟

يقول الأعسم (ره) وهو يخاطب الحسين (ع) :

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة لكنما عيني لأجلك باكيه
تبتل منكم كربلا بدم ولا تبتل مني بالدموع الجاريه

تعرفنا في بحث سابق على أن الذين قتلوا الحسين (ع) بكربلا لم يكونوا شيعة ولم يكن فيهم شيعي واحد قط . وعليه : فبكاء الشيعة اليوم وقبل اليوم على مصاب الحسين (ع) ليس بدافع الشعور بالاثم أو لغرض التكفير عن جريمة الآباء حسب ما يتهمهم المغرضون ويشوه عليهم الجاهلون .

والسؤال الآن هو :

إذاً ما وجه الصحة وما المبرر في بكاء الشيعة على الحسين (ع) بعد علمنا أن الحسين ثائر ناجح في ثورته محقق لكثير من أهدافه السامية في اظهار الحق وفضح الباطل . فلماذا هذا النوح

والبكاء والأسى ومظاهر الحداد في كل عام ؟

فنقول : أولاً أن البكاء والتأثر على الحسين ( ع ) ليس فرضاً إسلامياً ولا واجباً شرعياً ولا ركناً من أركان التشيع بحيث لا يتم بدونه ولا يتحقق بتركه .

وإنما هو ظاهرة حب وولاء للحسين ( ع ) وهل يمكن أن تنزل نكبة ومصيبة بحبيب لك وعزيز عليك ثم لا تبكي ولا تتأثر منها . والحسين ( ع ) حبيب كل مؤمن وعزيز كل انسان وقد أصيب بأعظم المصائب وأفدح الكوارث لأجل الحق والعدالة دفاعاً عن الإيمان والانسانية فكيف لا يبكيه المؤمن أو لا يتأثر عليه الانسان . ومع غض النظر عن هذا فإن في البكاء عليه، وجوهاً أخرى للحسن والصحة نذكر بعضها فيما يلي :

**الوجه الأول** : توقع الثواب من الله سبحانه والأجر منه تعالى في الآخرة حيث أن في البكاء على الحسين ( ع ) تآسي بالنبي الأكرم وأهل بيته المعصومين ( ع ) إذ قد ثبت بالتواتر أن رسول الله ( ص ) كان يعلم بما جرى على الحسين ( ع ) بعده وبكى على مصابه في عدة مواطن ولعن قاتليه وعبر عنهم بأشرار الأمة . وكذلك ابنته فاطمة الزهراء ( ع ) والإمام أمير المؤمنين ( ع ) والحسن السبط قد ثبت عنهم في الأخبار الصحيحة أنهم بكوا على مصاب الحسين ( ع ) كلما تذكروه .

وأما بكاء الأئمة المعصومين على الحسين بعده فمعروف مشهور فهذا مثلاً الإمام زين العابدين ( ع ) عاش بعد أبيه الحسين خمساً وثلاثين سنة ما قدم بين يديه طعام ولا شراب إلا وتذكر أباه الحسين ( ع ) وبكى وهو يقول كيف آكل وقد قتل أبي جائعاً وكيف أشرب وقد قتل أبي عطشاناً . وذاك امامنا موسى بن جعفر الكاظم

( ع ) الذي كان إذا أهلّ عليه شهر المحرم لا يرى ضاحكاً حتى تمضي منه تسعة أيام فإذا كان اليوم العاشر منه كان يوم بكائه ومصيبته وحزنه .

وقبله أبوه الإمام الصادق ( ع ) الذي دخل عليه الراوي يوم العاشر من المحرم فوجده كاسف اللون باكياً حزيناً وكان غافلاً عن يوم عاشوراء فلما سأل الإمام ( ع ) عن السبب قال ( ع ) أو غافل أنت عن هذا اليوم الذي قتل فيه الحسين ( ع ) فمن جعله يوم حزنه ومصيبته جعل الله له يوم القيامة يوم فرحه وسروره وقرت بنا في الجنان عينه . . . إلى أن قال ( عليه السلام )أن يوم الحسين أقرح جفوننا واسبل دموعنا واذل عزيزنا واورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء فعلى مثل الحسين فليبكي الباكون فإنه ذبح كما يذبح الكبش .

ولا تنسى الإمام الرضا ( ع ) الذي يقول عنه دعبل بن علي الخزاعي ( ره ) أنشدته فبكى حتى أغمي عليه فأمسكته حتى أفاق فقال أنشد يا دعبل فأنشدته فبكى حتى أغمي عليه ثانية وهكذا إلى ثلاث مرات . وهو القائل ( عليه السلام ) كل جزع وبكاء مكروه للعبد إلا الجزع والبكاء على الحسين ( ع ) فإنه فيه مأجور .

فكيف لا يحسن البكاء على الحسين ( ع ) والحزن والحداد على مصابه بعد أن بكاه النبي محمد ( ص ) وآله أهل بيت العصمة . وهل التآسي برسول الله مكروه وقبيح بعد أن أمرنا الله تعالى في كتابه العزيز بالتآسي به على وجه عام فقال سبحانه . لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً . . . ( سورة الأحزاب ٢١ ) .

وهل يسوغ للمؤمن أن يرغب عن التآسي بآل البيت ( ع ) بعد

أن ثبت عنده أن يوم الحسين ( ع ) كان مثاراً للحزن ومدعاة للأسى والبكاء بالنسبة لهم ( عليهم السلام ) دائماً وفي كل الأحوال والمناسبات . ورد في أحوال الإمام الصادق ( عليه السلام ) أنه كان إذا ذكر جده الحسين ( ع ) أو ذكر عنده لا يرى ضاحكاً طيلة ذلك اليوم وتغلب عليه الكآبة والحزن . وكان ( عليه السلام ) يتسلى عن المصائب التي ترد عليه من قبل الأعداء بمصائب الحسين ( ع ) فمن ذلك مثلاً .

لما أمر المنصور الدوانيقي عامله على المدينة أن يحرق على أبي عبد الله الصادق ( ع ) داره فجاءوا بالحطب الجزل ووضعوه على باب دار الصادق ( ع ) وأضرموا فيه النار فلما أخذت النار ما في الدهليز تصايحن العلويات داخل الدار وارتفعت أصواتهن فخرج الإمام الصادق ( ع ) وعليه قميص وازار وفي رجليه نعلان وجعل يخمد النار ويطفىء الحريق حتى قضى عليها فلما كان الغد دخل عليه بعض شيعته يسلونه فوجدوه حزيناً باكياً فقالوا ممن هذا التأثر والبكاء أمن جرأة القوم عليكم أهل البيت وليس منهم بأول مرة ؟ فقال الإمام ( ع ) لا . . . ولكن لما أخذت النار ما في الدهليز نظرت إلى نسائي وبناتي يتراكضن في صحن الدار من حجرة إلى حجرة ومن مكان إلى مكان هذا وأنا معهن في الدار فتذكرت روعة عيال جدي الحسين ( ع ) يوم عاشوراء لما هجم القوم عليهن ومناديهم ينادي أحرقوا بيوت الظالمين .

فالغرض : إن البكاء على الحسين ( ع ) والتأثر من مصائبه واظهار الحزن والأسى يوم قتله كل ذلك أمر محبوب ومرغوب فيه لأنه من التآسي برسول الله ( ص ) وبأهل بيته الطاهرين ( ع ) وقد قال الإمام الحسن العسكري ( ع ) في كلمته المعروفة : « شيعتنا منا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا . الخ » .

الوجه الثاني : تعظيم شعائر الحسين (ع) وتعزيز عظمته وتكريم مقامه أمام الرأي العام حيث ورد عن الرسول (ص) قوله : (ميت لا بواكي عليه لا اعزاز له) أي لا احترام له . وهو أمر طبيعي، لأن القيمة المعنويةللفقيد وعظمته الانسانية تعرف عند من لا يعرفونه من عظيم أثر فقده في نفوس عارفيه وكلما عظم الفقيد عظم مصابه على الناس وفي هذا المعنى قال بعض الأدباء . . .

ومن يكُ اعلا الناس شأناً ومفخراً     يكن رزئه في الناس ادها وافظعا

ولذا غضب رسول الله (ص) لما لم يسمع البكاء على عمه حمزة بن عبد المطلب بعد رجوعه من معركة أحد . وذلك لأن حمزة لم يكن عنده أحد في الدار يبكون عليه فقال النبي (ص) متأثراً وخاصة لما سمع البكاء على الشهداء من الأنصار . قال ولكن عمي حمزة لا بواكي عليه . فلما سمع الأنصار بعثوا إلى دار حمزة من يبكي عليه فسرّ رسول الله (ص) وقال على مثل حمزة فلتبكي البواكي . . . فلا شك في أن الميت الذي لا يبكي لفقده ولا يحزن على موته لا قيمة له في نظر الناس وان ذلك دليل حقارته وضعف شخصيته ومقامه وهذا أمر عرفي ومنطقي . وقد أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيه فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » .

معلوم أن الغرض من بكاء السماء والأرض هو أهل السماء وأهل الأرض . أي أنهم ماتوا غير مأسوف عليهم ولم يؤثر موتهم حزناً في نفس أحد ولا فقدهم فراغاً في الحياة بعدهم . وهذا دليل هوانهم على الناس واحتقارهم في نظر الناس وانعدام احترامهم بين الناس رغم قوتهم وقدرتهم المالية ورغم ملكهم وسلطانهم الذي

كانوا قد فرضوه على الناس .

سئل الإمام علي ( عليه السلام ) : ما هو حسن الخلق يا أمير المؤمنين فقال ( ع ) هو أن تعاشروا الناس معاشرة ان عشتم حنوا اليكم وإن متم بكوا عليكم . وقد أوصى الإمام محمد الباقر ( عليه السلام ) ابنه الصادق ( ع ) بأن يقيم له مأتماً خاصاً في منى من مكة المكرمة ايام موسم الحج ولمدة عشر سنوات على الأقل اظهاراً لمقامه المجهول لدى عامة الناس بسبب ظلم الأمويين واضطهادهم له ( عليه السلام ) .

فأي وسيلة يمكن أن يعبّر بها عن عظم منزلة الفقيد بين أصحابه ومحبيه أقوى دلالة وأوضح تعبيراً من البكاء عليه ثم أي ظاهرة أدل وأوضح تعبيراً عن شديد حبنا للفقيد وعظيم تعلقنا بالفقيد من ظاهرة البكاء عليه وجريان الدموع لموته .

وهل رأيت أو سمعت أن زعيماً شعبياً في العالم مات أو قتل ولم يبك عليه أتباعه وأنصاره وشعبه . ولم يجعلوا يوم وفاته يوم حداد وأسى وخاصة إذا كان موته بصورة مفجعة وقاسية اي ان يقتل عطشاناً وكذلك تقتل أولاده وأطفاله وأخوانه وعشيرته وتقطّع رؤوسهم وترض أجسادهم بحوافر الخيل وتحرق خيامه على نسائه وينهب ثقله وو . . إلى آخر ما هناك من صور إجرامية ووحشية تقشعر منها الجلود وتفتت الأكبار والقلوب .

ولا يقال هنا بأن حادثة الحسين ( ع ) قديمة جداً قد مضى عليها أكثر من ثلاثة عشر قرن فإلى متى هذا البكاء لها والحزن عليها وكل فقيد في العالم مهما عظم فإنما يبكي عليه لأيام معدودة ثم يطوى ذكره في زوايا التاريخ وبطون الكتب ؟

لأنا نقول : أولاً أن عظمة الحسين ( ع ) تفوق عظمة كل عظيم

في العالم بعد جده المصطفى ( ص ) وأبيه المرتضى ( ع ) فقياسه على غيره من عظماء الانسانية قياس مع الفارق الكبير وكذلك قياس الحداد عليه على الحداد على سائر العظماء في العالم قياس باطل .

وثانياً أن الكيفية التي فقد عليها الحسين ( ع ) لم يفتقد عليها حتى الآن أي فقيد قط . قتل جائعاً عطشاناً شعثاً مغبراً غريباً وحيداً ثاكلًا مكروباً مستضعفاً يستغيث فلا يغاث ويستجير فلا يجار ويستعين فلا يعان يسمع ضجيج عياله وصراخ أطفاله وهم بين الآلاف من الأعداء ينتظرون منهم كل مكروه . ومن الناحية الثانية ينظر إلى قومه وصحبه حوله مجزرين كالأضاحي . مع العلم بأن الذين قتلوه هم أمة جده المصطفى محمد ( ص ) الذي انقذهم من الذل والهوان الى العزة والكرامة ومن الشرك والضلال الى التوحيد والهداية والذي لم يطلب منهم اجراً على جهاده واتعابه الا مودة اهل بيته وقرباه والحسين منهم . وبعد كل هذا وذاك فإن الذين قتلوا الحسين ( ع ) هم الذين ثار لأجلهم وقام لأنقاذهم من الظلم والاضطهاد .

لذلك فإن فقده فريد في بابه جديد أبداً ودائماً لا يؤثر عليه مرور الزمن ولا يخفف من وقعه تعاقب القرون والأجيال فهو كما قال عنه الأدباء والشعراء قديماً وحديثاً .

فقال بعضهم :

فقيد تعفى كل رزء ورزءه    جديد على الأيام سامي المعالم

وقال الآخر :

وفجائع الأيام تبقى مدة وتزول    وهي إلى القيامة باقيه

وقال الآخر :

كذب الموت فالحسين مخلد . . كلمة مرت الدهور تجدد

وقال آخر :

مصاب له طاشت عقول ذوي الحجا إذا ما تعفا كل رزءٍ تجدَّدا

لقد صلب المسيح عيسى بن مريم ( عليه السلام ) حسب زعم المسيحيين قبل ألفي عام تقريباً وها هم المسيحيون لا يزالون يجدّدون ذكرى صلبه كل عام ويبكون له ويحزنون . وقد اتخذوا من خشبة صلبه شعاراً عاماً لهم يرفعونه فوق كل المؤسسات والجمعيات والكنائس معلنين بذلك أسفهم وحزنهم على مصابه ومأساته . مع العلم بأن مأساة المسيح ( ع ) بسيطة جداً في جنب مأساة الحسين ( ع ) . فلماذا يلام الشيعة على حزنهم وبكائهم لمأساة الحسين ( ع ) ولا يلام غيرهم على الحزن والبكاء لمأساة سائر العظماء ؟ .

والخلاصة هي : أن هناك شخصيات وحوادث في العالم لا يستطيع التاريخ هضمها ولا الزمان اسدال الستار عليها ولا الأجيال نسيانها لسبب بسيط . وهو عقم الأيام عن الأتيان بمثلها . وفي طليعة تلك الشخصيات شخصية الحسين ( ع ) وفي طليعة تلك الحوادث حادثة عاشوراء . . .

**الوجه الثالث** : هو أن البكاء على الحسين ( ع ) يرمز إلى تأييد الحسين ( ع ) في ثورته المباركة واعلان الثورة العاطفية على الظلم والظالمين . والتعبير عن أعمق مشاعر الاستنكار والسخط ضد أعداء الحق والعدل . والاعراب عن الأسف على عدم وجودنا في صفوف أصحاب الحسين سادات الشهداء الخالدين وعدم نيلنا توفيق وسعادة نصرة الحسين ( ع ) في يوم عاشوراء . فيا ليتنا كنا معك أبا عبد الله لبيك داعي الله ان كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني

عند استنصارك فقد اجابك قلبي وسمعي وبصري . . .

هذا لسان حال شيعة الحسين في كل مكان وزمان فاجابة القلب بالإيمان بمبدأ الحسين الذي قتل لأجله . واجابة السمع بالاستماع إلى سيرة الحسين وأقواله . واجابة البصر سكب الدموع على مآسي الحسين (ع) .

فالبكاء لكل واحد من هذه الأهداف والغايات الثلاث أمر طبيعي وعقلائي وظاهرة فطرية خيِّرة من ظواهر الفطرة السليمة التي وقاها الله تعالى من نكسة القساوة والغلظة وتحجر الضمير وهي أخطر الأمراض النفسية والانحرافات الروحية التي يتعرض لها بعض الأفراد وقانا الله شرها وهي المعبَّر عنها بموت القلب . وإليك ما قاله الاستاذ العقاد ص ١٩٠ من كتابه ( أبو الشهداء ) ان الطبائع الآدمية قد أشربت حب الشهداء والعطف عليهم وتقديس ذكرهم بغير تلقين وإنما تنحرف عن سواء هذه السنة لعوارض طارئة تمنعها أن تستقيم أو من نكسة في الطبع . لأن العطف الانساني نحو الشهداء هو كل ما يملك التاريخ من جزاء . الخ . . .

هل تتصور أيها القارىء الكريم انساناً يستمع إلى تلك المآسي الجسام التي وقعت على الحسين (ع) وآله من الصغار والكبار والرجال والنساء ولا ينكسر قلبه ولا يتأثر وجدانه ولا يتحرك ضميره ثم تعتبره انساناً طبيعياً سليم الفطرة ؟ كيف وقد قال الحسين (ع) نفسه في المأثور عنه إنا قتيل العبرة ما ذكرت عند مؤمن إلا استعبر . وجاء في الحديث الشريف عن رسول الله (ص) قوله : جفاف العيون من قساوة القلوب وما ضرب بن آدم بعقوبة أشد عليه من قساوة القلب . وقد وصف الله سبحانه المؤمنين بقوله ( رحماء بينهم ) .

**والخلاصة** : لم يجد الخبراء وعلماء النفس والأخلاق بين الصفات الانسانية كلها صفة أفضل وأشرف من الرحمة ورقة القلب على الآخرين حتى أن بعض الفلاسفة عدل عن تعريف الانسان بالحيوان الناطق وهو التعريف المشهور . عدل عنه إلى أنه « حيوان ذو عطف » وعليه فلا انسانية مطلقاً بدون العطف على مصائب الآخرين وبدون الرحمة ورقة القلب على نكبات المظلومين ومآسي المنكوبين الذين يمثل الحسين ( ع ) اظهر مصداقٍ منهم فهو اعظم المنكوبين والمظلومين في العالم فأي انسان سليم القطرة لا يحزن له ولا يتأثر عليه . والحقيقة أن الشيخ الأعسم رحمه الله قد مثل في البيتين السابقين شعور كل انسان سليم الفطرة تجاه الحسين ( ع ) حيث قال :

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة لكنما عيني لأجلك باكيـة
تبتـل منكم كربـلا بدم ولا تبتلّ مني بالدموع الجارية ؟

* * *

# ما الحكمة من زيارة قبر الحسين ( ع ) ؟

قال بعض الأدباء :

بزوار الحسين خلطت نفسي لتحسب منهم يوم العداد
فإن عدت فقد سعدت وإلا فقد فازت بتكثير السواد

وهذه ظاهرة أخرى عند الشيعة .

لم تسلم أيضاً من النقد أحياناً ومن التساؤل والاستفهام عنها أحياناً أخرى وهي زيارة قبر الحسين ( ع ) بكربلاء من أرض العراق في مواسم عدة من أيام السنة وخاصة يوم عاشوراء وهو يوم ذكرى مصرعه ويوم الأربعين أي العشرين من شهر صفر وهو يوم ذكرى عودة الرأس الشريف من الشام والتحاقه بالجسد على يد الإمام زين العابدين ( ع ) الذي عاد في ذلك اليوم مع السبايا من الشام في طريقهم إلى المدينة المنورة فصادف وصولهم إلى كربلاء في يوم الأربعين بعد قتل الحسين ( ع ) .

وهناك مواسم أخرى لزيارة قبر الحسين في خلال السنة مثل ليلة النصف من شعبان وليلة القدر من شهر رمضان ويوم عرفة ويوم

عيد الفطر ويوم عيد الأضحى وغيرها تمتليء فيها مدينة كربلاء بالزائرين من الشيعة والقادمين اليها من كل مكان .

وهذه الظاهرة ليست جديدة عند الشيعة وإنما هي سنّة مستمرة بينهم منذ تاريخ قتل الحسين ومنذ سنة إحدى وستين هجرية حتى الآن وقد حافظوا على القيام بزيارة قبر الحسين بكل إمكانياتهم وقابلوا لأدائها تحديات جمة كلفتهم الأموال والأنفس في كل من العهدين المشؤومين الأموي والعباسي .

والآن وفي عصرنا يوجد أناس يتساءلون : ما هو الغرض العقلائي من زيارة قبر الحسين وخاصة إذا كانت الزيارة تستلزم شد الرحال وتجشم عناء السفر وصرف الأموال ؟

نقول : إن زيارة قبر الحسين ( ع ) خير موضوع فمن شاء استقل ومن شاء استكثر . على حد تعبير الإمام الصادق ( عليه السلام ) .

أجل إنه عمل صالح وموضوع حسن ومحبوب عقلاً وشرعاً . أما حسنه من الناحية العقلية فلأن تقديس العظماء وتمجيد الأبطال بعد موتهم نزعة فطرية وسنة عقلائية سائدة في كافة أنحاء العالم وبين جميع الأمم والشعوب العالمية والحضارات الانسانية منذ أقدم العصور وإلى يومنا هذا . بل إن عصرنا هذا وجيلنا الحاضر هو أكثر تمسكاً وأشد محافظة على هذا التقليد من السابق فنرى بعض الدول التي ليس لها زعيم سابق معروف وبطل عالمي شهير تمجد فيه البطولة والفداء في سبيل الأمة . يعمدون إلى بناء نصب تذكاري يسمونه ( الجندي المجهول ) يرمزون به إلى التضحية الفذة والفداء المثالي في سبيل الوطن ، ويمجدون فيه البطولة والشهامة . وها نحن نسمع ونقرأ ونرى إنه ما من رئيس دولة زار أو يزور دولة أخرى

في الشرق أو في الغرب إلا وكان في برامج زيارته موعد خاص لزيارة ضريح عظيم تلك الدولة أو مؤسسهاأو محررها . أو زيارة النصب التذكاري فيها للجندي المجهول . فيضع على ذلك الضريح أو ذلك النصب اكليلاً من الزهور ويؤدي التحية المرسومة .

حتى الدول الشيوعية التي نبذت كل التقاليد العامة والمراسيم القديمة فإنهم لا يزالون محتفظين بهذا التقليد ولا يمكن أن يزور زائر رسمي زيارة رسمية للاتحاد السوفياتي مثلاً ما لم يقصد قبر لينين مفجر الثورة الشيوعية في روسيا ويؤدي التحية لقبره . ومما يذكر بهذه المناسبة أن من مراسيم الاعياد عند أهالي موسكو أن يزوروا ضريح لينين كل عيد وفي كل مناسبة ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية لا يزال ضريح الرئيس جون كندي القتيل يزار من قبل آلاف الأمريكان في الأعياد والمناسبات وربما يبكون عليه أحياناً .

**والخلاصة** : هي أن زيارة قبور الأبطال ومراقد العظماء وأضرحة الشهداء سيرة عقلائية وسنة انسانية لا تخص قوماً أو أمة أو طائفة فلماذا يلام الشيعة أو ينتقدون إذا زاروا مرقد الإمام الحسين بكربلاء وهو سيد الشهداء الأحرار وقدوة القادة الأبطال والمثل الأعلى لرجال الاصلاح والفداء في العالم ، الذي أنقذ أمته من خطر المحو والزوال ودفع بها نحو الامام والسير على الطريق المستقيم بعد أن كلّفه ذلك جميع ما ملك في هذه الحياة . ففي زيارة قبر الحسين (ع) من المكاسب الروحية والفوائد الفكرية والأخلاقية ما ليس مثلها في زيارة أي مرقد وضريح آخر .

ولذا قال الإمام الصادق (ع) من زار الحسين (ع) عارفاً بحقه فكأنما زار الله في عرشه. وفي حديث آخر عنه (ع) قال زيارة الحسين (ع) فرض على كل من يؤمن للحسين (ع) بالولاية .

ألا ترى الشعوب الغير المسلمة تنحت الصور وتقيم التماثيل لرجالها المصلحين في الساحات العامة والمواقع الحساسة من مدنها . . . لماذا يصنعون ذلك . لا شك أنك تعرف أنهم يفعلون ذلك تكريماً لذكراهم وشكراً لتضحياتهم وتلقيناً لسيرتهم وعملهم إلى الشباب الحاضر والأجيال القادمة . غير أن الإسلام يحرم النحت وصنع التماثيل مطلقاً ولأي شخص كان فلذا ليس أمامنا نحن المسلمين لأجل تكريم زعمائنا المخلصين وشهدائنا الأحرار لأجل الاعراب عن شكرنا لهم ولأجل تلقين أجيالنا الطالعة سيرتهم ومبادءهم إلا زيارة قبورهم والوقوف أمام مراقدهم خاشعين مستوحين منها ذكريات التضحية والفداء في سبيل المصلحة العامة .

هذا منطق الشيعة وفلسفتها لهذه الظاهرة وهو كما تراه منطق العقل في كل زمان ومكان . وفي الختام اليك نبذة من كتاب ( أبو الشهداء ) للعقاد حول هذا الموضوع قال في ص ١٢٩ :

وشاءت المصادفات أن يساق ركب الحسين ( ع ) إلى كربلاء بعد أن حيل بينه وبين كل وجهة أخرى فاقترن تاريخها منذ ذلك اليوم بتاريخ الإسلام كله ومن حقه أن يقترن بتاريخ بني الانسان حيثما عرفت لهذا الانسان فضيلة يستحق بها التنويه والتخليد . فهي : أي كربلاء اليوم حرم يزوره المسلمون للعبرة والذكرى ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة ولكنها أي كربلاء ، لو أعطيت حقها من التنويه والتخليد لحق لها أن تصبح مزاراً لكل آدمي يعرف لبني نوعه نصيباً من القداسة وحظاً من الفضيلة لأننا لا نذكر بقعة من بقاع هذه الأرض يقترن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى وألزم لنوع الانسان من تلك التي اقترنت باسم كربلاء بعد مصرع الحسين ( ع ) فيها . فكل صفة من تلك الصفات العلوية التي بها الانسان انسان وبغيرها لا يحسب إلا ضرباً من الحيوان السائم فهي مقرونة

في الذاكرة بأيام الحسين (ع) في تلك البقعة الجرداء . انتهى محل الشاهد من كلام العقاد .

وأما من الناحية الشرعية فزيارة الحسين من المستحبّات المؤكدة في الأحاديث الشريفة والسنة الكريمة .

وقد التزم أهل البيت (ع) وشيعتهم بالحفاظ على زيارة الحسين (ع) في ظروف صعبة وشاقة وقد كلفتهم تضحياتٍ غالية . ففي عصر المتوكل العباسي مثلاً فرضت ضريبة مالية قدرها ألف دينار من ذهب على كل شخصٍ يرد كربلاء لزيارة قبر الحسين (ع) ولما رأت السلطات العباسية أن هذه الضريبة الباهظة لم تمنع الناس من زيارة الحسين (ع) أضافوا إليها ضريبة دموية فكانوا يقتلون من كل عشرة زائرين واحداً يعيّن من بينهم بطريق القرعة . وكان أئمة أهل البيت (ع) يعلمون ذلك كله ولم يمنعوا الناس من زيارة الحسين (ع) لما فيها من مكاسب روحية واجتماعية وسياسية للمؤمنين . بل يحثونهم على الاستمرار في زيارة قبر الحسين (ع) رغم كل الصعاب والعقبات . ويقولون لهم أن لزائر قبر الحسين (ع) بكل خطوة يخطوها حسنة عند الله سبحانه .

* * *



# هل في مراسيم عاشوراء عمل حرام شرعاً ؟

أكثر مما يثير الاستغراب والتساؤل في مظاهر عاشوراء عند الشيعة هوما يقوم به بعضهم من مظاهر عزائية قاسية تتصف بالعنف أحياناً مثل اللطم على الصدور العارية والضرب على الظهور والأكتاف المجردة بالسلاسل الحديدية الجارحة وإدماء الرؤوس بالسيوف وغير ذلك . مما يثير الاستغراب لدى البعض بل يثير الاستهجان والانتقاد لدى البعض الآخر ويتساءلون لماذا يفعل هؤلاء هكذا بأنفسهم ولماذا لا يمنعهم العلماء ورجال الدين وهل أن هذه الأعمال جائزة شرعاً وصحيحة بحسب العرف العقلائي ؟

والجواب على هذا السؤال هو :

أن تلك الأعمال من حيث الأصل مباحة شرعاً إذا كان القيام بها لهدف مشروع وغرض عقلائي ولم يترتب عليها ضرر كبير أو خطر على حياة الانسان . هذا ما يقوله العلماء مراجع التقليد العليا في كل زمان ومكان .

هذا من حيث الأصل .

وأما قيام الشيعة بها في عاشوراء فهو أولاً لأغراض عقلائية مشروعة وبدافع الحب والولاء الشديد للحسين (ع) . فهم بتلك الأعمال يعبرون عن تأسيهم بالحسين (ع) ومواساتهم له في تحمل ألم الجراح وجريان الدماء كما فعلته أخته العقيلة زينب(ع) حيث نطحت جبينها بمقدم القتب يقول الراوي حتى رأينا الدم يسيل من تحت قناعها وذلك لما أدخلت الى الكوفة ورأت رأس اخيها الحسين(ع)وفي نفس الوقت يمثلون بها دور العمل الفدائي في سبيل قضية الحسين (ع) التي استشهد دفاعاً عنها . ويظهرون استعدادهم للتضحية من أجلها بكل غال وعزيز . بالاضافة إلى أنها أي تلك الأعمال عندهم كتظاهرة كبرى ضد أعداء الحسين (ع) الذين يخطّئون الحسين (ع) في قيامه ضد الدولة الأموية ويبرّرون إقدام يزيد على قتل الحسين (ع)وهؤلاء موجودون بيننا وفي عصرنا بكثرة . ومن جهةٍ أخرى هي كتأيد عملي ودعم شعبي لثورته المقدسة وبالتالي هي استنكار صارخ للظلم والعدوان وتأييد للتحرر والاصلاح في كل زمان ومكان . كيف ومظاهر القسوة والعنف في أعمال الاحتجاج أمر متداول في عصرنا هذا . فكم نسمع عن أشخاص أحرقوا أنفسهم حتى الموت وأضربوا عن الطعام حتى أشرفوا على الموت بل وحتى الموت احياناً كل ذلك احتجاجاً على ظلم أو اعتداء فلم يسخر منهم شباب العصر بل يعتبرونهم بذلك أبطالاً مناضلين ولكن إذا قام شيعة أهل البيت بما هو أقل من ذلك وأبسط اتهموا بالسخف والرجعية والوحشية . . . لماذا ؟

أضف إلى ذلك أن قيامهم بتلك الأعمال هو بمثابة تدريب وتمرين على خلق الروح النضالية وعلى عمل التضحية والاستشهاد عندهم ليكونوا دائماً وأبداً على استعداد تام لتلبية نداء الحق وداعية الثورة الاصلاحية العالمية في أي وقت .

لا شك أن الروح النضالية الفعّالة والمعنوية العسكرية الراقية لا تتحققان لدى شباب الأمة بمجرد بعض التمارين الخالية الجوفاء والتمثيليات الفارغة التي لا تخلق سوى جيشاً انهزامياً فراراً غير كرارٍ يصدق عليهم قول الشاعر العربي القديم :

وفي الغزوات ما جربت نفسي ولكن في الهزيمة كالغزال

ويصدق عليهم قوله تعالى إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وأن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خُشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو .

أجل ان الاستهانة بالموت تحتاج إلى تهيوء وتدريب جدّي وتمارين شاقة خشنة . وإلا فالواقع ما قاله البطل الثائر زيد بن علي بن الحسين (ع) . ما كره قوم حر السيف إلا ذلوا .

**والخلاصة** : هي أن هذه دوافع الشيعة وأهدافهم لدى قيامهم بتلك الأعمال في عاشوراء وهي كما تراها دوافع مشروعة وأهداف عقلائية نافعة . هذا مع العلم بأنهم لا يرون فيها ضرراً ولا يحسون منها خطراً على صحتهم ولا على حياتهم حسب ما يؤكدونه هم أنفسهم القائمون بتلك الأعمال وحسب ما يشاهد منهم بالوجدان . بل الثابت منهم وعنهم عكس ذلك أي انهم قد يستفيدون من بعضها فوائد صحية . نعم قد تقع بعض الأخطاء من قبل بعض القائمين بتلك الأعمال أو من بعض المشرفين عليها فتؤدي عفواً إلى بعض الأضرار البسيطة وذلك نادراً والنادر الشاذ لا يقاس عليه .

أما إذا أيقن أحد بحصول ضرر بالغ على نفسه من تلك الأعمال فلا يجوز له خاصة أن يقوم بها حتماً .

هذه خلاصة وجهة نظر الشيعة ورأي علمائهم الكبار والمطابقة لفتاوي مراجعهم العليا في النجف الأشرف وغيرها منذ خمسين عاماً أو أكثر حتى اليوم . وتلك الفتاوي مجموعة ومدونة مع ذكر تواريخها وبنصوصها التفصيلية في ضمن بعض الكتب المؤلفة حول موضوع

الشعائر الحسينية . أو في كراسات خاصة .مطبوعة يمكنك الاطلاع عليها إذا شئت ولا أعلم مرجعاً دينياً من مراجع التقليد عند الشيعة سئل عن حكم هذه الأعمال العزائية في عاشوراء إلا وأجاب بالجواز والمشروعية بشرط عدم الضرر هذا مع العلم بأن هذه الأعمال كانت تجري ويقوم بها الشيعة أيام عاشوراء منذ قديم الزمان وتحت سمع ويصر كبار العلماء السابقين أرباب الكلمة النافذة واليد المبسوطة . أمثال الشيخ المفيد والكليني والصدوق والسيد المرتضى والسيد الرضي والشيخ الطوسي والسيد مهدي بحر العلوم الكبير والشيخ جعفر الكبير والشيخ الأنصاري . . . وهكذا إلى عصرنا هذا أمثال الميرزا النائيني والسيد أبو الحسن والشيخ كاشف الغطاء والسيد الحكيم وغيرهم . فكانوا يؤيدون تلك الأعمال ويدعمونها مادياً ومعنوياً . وفي هذا دلالة كافية على جواز تلك الأعمال ومحبوبيتها شرعاً . وفيه أيضاً قناعة كافية لمن يطلب الحق ومعرفة الواقع . بدون تعنت وتصلب واستبداد في الرأي .

أما الناقدون والمعارضون لتلك الأعمال العزائية فليس عندهم سند منطقي ولا قاعدة عامة عقلائية يصح الاستدلال بها في معارضتهم لها فإنهم يقولون مثلاً : إن القيام بهذه الأعمال توجب السخرية واستهزاء من قبل الأجانب :

ونقول في الجواب : إن السخرية والاستهزاء والاشمئزاز من قبل بعض الناس على عمل ما ، لا يثبت فساد ذلك العمل ولا يقتضي تركه لمجرد ذلك ولا توجد قاعدة عقلائية تقول أن كل عمل أثار السخرية من قبل شخص أو أشخاص فذلك العمل باطل فاسد يجب تركه . لا لشيء سوى استهزاء بعض الأشخاص البعيدين عن معرفته وحقيقته ، ولا يوجد عاقل في العالم يؤمن بأن محض السخرية ومجرد الاستهزاء بشيءٍ ما سبب كاف وعلة تامة لفساد ذلك

الشيء .

إذ لو كان الأمر هكذا لوجب على رسول الله (ص) في بدء الدعوة ان يترك الرسالة والدعوة إلى الإسلام

لماذا؟ . لأن قريش صارت تستهزأ به وتسخر من دعوته وتشمئز منه لذلك . أو لوجب عليه أن يترك الصلاة على الأقل لأنها كانت أكثر ما في الإسلام إثارة لسخرية المشركين واستهزائهم منه بها . فهل ترك الصلاة ؟ طبعاً كلا . بل أقول لو كان مجرد استهزاء البعض على القيام بعمل ما يبرر تركه لكان يلزمنا نحن المصلين في هذا العصر أن نترك الصلاة لأنها أصبحت موضع سخرية واستهزاء من قبل أكثر الشباب والمتمدنين من أهل زماننا هذا فهل يصح تركها لذلك خوف أن يقال لنا رجعيون؟ وها هو الحجاب للمرأة أصبح عيباً وعاراً ومدعاة للسخرية والاتهام بالرجعية فهل صار حراماً وخلعه واجباً أو جائزاً شرعاً لذلك ؟ وها هي أكثرية النساء في البلاد الإسلامية قد خلعن حجابهن وبرزن سافرات فهل أحسنَّ بهذا صنعاً ؟

وأعود فأكرر القول بأن مجرد استهزاءٍ ومحض شسخريةٍ تصدر من أُناس على أفعال وأعمال أناس آخرين لا يبرر الحكم على تلك الأعمال بالفساد والسوء حتى يثبت فساد تلك الأعمال من حيث العوامل والنتائج . فإذا كان العمل صحيح الدوافع والأسباب وصحيح النتائج والثمرات بشكل عام . فحينئذ الاستهزاء به كهواء في شبك « وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » ودليل جهل المستهزئين وغبائهم . والانسان دائماً عدوٌ لما جهل على حد قول الأمة علي (ع) .

وإنني إذ أقول هذا لا أستبعد أن يكون أكثر هؤلاء المنتقدين للشعائر الشيّعية الحسيّنية قد وقعوا تحت تأثير الدعاية الأموية من حيث يشعرون أو لا يشعرون. تلك الدعاية التي نشطت بشكل ملحوظ

في السنوات الأخيرة في كثير من البلدان الشيعية وبقصد القضاء نهائياً على كل أثر من ذكر ثورة الحسين (ع) . علماً منهم بأن هذه الذكرى هي الوسيلة الوحيدة الباقية للدعوة الصادقة المخلصة إلى الحق ومكافحة الباطل . من إحياء ذكرى الحسين فقط ترتفع أصوات المعارضة الصحيحة ضد الظلم والظالمين . من هذه الذكرى تنطلق الأضواء الكاشفة فتتسلّط على التاريخ الإسلامي العام فتكشف مدى ما ارتكبته فيه وجنته عليه الأقلام المأجورة والأفواه المستأجرة من الدس والتحريف وقلب الحقائق واخفاء الحق كما انها تسلّط الأضواء على كل زوايا المجتمع ومنعطفات طريق السعادة الإجتماعية لتلفت أنظار الناس إلى ما أمامها من أخطار وعقبات فيتجنبونها ويواصلون سيرهم بسلام آمنين ، لهذه الأسباب وغيرها تندفع الأموية الحديثة نحو القضاء على ذكرى ثورة الحسين (ع) وشعائر عاشوراء بكل طاقاتهم وامكاناتهم تماماً كما فعلت الأموية القديمة على مدى التاريخ وانا لعلى يقين بأن هذه المحاولات ستفشل كما فشلت المحاولات السابقة والله متم نوره ولو كره الكافرون .

أيها القارىء الكريم ـ إن ساحة كربلاء يوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هجرية كانت أشبه بمسرح تمثيل في جانب منه قام الحسين (ع) وأصحابه بتمثيل أروع دور لمثالية الانسان وأسمى ما يمكن أن يرتفع اليه بروحه وخلقه وأريحيته بحيث لا يبقى في الوجود ما هو أشرف منه وأفضل سوى خالقه العظيم .

وفي الطرف الآخر قام أعداء الحسين (ع) بتمثيل أدنى وأسفل درك من الحضيض يمكن أن يتدنى اليه ويهوي فيه هذا البشر من اللؤم والخبث والقسوة والأنانية بحيث يندّى منه جبين الوحش ولا يبقى في الوجود ما هو شر منه ولا أسوأ مطلقاً . ولا تزال حوادث تلك المعركة هي المعالم الواضحة والحد الفاصل والسمات الظاهرة

بين الحق والباطل وهي المقياس الدقيق لمعرفة الخير من الشر إلى أبد الآبدين .

أجل ان معركة كربلاء لم تنتهي بنهاية يوم العاشر من المحرم بل هي لا تزال قائمة بصورها المختلفة وأحجامها العديدة وفصولها المتغيرة في كل زمان ومكان وما دام في الحياة خير وشر وحق وباطل . وما أحسن تصوير الشاعر لهذا المعنى في معركة كربلاء حيث قال :

كأن كل مكان كربلاء لدى عيني وكل زمان يوم عاشوراء

فالحسين ( ع ) من وجهة نظر الشيعة وكل الخبراء في العالم إنما هو رمز الخير والعدل والديمقراطية الحقة والعدالة الاجتماعية .

والأمويون هم رمز الرذيلة والجور والاستبداد والظلم الاجتماعي .

وكل الأعمال العزائية التي يقوم بها الشيعة أيام عاشوراء إنما يعبّرون بها عن دعمهم وتأييدهم للخير والعدل والحق ، واستنكارهم وكرههم للظلم والباطل . وهذا دليل على وعيهم الاجتماعي ونضجهم السياسي الكامل حسب ما يؤكده الباحثون وحسبما هو واضح من ثوراتهم التحررية المتتالية عبر تاريخهم الطويل والمليء بالتضحيات ، وقوافل الشهداء في سبيل الحرية والكرامة الانسانية ولأعلاء كلمة الله وتطبيق شريعته على الأرض الى اليوم والى ما بعد اليوم وحتى يملأ الله العالم قسطاً وعدلاً كما ملأ ظلماً وجوراً .

* * *



# متى بـدأت اعمال الاحتفـال بـذكـرى عاشوراء ؟

قد يتوهم البعض أن شعائر الذكرى في عاشوراء المتداولة لدى الشيعة اليوم . أنما هي أمور مستحدثة ودخيلة لا اصل لها في العصور الاسلامية الأولى وبالتالي فهي بدعة من دسائس المغرضين والدخلاء الذين يضمرون الشر بالإسلام والمسلمين .

فأقول لهؤلاء : إن هذا الوهم خطأ لا يدعمه إلا الجهل بحقائق التاريخ وحوادث الماضي البعيد ، ولا يبعد أن يكون هذا التوهم بذاته من وحي الدساسين وتلقين المغرضين اعداء الشيعة والتشيّع .

اما إقامة مظاهر الحِداد والاحتفال لذكرى عاشوراء فهي قديمة جداً قدم مأساة عاشوراء بالذات حيث بدأت مجالس العزاء والاجتماعات للنوح والبكاء على مأساة الحسين (ع ) بعد مرور أيام قليلة على مصرع الحسين (ع ) وذلك بتوافد أهل الضواحي والسواد إلى كربلاء بعد رحيل الجيش ، واجتماعهم رجالاً ونساءً حول قبر الحسين (ع ) ولما عاد الإمام زين العابدين من الشام إلى كربلاء

يوم الأربعين وجد أهل السواد مجتمعين حول قبر الحسين وقبور الشهداء بالحزن والحداد فاستقبلوه بالبكاء والعويل يتقدمهم الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري رحمه الله تعالى . ولما عاد أهل البيت إلى المدينة المنورة استقبلهم الناس بالحداد والأسى والنوح والبكاء وضجت المدينة في ذلك اليوم ضجة واحدة حتى صار ذلك اليوم كيوم مات فيه رسول الله ( ص ) ثم اقيمت مجالس العزاء في انحاء المدينة وخاصة في حي بني هاشم فكان مجلس الإمام زين العابدين ومجلس العقيلة زينب ومجلس الرباب زوجة الحسين ( ع ) ومجلس ام البنين ام العباس بن علي ( ع ) وغيرها تملأ أجواء المدينة بالكآبة والحزن والحداد .

وكان الإمام زين العابدين ( ع ) يغتنم كل فرصة لإثارة العواطف وإحياء ذكر المأساة في نفوس الجماهير فمن ذلك مثلاً : مرَّ ذات يوم في سوق المدينة على جزّار بيده شاة يجرها إلى الذبح فناداه الإمام ( ع ) يا هذا هل سقيتها الماء فقال الجزار نعم يا بن رسول الله نحن معاشر الجزارين لا نذبح الشاة حتى نسقيها الماء فبكا الإمام ( ع ) وصاح والهفاه عليك أبا عبد الله الشاة لا تذبح حتى تسقى الماء وانت ابن رسول الله تذبح عطشاناً .

وسمع ( عليه السلام ) ذات يوم رجلاً ينادي في السوق أيها الناس ارحموني انا رجل غريب . فتوجه إليه الإمام ( عليه السلام ) وقال له لو قدر لك ان تموت في هذه البلدة فهل تبقى بلا دفن . فقال الرجل الله اكبر كيف ابقى بلا دفن وانا رجل مسلم وبين ظهراني امة مسلمة . فبكا الإمام زين العابدين وقال واأسفاه عليك يا ابتاه تبقى ثلاثة أيام بلا دفن وانت ابن بنت رسول الله ( ص ) واستمر أئمة الهدى ( عليهم السلام )يحثون شيعتهم على التمسك بإحياء ذكرى عاشوراء رغم الإرهاب والضغط الذي مارسه الحكام ضدهم

وكانوا هم ( صلوات الله عليهم ) يفتحون أبوابهم للشعراء والمعزين أيام عاشوراء منذ عصر الإمامين الباقر والصادق ( عليهما السلام ) حتى عصر الإمام علي الرضا ( ع ) في عهد المأمون العباسي الذي توسعت فيه شعائر الحسين ( ع ) وانتشرت مجالس العزاء أيام عاشوراء بتأيد من الإمام الرضا ( ع ) ودعم من المأمون .

فكانت دار الإمام الرضا ( ع ) في أيام عاشوراء تزدحم بالناس يستمعون فيها إلى رثاء الحسين ( ع ) وكلمات الحث والتشويق والتشجيع من الإمام ( ع ) فكان من أقواله المأثورة : إن أهل الجاهلية كانوا يعظمون شهر المحرم ويحرمون الظلم والقتال فيه لحرمته . ولكن هذه الأمة ما عرفت حرمه شهرها ولا حرمة نبيها فقتلوا في هذا الشهر أبنائه وسبو نسائه فعلى مثل الحسين فليبكي الباكون فإن البكاء عليه يحط الذنوب ، ولم تزل شعائر عاشوراء تزداد وتتسع بما تلاقيه من الدعم والتأييد المعنوي من قبل أهل البيت ( ع ) والعلماء الأعلام في كل الأوساط الشيعية حتى قامت الدولة الحمدانية الشيعية فأعطت شعائر عاشوراء قدراً كبيراً من الدعم والتأييد ثم قامت الدولة البويهية الموالية لأهل البيت ( عليهم السلام ) فوسعوا ذكرى عاشوراء وأعطوها صفة رسمية تعطل من أجلها الأسواق والأعمال والدوائر الحكومية وتخرج المواكب العزائية بالاعلام السود وشارات الحداد تحت رعاية وإشراف كبار العلماء وأقطاب رجال الدين .

فكانت بغداد مثلاً في عهد عضد الدولة الحسن بن بويه الديلمي . تخرج على بكرة أبيها يوم العاشر من المحرم في مواكب عزائية ضخمة يتقدمها رجال الدين والدولة . ولما قامت الدولة الفاطمية في مصر والمغرب العربي انتقلت شعائر عاشوراء إلى تلك الأقطار ودامت حوالي القرنين من الزمن إلى أن قضى عليها الأيوبي

بالقهر والإكراه .

ثم لما قامت الدولة الصفوية وملوكها علويون نسباً ينحدرون من سلالة الإمام السابع موسى الكاظم ( ع ) أيدوا شعائر عاشوراء ووسعوها ومثلوا واقعة كربلاء تمثيلاً حياً تحت رعاية وتوجيه علماء الطائفة ومراجع التقليد أمثال العلامة الحلي والمحقق المجلسي وغيرهما رضوان الله عليهم أجمعين .

وهذا التمثيل له جذور في سيرة الأئمة المعصومين ( ع ) فإنه قد أخذ من حيث الأصل من ظاهرة وردت في مجلس الإمام جعفر بن محمد الصادق ( ع ) أيام عاشوراء . فقد حدَّث شاعر أهل البيت الكميت بن زيد الأسدي رحمه الله قال دخلت على ابي عبد الله الصادق يوم عاشوراء فأنشدته قصيدة في جده الحسين ( ع ) فبكا وبكا الحاضرون وكان قد ضرب ستراً في المجلس واجلس خلفه الفاطميات فبينما أنا انشدوا الإمام يبكي اذ خرجت جارية من وراء الستار وعلى يدها طفل رضيع مقمَّط حتى وضعته في حجر الإمام الصادق ( ع ) فلما نظر الإمام إلى ذلكالطفل اشتد بكائه وعلا نحيبه وكذلك الحاضرون .

ومعلوم ان إرسال الفاطميات لذلك الطفل في تلك الحال ما هو إلا بقصد تمثيل طفل الحسين ( ع ) الذي ذبح على صدر أبيه بسهم حرملة لعنه الله في يوم العاشر من المحرم وهو عبد الله الرضيع وغيره من الأطفال الذين قتلوا في ذلك اليوم .

والخلاصة هي : أن إحياء ذكرى عاشوراء قديم عند الشيعة قدم المأساة نفسها فما زال أهل البيت وشيعتهم يحتفلون بذكرى تلك المأساة الفريدة من نوعها منذ السنة الأولى لقتل الحسين ( ع ) وإلى اليوم يحدوهم لذلك الحب والولاء للحسين ( ع ) أولاً ، ثم

خدمة الدين والدعوة إلى الحق وتركيز المفاهيم الإنسانية لدى النشأ ، ثانياً : والله من وراء القصد وهو ولي المؤمنين . وصدق الأديب الفاضل السيد جعفر الحلي رحمه الله حيث قال :

فكان ما طبّق الآفاق قاطبةً من يومه للتلاقي مأتما وبكا
في كل عام لنا بالعشر واعية تطبق الدور والارجاء والسككا
وكل مسلمة ترمي بزينتها حتى السماء رمت عن وجهها الحبكا
يا ميتاً ترك الألباب حائراً وبالعراء ثلاثاً جسمه تركا

* * *



# لماذا يلتزم الشيعة بالسجود على التربة الحسينية من ارض كربلاء ؟

هذا السؤال كثيراً ما يوجه إلى الشيعة من قبل مخالفيهم منذ القدم وإلى الآن وقد لا يحصل المتسائلون على الجواب الشافي والرد المقنع الصحيح لأن المسؤولين عن هذا السؤال قد لا يكونون من أهل العلم والإختصاص وطبيعي أن التعرف على تقاليد الأمة وعادات الطائفة يجب أن يكون عن طريق علمائها وكتب عقائدها « وأتوا البيوت من أبوابها » .

والحقيقة هي أن الشيعة لا يلتزمون بالسجود على التربة الحسينية بالخصوص بل يلتزمون بالسجود على التربة الطبيعية مطلقاً من أي مكان كانت سواء من أرض كربلاء أو من أي أرض في العالم . بشرط أن تكون التربة طاهرة من النجاسة ونظيفة من الأوساخ وطبيعية أولية . يعني غير مفخورة مثل الخزف والسمنت والجص وما شاكل . فإذا لم تحصل هذه التربة بهذه الشروط حينئذ يجوزون السجود على ما تنبته التربة من أنواع النباتات والأخشاب

وأوراق الأشجار مما لا يؤكل ولا يلبس عادة . فالمأكول من النبات كالفواكه والخضر وما شاكلها التي يأكل منها الإنسان عادة وعرفاً لا يصح السجود عليها وكذلك الأعشاب التي يصنع منها بعض الملبوسات عادة كالحرير والقطن مثلاً .

فأقول أن الشيعة لا يلتزمون بالسجود على التربة الحسينية وإنما يفضلون ويرجحون السجود عليها فقط حيث يتيسر لهم السجود عليها .

وإليك الآن أهم الأدلة التي يستندون إليها في ذلك الالتزام وهذا التفضيل أما وجوب السجود على الأرض الطبيعية فلقول الرسول الأكرم ( ص ) في الحديث المتواتر بين المسلمين « جُعِلَت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً » فالأرض لغة وحسب مفهومها الحقيقي هي التراب أو الرمل أو الحجر الطبيعي دون المعادن كالذهب والفضة والفحم الحجري وسائر الأحجار الكريمة وغيرها كالجص والأسمنت والآجر وكل المفخورات الاخرى ، ولا يعدل عن هذا المعنى الحقيقي إلى غيره إلا بقرينة صارفة واضحة . ولا يوجد في الحديث مثل تلك القرينة .

وكلمة ( مسجد ) تعني مكان السجود . والسجود لغة هو وضع الجبهة على الأرض تعظيماً . وهذا هومعناه الحقيقي الذي لا يُعدَل عنه إلا بقرينة لفظية أو معنوية كما في بعض الآيات الكريمة التي جاء فيها كلمة سجود أو مشتقاتها بمعنى الطاعة والإنقياد أو مطلق التعظيم والإحترام . مثل قوله تعالى : « والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » . . . وقوله تعالى : « لله يسجد من في السماوات ومن في الأرض » وفي غيرها يسجد له ما في السموات . . . إلى غير ذلك .

( وطهوراً ) أي مطهِّراً . فالأرض الطبيعية تطهِّر الإنسان من

الحدث عند فقد الماء بالتيمم . قال تعالى : «ولم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً . . . » أي طاهراً . والصعيد وجه الأرض مطلقاً أو التراب الخالص خاصة . كما أن الأرض تطهر أيضاً من الخبث كل ما لامسها مثل الاناء الذي ولغ فيه الكلب فإنه يعفّر بالتراب وباطن الخُف إذا مشي به الانسان على الأرض الطبيعية وباطن القدم كذلك وطرف العصا الملامس للأرض وما يشبه ذلك .

فعلى ضوء هذا الحديث يعرف أن السجود لا يصح إلا على الأرض الطبيعية الفطرية حسب معناها اللغوي والحقيقي . وذلك بوضع الجبهة عليها مباشرة بدون حائل بينها وبين الجبهة . وسيرة النبي ( ص ) والصحابة تؤكد هذا الوجوب حيث ثبت انهم لم يسجدوا الاعلى الأرض الطبيعية .

نعم هذا هو الفرض الإسلامي بالنسبة إلى السجود ولكن بما ان الأرض الطبيعية الطاهرة النظيفة قد لا تتيسر للسجود في بعض الأمكنة مثل البيوت والمساجد التي غطي أرضها بالرخام المفخور أو الاسمنت أو ما شاكل ذلك أو التي فرش أرضها بالسجاد أو البسط الصوفية أو القطنية أو ما شابهها مما لا يصح السجود عليها . لذلك اتخذ الشيعة أقراصاً من التراب الخالص الطاهر يصنعونها للسجود عليها طاعة لله تعالى وامتثالاً للفرض . فهذه الأقراص التي يسجد الشيعة عليها ما هي إلا جزء من الأرض الطاهرة الطبيعية أعدت للسجود عليها فقط. تسهيلاً لأداء الفرض الأولّي اي السجود على الأرض الطبيعيّة الطاهرة فهل تجد في ذلك خلافاً أو منافاة للكتاب والسنة الشريفة ؟

أترى أيها القارىء الكريم أن السجود على الفُرُش التي تحت الأقدام والأرجل أحسن من السجود على قطعة طاهرة نظيفة من

الأرض التي لم يلامسها شيء سوى جبهة المصلي فقط ؟ الجواب طبعاً كلا ثم كلا . إن الشيعة بعملهم هذا يجمعون بين إداء الفرض وهو السجود على الأرض الطبيعية وبين مراعاة النظافة التي هي من لوازم الايمان وسماة المؤمن .

وأما تفضيل الشيعة لتربة الحسين (ع) عى غيرها من الأرض . فلأنها أي تربة الحسين (ع) رمز عميق الدلالة على أقدس بقعة وأطهر تربة حيث جرى عليها أقدس تضحية في تاريخ بني الانسان في سبيل الحفاظ على الصلاة واقامتها بل في سبيل الدين وبقائه . إن تربة الحسين تذكر المصلي بعظم أهمية الصلاة في الإسلام ومدى تأكد وجوبها علي الانسان ذلك الوجوب الذي لا يسقط عن المسلم بحالٍ إلا نادراً . تذكره بذلك لأن الحسين (ع) اقامها على هذه التربة في أحرج المواقف وأداها في أشد الحالات . فصلّى صلاة الظهر عند الزوال يوم عاشوراء في ميدان القتال وساحة الحرب حيث الأعداء يحيطون به من كل جانب يرمونه بالسهام وأصحابه تصرع من حوله . ولو لم يقف رجلان من أصحابه أمامه وهما سعيد بن عبد الله الحنفي وزهير بن القين اللذان وقفا أمامه يدرآن عنه سهام القوم لما استطاع الحسين (ع) أن يكمل صلاته ولصرع في أثنائها كما صرع بعض أصحابه فيها منهم سعيد بن عبد الله الذي سقط إلى الأرض صريعاً وقد أصابه ثلاثة عشر سهم .

فأي عمل يمكن أن يعبر عن أهمية الصلاة ويؤكد وجوب إدائها على المسلم مهما كانت الظروف والأحوال مثل هذا العمل الذي قام به الحسين (ع) .

هذا بالاضافة إلى ما يمكن أن يستوحيه المصلي أثناء صلاته من ذكرى الحسين (ع) من معاني جمة وعظيمة منها مثلاً تصور عظمة الإسلام واهمية الدين بشكل عام حيث دفع الحسين (ع)

ثمن بقائه وصيانته غالياً جداً فكشف (عليه السلام) بذلك عن حقيقة أن الدين أثمن وأغلى وأفضل من كل ما في الحياة والوجود. وهو أولى بالبقاء من كل شيء سواه في مقام دوران الأمر بين بقائه أو بقاء غيره. فالغير أولى بالتضحية به لأجل بقاء الدين. والسبب في ذلك واضح وهو ان الحياة بكل ما فيها من نعم وخيرات وزينة ولذة من المال والبنين وغيرهما إنما يستفاد منها حقيقة وتكون خيراً للانسان وراحة له ولذة إذا كان المجتمع يسوده الدين ونظام القرآن وشريعة الله تعالى، يسوده ذلك فكرة وعملاً من حيث العقيدة والسلوك لأنه حينئذ فقط يسود الحق والعدل ويأخذ كل ذي حق حقه ويؤدي كل مسؤول واجبه ولا تظلم نفس شيئاً قال سبحانه وتعالى «فمن تبع هداي فلا يضلُّ ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً». ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون».

والخلاصة هي أن الشيعة إنما يفضلون السجود على تربة الحسين (ع) على غيرها من بقاع الأرض لأن الصلاة في حقيقتها صلة مع الله تعالى وتوجه إليه وتذكر له وخضوع وخشوع بين يديه ولا شك أن ذكرى سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين خير وسيلة للحصول على أكبر قدر ممكن من تلك الأمور كلها وذلك بسبب السجود على تربته المقدسة.

وإلى هنا نكتفي بهذا القدر من الاجابة على هذا السؤال وإن أردت المزيد من التفصيل فيه فراجع كتاب «الأرض والتربة الحسينية» للمرحوم حجة الإسلام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء قدس سره وفي الختام أرى من المناسب أن اسجل هنا فقرة من كتاب (أبو الشهداء) ص ١٣ تؤيد الفقرات الأخيرة. قال العقاد وهو في معرض بيان ما اكتسبته أرض كربلاء من قدسية بسبب

الحسين (ع) .

وليس في نوع الإنسان صفات علويات أنبل ولا ألزم له من الايمان والفداء والايثار ويقظة الضمير وتعظيم الحق ورعاية الواجب والجلد في المحنة والانفة من الضيم والشجاعة في وجه الموت المحتوم . وهي ومثيلات لها من طرازها هي التي تجلت في حوادث كربلاء منذ نزل بها ركب الحسين (ع) ولم تجتمع كلها ولا تجلت قط في موطن من المواطن تجليها في تلك الحوادث التي جرت في كربلاء .

فيا كربلا طُلْتِ السماءَ وربما　　تناول عفواً حظ ذي السعي قاعد
لأنتِ وإن كنتِ الوضيعة نلت من　　جوارهم ما لم تنله الفراقد

* * *

# هل يحدث احياء ذكرى الحسين (ع) تفرقة وحزازات طائفية بين المسلمين كما يزعم البعض؟

قد يمر هذا السؤال على بعض الخواطر ويرد في أفكار بعض الناس وخاصة شباب هذا العصر الذي نشطت فيه المحاولات الالحادية وقويت فيه الدعاية ضد شعائر الدين ومظاهر الاسلام بكل صورها وفي مقدمتها الشعائر الحسينية التي هي من صميم شعائر الله ومظاهر الدين تلك الشعائر التي هي من أقوى الوسائل لنشر الوعي السياسي والاجتماعي والأخلاقي بين الأحداث والشباب .

ومن ثم نشطت الدعاية المعادية ضد هذه الشعائر الحسينية بكافة أنواعها من عقد المآتم وتنظيم المواكب وغيرها . وكثيراً ما ترفع ضدها شعارات مظللة وخدّاعة باسم الدين وبالتظاهر بالحرص على وحدة المسلمين والاهتمام باتفاق كلمتهم وتوحيد صفوفهم أمام العدو المشترك فيزعمون أن احياء ذكرى ثورة الحسين (ع) ينافي هذا الهدف بسبب ما تولده هذه الذكرى من التفرقة الطائفية لأنها أي

تلك الذكرى تشتمل كما يزعمون على الطعن والتنديد والمس بكرامة بعض الصحابة وبعض خلفاء المسلمين وبعض رجال الأمة المحترمين . ولذا يجب ترك هذه الشعائر وعدم إحياء تلك الذكرى حفاظاً على وحدة المسلمين .

هكذا تقول تلك الدعاية اليوم حسب ما نقرأ ونسمع منها بين حين وآخر والجواب عليها ببساطة هو أن نقول :

أولاً : إن ثورة الحسين ( ع ) لم تخدم مصلحة الشيعة فحسب ولا مصلحة المسلمين فحسب بل خدمت مصلحة الانسانية العليا في كل زمان ومكان وعليه فالحسين ليس للشيعة فقط بل لجميع المسلمين ولكل الناس الخيرين في العالم وقد أجمعت كلمة الخبراء والعلماء بكنه ثورة الحسين وحقيقتها . على أن واجب كل شعب وامة ان تحيي ذكرى الحسين ( ع ) خدمة لمصلحة أبنائها وتربية لشبابها على الشعور بعزة النفس واباء الظلم والكرامة الانسانية في حياتهم . فذكرى ثورة الحسين ( ع ) لا تفرق بل بالعكس توحد الكلمة على الحق والعدل .

ثانياً : إن الذي أمر بقتل الحسين ( ع ) هو يزيد بن معاوية البالغ من العمر في ذلك اليوم إحدى وثلاثين عاماً فقط وإن الذي نفذ الأمر هو عبيد الله بن زياد لعنه الله البالغ من العمر في ذلك اليوم ثمانية وعشرين عاماً . وإن الذي باشر تنفيذ الأمر هو قائد الجيش عمر بن سعد بن أبي وقاص لعنه الله البالغ من العمر في ذلك اليوم حوالي خمسة وعشرين عاماً . وهم كما ترى ليسوا من صحابة رسول الله ( ص ) بالمعنى المعروف أي ليس منهم أحد أدرك الرسول ( ص ) وجالسه وسمع حديثه . فمن هم هؤلاء الصحابة الذين يخشى من الطعن بهم في إحياء ذكرى الحسين ( ع ) ؟ .

نعم ربما يتعرَّض في خلال الذكرى إلى معاوية بن أبي سفيان باعتباره مهّد الطريق إلى قتل الحسين ( ع ) عن قصد أو غير قصد بتوليته ابنه يزيد على إمارة المسلمين . ومعاوية معلوم الحال لدى الجميع أسلم قبل وفاة الرسول الأكرم بخمسة أشهر بعد أن ضاقت عليه الأرض وعلم ان الاسلام سيعم وينتشر فدخل في الإسلام خوفاً وطمعاً لا عن عقيدة وإيمان وكان صعلوكاً مستحقراً لدى المسلمين ومعدوداً في المؤلفة قلوبهم الذين لا يتجاوز الإسلام شفاههم ولا يؤمن شرهم على المسلمين إلا بالمال .

والإدعاء بأن معاوية كان من كتاب القرآن بين يدي النبي ( ص ) . كذب وإفتراء لم يوجه الرسول ( ص ) إلى معاوية كتابة أي جزء من الوحي او آية من القرآن نعم كان يكتب للرسول ( ص ) بعض الرسائل التي كان يرسلها النبي ( ص ) إلى الملوك والرؤساء . وكان المسلمون في حياة الرسول يزدرون معاوية ويكرهون مجالسته . ولا أشك أن المسلمين الواعين في عصرنا هذا ليس فيهم من يحب معاوية ويقدسه ويحترمه وهو يقرأ ويسمع ما شاع وذاع وملأ الآفاق عن بدعه وآثامه وموبقاته إبان ملكه وإمارته . تلك البدع والآثام التي ختمها بفرض ابنه يزيد الفاسق الماجن الخمار السكير فرضه خليفة على المسلمين من بعده فقتل آل الرسول ( ص ) وأباح مدينة الرسول لجنده ثلاثة أيام دماء وأموالاً وأعراضاً وأخيراً هدم الكعبة واحرق أستارها .

فالغرض هو : أنه لا يوجد في ذكرى ثورة الحسين ذكر لصحابة ولا لرجال دين محترمين يخشى أن يطعن فيهم وتمس كرامتهم . فالصحابة كلهم كانوا يحبون الحسين ( ع ) ويحترمونه وقد حضر بعضهم مع الحسين ( ع ) يوم عاشوراء وفاز بدرجة الشهادة بين يديه . كحبيب بن مظاهر ومسلم بن عوسجة وبرير بن خضير

الهمداني وعروة الغفاري وغيرهم سلام الله عليهم . وبالتالي فإن هذه الذكرى المقدسة لا تفرق بين المسلمين أبداً . نعم تفرق بين المسلمين والمنافقين الدجالين الذين هم على طراز معاوية ويزيد وابن زياد وعمر بن سعد . وهذا التفريق يُرحب به كل مسلم ويتمناه « ليميز الله الخبيث من الطيب » وهذه التفرقة هي من ثمرات ذكرى ثورة الحسين بلا شك ومن الأهداف المقصودة من احيائها بل ومن أهداف ثورة الحسين ( ع ) بالذات .

ثالثاً : كيف يعقل أن تكون ذكرى ثورة الحسين ( ع ) مفرقة للصف ومشتتة للوحدة بين المسلمين مع أن ثورة الحسين ( ع ) بالذات ضربت أروع مثال للوحدة بين المسلمين حيث جمعت بين أفراد مختلفين وأشخاص متباينين من حيث العنصر والقومية والدين والمذهب والوطن والسن والجنس . وحدّت بينهم الثورة توحيداً كاملاً حتى جعلتهم وكأنهم جسم واحد وشخص واحد يتحركون ويعملون وينطقون بارادة واحدة ويد واحدة ولسان واحد . وهم أصحاب الحسين ( ع ) الذين كانوا حوالي الثلاثمائة وثلاثة عشر رجل . كان فيهم العربي القرشي والعربي غير القرشي إلى جنب الفارسي والتركي والرومي والزنجي والمسيحي والمسلم السني والمسلم الشيعي من أقطار الحجاز والكوفة والبصرة واليمن منهم الفقير والغني والحر والعبد والرئيس والمرؤوس من مختلف مراحل العمر كالشيخ الكبير والكهل والشاب والمراهق والصبي . وكان معهم جملة من النساء من الهاشميات والعربيات يقدر عددهن بحوالي العشرين امرأة . أجل لقد قدم الحسين من وحدة أصحابه نموذجاً كاملاً عن الوحدة الإنسانية العالمية التي ينشدها الإسلام ودعا إليها القرآن وثار لأجل تحقيقها سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين ( عليه السلام ) ومن قبله أبوه الإمام علي ( ع ) . الذي هو القدوة المثلى

للمسلمين جميعاً في العمل لوحدة المسلمين والحفاظ عليها والتضحية في سبيلها بمصلحته ومصلحة أبنائه ومصلحة شيعته . صبر على اغتصاب حقوقه وحقوق أهل بيته وشيعته خمساً وعشرين سنة مدة حكم الخلفاء الثلاثة قبله ولقد تعاون مع الخلفاء الغاصبين لحقه في الشؤون العامة وخدمة المصلحة العليا بكل امكاناته وطاقاته حسب ما هو معروف لدى الجميع . . . وكذلك جميع أبنائه الأئمة الأحد عشر ( ع ) سالموا خلفاء الوقت وسايروا الحكومات الاسلامية على حساب مصلحتهم الخاصة وحقوقهم المشروعة لأجل صيانة الوحدة الإسلامية .

**والخلاصة هي** : انه ليس في شعائر الشيعة وذكرياتهم شعار ولا ذكرى تفرق المسلمين أو تورث حزازات طائفية بينهم .

بل إن الذي يفرق ويمزق صف الوحدة الإسلامية ويثير الحزازات الطائفية والفتنة بين المسلمين هم أولئك العملاء المأجورون من قبل الاستعمار وأعداء المسلمين الذين ينفثون سموم التفرقة بين حينٍ وآخر بواسطة بعض الكتب أو المقالات أو الخطب التي تحمل وتتحامل على الشيعة بالكذب والافتراء والتهم والسب والشتم ونسبة الكفر والشرك إليهم بكل صراحة ووقاحة .

إن الذين يفرقون كلمة المسلمين هم أولئك الذين يكتبون عن الشيعة أنهم صنيعة الصهيونية ومن أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي الذي ابتدع مذهب الشيعة وعبد الله بن سبأ . هذا قد أجمع الخبراء على أنه اسطورة خيالية لا وجود له إلا في أذهان هؤلاء الذين يريدون التشهير بالشيعة .

إن مذهب الشيعة في الإسلام انما هو مذهب أهل البيت ( ع ) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . ذلك المذهب

الذي يفرض التعاون بين المسلمين جميعاً على البر والتقوى ومصلحة الإسلام العليا . ذلك المذهب الذي يعتبر المسلم أخاً للمسلم شاء ذلك أم أبى . . . وأخيراً أقول أن الشيعة لا يهاجمون ولا يعتدون بل يدافعون عن الحق وبالحق وليس في مذهب التشيع شيء غير الحق .

ومما يقوله المشاغبون على الشيعة أيضاً :

هو أن الشيعة شغلوا بالبكاء والعويل على الحسين ( ع ) عن مصالحهم الحيوية وقضاياهم المصيرية فتخلّفوا عن ركب العالم علمياً واقتصادياً وصناعياً وسياسياً .

أقول : ان قولهم هذا يذكّرني بقول بعض الملحدين الذين يقولون أن المسلمين شغلوا بالصلاة والصيام والحلال والحرام عن مسايرة ركب التطور العالمي فظلوا متخلفين عن الأمم الأخرى .

أجل : ما أشبه قول المشاغبين عن الشيعة بقول الملحدين عن المسلمين عامة وما أقرب الدوافع والغايات للقولين . تلك الغايات التي تتلخص بكلمة واحدة وهي « التشويه » فكل من القولين مغالطة مفضوحة لا تنطلي إلا على السذج من عوام الناس وإلا . فكل عاقل عارف يعلم يقيناً أن الإسلام بكل ما فيه ، لا دخل له في تخلف المسلمين مطلقاً . كما أن احياء ذكرى عاشوراء بكل ما فيه لا دخل له في تخلف الشيعة مطلقاً .

ان السبب الأساسي في تخلف المسلمين عامة والشيعة خاصة في العصور الأخيرة . هو الاستعمار الكافر بأساليبه وعملائه وسياساته .

وإن قلت : من الذي مكن العدو المستعمر من السيطرة عليهم واستعمارهم .

قلت : هم الحكام الخونة الذين اغتصبوا السلطة من أصحابها الشرعيين منذ العصور الأولى وبعد وفاة الرسول ( ص ) على وجه التحديد . وإلى اليوم . فمعاوية بن أبي سفيان مثلاً عقد الصلح مع ملك الروم ودفع اليه الجزية مقابل سحب جيشه المرابط على الحدود ليحارب به امام المسلمين وامير المؤمنين علي بن أبي طالب ( عليه السلام ) في حرب صفين . وأما اليوم فكما نرى ونعلم عن الأكثرية الساحقة من حكام المسلمين ملوكاً ورؤساء الغارقين في العمالة للاجنبي إلى ما فوق رؤوسهم مقابل استمرارهم في السلطة وبقائهم على كراسي الحكم كأدوات تنفيذ لأهداف الاستعمار الكافر على حساب المصلحة العامة للأمة الإسلامية ورقيها وتقدمها . « وسيعلم الذين ظلموا ايّ منقلب ينقلبون » .





الانساني . فبعد مرور خمس وعشرين عاماً على اغتصاب حقه ( عليه السلام ) قامت ثورة شعبية ضد الغاصبين واكتسحتهم عن طريق الإمام ( عليه السلام ) وحمله الثائرون على الأكتاف حتى أجلسوه في مجلسه الشرعي وأحلوه مقامه الطبيعي وسلموه حقه المغتصب .

ومن الجدير بالملاحظة أن الأمويين حاولوا بكل الوسائل اخراج علي ( عليه السلام ) من قلوب الناس وأفكارهم وتحويله عن قمة المجد والعظمة والمثالية باعلان سبّه وشتمه ولعنه على المنابر والمنع من ذكر فضائله ومكارم أخلاقه ثم بنشر الأكاذيب في الطعن به وتشويه سمعته وبمطاردة شيعته ومواليه ومحبيه بالارهاب والقتل والسجن والتشريد والحرمان مدة نصف قرن أو أكثر من عهدهم المشؤوم . ولكن ما استطاعوا وباءوا بالفشل الذريع وانتجت محاولاتهم تلك عكس مطلوبهم . فما أن زال كابوس أرهابهم عن الناس حتى ظهر علي ( عليه السلام ) على شاشة القلوب والأفكار كأعظم انسان مثالي وأظهر شخصية متكاملة بين مجموعة الأنبياء والصديقين والأوصياء والقديسين من الأولين والآخرين ولقد أجمعت كلمة البشرية جمعاء على حبه وتقديسه والاعتراف بفضله وفضائله .

ويذكر بهذه المناسبة أنه سُأَلَ أحدُ الخبراء فقيل له ما تقول في علي بن أبي طالب ؟ قال : ما أقول في رجل كتم فضائله الأعداء بغضاً وحسداً وكتم فضائله الأولياء خوفاً وحذراً وقد ظهر من بين ذين من فضائله ما ملأ الخافقين . وقد قامت باسمه وعلى مبدأ الولاية له دول كثيرة في التاريخ . منها مثلاً الدولة الحمدانية والبويهية والفاطمية والصفوية والقاجارية وغيرها . حتى جعلت من اسمه ( عليه السلام ) شعاراً لها ترفعه على المآذن في كل يوم وليلة في خلال الأذان والاقامة . وذلك بالشهادة بالولاية له بعد الشهادتين الواجبتين . ثم تستمر هذه الشهادة الثالثة في الأذان كرمز

للتشيع في العالم الشيعي إلى يومنا هذا .

وقال الاستاذ جرداق في كتابه صوت العدالة الانسانية وانسجمت ثورية مذهب الشيعة مع اماني وامال المستضعفين والمضطهدين ومع تعاليم علي وصورة شخصيته الفذة التي احتفظ بها الناس فإذا بعلي عنوان لكفاح هؤلاء المستضعفين فإن انت احصيت الثورات والثائرين في العهدين الأموي والعباسي في الحجاز والعراق والشام وفارس وافريقيا وغيرها الفيت علياً امامهم والفيت نظرته الاجتماعية هي النقطة المشتركة التي يلتقي عندها الثائرون باسمه على الفساد والطغيان . اجل لقد اصبح اسم علي (ع ) في التاريخ العربي والإسلامي مبعث امل لكل مغصوب وصيحة تردد على لسان كل مظلوم وحصناً يفزع إليه كل من ضيقت عليه الحياة وما من ساخط على فسادٍ او جور الا وله من علي وتراثه حافزاً على الثورة فإذا اسم علي مرادف للاصلاح الذي يريده الناس والخير الذي يتوقون إليه وإذا بالتشيع لعلي(ع)موئلٌ يلوذ به كل مضطهد ومحروم وينضوي تحت لوائه كل ثائرٍ في سبيل الحق المهدور » . انتهى كلام جرداق . . .

وفي ذات الحسين (ع ) دليل واضح على صدق مدلول هذه الكلمة . ( ما ضاع حق ورائه مطالب ) . أجل ما ضاع ثأر الحسين (ع ) ولا ذهبت تلك الدماء الزكية هدراً . فلقد ظهر المختار بن أبي عبيدة الثقفي في الكوفة البلد الذي قتل الحسين (ع ) وأخذ يتتبع الذين خرجوا إلى حرب الحسين (ع ) أين ما كانوا حتى قتل منهم حوالي الثمانية عشر ألفاً من أصل الثلاثين ألف رجل الذين قاتلوا الحسين (ع ) بكربلاء وفيهم عبيد الله بن زياد أمير الكوفة آنذاك وعمر ابن سعد قائد الجيش الذي خرج إلى حرب الحسين (ع ) والشمر بن ذي الجوشن وخولي بن يزيد وحرملة بن كاهل وغيرهم من قادة ذاك الجيش ونكل بهم أشد تنكيل وبعث برؤوس بعضهم

إلى المدينة إلى الإمام زين العابدين (ع) ومحمد بن الحنفية .

وأما الذين أفلتوا من يد المختار وهربوا من الكوفة استولى المختار على أموالهم وممتلكاتهم وقسمها بين الفقراء والمنكوبين من بني هاشم وشيعتهم . وهؤلاء الذين هربوا أيضاً لم يفلتوا من العقاب والانتقام فقد سُلِطَ عليهم أينما حلوا من قتلهم وأبادهم حتى لم يمض على قتل الحسين (ع) سوى بضع سنوات إلا وقد فنوا عن آخرهم وقطع دابر الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

يقول العقاد في (أبو الشهداء) ص ١٨١ «وتلك جريرة يوم واحد هو يوم كربلاء وإذا بالدولة العريضة تذهب في عمر رجل واحد مديد الأيام وإذا بالغالب في يوم كربلاء أخسر من المغلوب» .

كل ذلك بفضل المطالبة المستمرة التي كانت قائمة من قبل أهل البيت وشيعتهم بشتى الصور والوسائل .

**ثانياً** : ومن تلك العبر والدروس التي تستخلص من ثورة الحسين (ع) أيضاً صدق القول المأثور الآخر . . «الظلم لا يدوم» وأن تراه أحياناً يستمر عشرات الأعوام فإنها قليلة وضئيلة بالنسبة إلى عمر الزمن ولو قدر لدولة ظالمة أن تدوم وتستقر على الظلم والعدوان لدامت الدولة السفيانية التي أسسها معاوية بن أبي سفيان في الشام مئآت من الأعوام . ولكنها زالت بعد هلاك مؤسسها بأربع سنوات فقط وقامت على أنقاضها دولة مروانية بعد فترة من الفوضى والانحلال . والدولة المروانية تختلف عن سابقتها الدولة السفيانية . وإن الجهود التي بذلها معاوية بن أبي سفيان كانت تستهدف بقاء الملك في أسرته آل أبي سفيان عبر مئآت السنين . ولكن ربَّ ساعٍ لقاعدِ . . .

ولكي تعرف مدى قوة ذلك الملك الذي أقامه معاوية لأسرته

وبنيه هاك استمع إلى فقرات من وصيته ساعة موته إلى ولده وخليفته يزيد لعنه الله .

( . . . وأعلم يا بني اني قد كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك الأمور وذللت لك الصعاب وأخضعت لك رقاب العرب وجعلت الملك وما فيه طعمة لك واني لا أتخوف عليك فيما استتب لك إلا من أربعة . . . ) .

والخلاصة التي لا خلاف حولها هي : أن الدولة والحكومة التي خلَّفها معاوية ابن ابي سفيان كانت حصينة وقوية إلى أقصى ما يمكن قد توفرت فيها كل عناصر البقاء والدوام ما عدى عنصر واحد فقط وهو العدل والحق . وهذا العنصر هو الأصل والأساس لدوام كل شيء في هذه الحياة خاصة الدولة « العدل أساس الملك الدائم » لذا فلقد انهارت تلك الدولة بأسرع وقت كما سبق . وذلك عندما تنازل معاوية الثاني ابن يزيد عن العرش دون أن ينصب أحداً مكانه ومات بعد ثلاثة أيام . ومما يذكر أنه رقي المنبر قبل اعلان تنازله عن العرش وألقى خطبة بليغة تعرض فيها لمظالم جده معاوية بن أبي سفيان ولجرائم أبيه يزيد بن معاوية ومآثم آل أبي سفيان وأكد أن آل محمد ( ص ) أجدر وأحق بالخلافة والسلطان .

ومما قاله في تلك الخطبة :

أيها الناس إنا بلينا بكم وبليتم بنا فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا ألا وأن جدي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة من رسول الله ( ص ) وأحق في الإسلام . سابق المسلمين وأول المؤمنين وابن عم رسول رب العالمين وأبا بقية خاتم المرسلين فركب منكم ما تعلمون وركبتم منه ما لا تنكرون حتى أتته منيته وصار رهناً بعمله . ثم قلد أبي وكان

غير خليق للخير فركب هواه واستحسن خطئه وعظم رجائه فأخلفه الأمل وقصر عنه الأجل فقلّت منعته وانقطعت مدته وصار في حفرته رهناً بذنبه وأسيراً بجرمه . ثم بكى وقال :

إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه وقد قتل عترة الرسول ( ص ) وأباح حرمة المدينة . وأحرق الكعبة المشرفة وما أنا المتقلّد أموركم ولا المتحمل تبعاتكم فشأنكم أمركم فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً فلقد نلنا منها حظاً وان تكن شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها . . . ثم نزل من على المنبر ودخل داره ومات بعد ثلاثة أيام رحمة الله عليه .

وأخيراً وليس آخراً فإن العبر والدروس التي نستفيدها بكل وضوح من شهادة الحسين ( ع ) كثيرة ونضيف إلى ما قدمنا منها .

( ما كان لله ينمو ) هذا القول المأثور والحكمة البالغة تتجسد بصورة واضحة في ثورة الحسن ( ع ) . فإنها رغم بساطتها وصغر حجمها وقصر مدتها لكنها قد اتسعت أصادئها وانعكاساتها ونمت ردود فعلها على مرور الأيام حتى أصبحت تعتبر في طليعة الثورات الكبرى التي حوّلت سير التاريخ وأثرت في تحرر المجتمع وحفظ كيان الأمة أثراً كبيراً بل ولقد صار الخبراء والباحثون يؤمنون بأنها أي ثورة الحسين ( ع ) هي الثورة المثالية في باب الثورات الانسانية والاصلاحية والشعبية مطلقاً وأصبحت ثارات الحسين ( ع ) نداء كل ثورة ودولة تريد أن تفتح لها طريقاً إلى اسماع الجماهير وقلوبهم . وفعلاً لقد تأثر بها أكثر الثائرين في العالم الإسلامي بعد الحسين ( ع ) وجعلوا من ثورته وثباته وصلابة عزيمته وصبره وشجاعته . جعلوا من كل تلك الأمور قدوة مثلى لثوراتهم . يقال عن مصعب بن الزبير مثلاً الذي ثار على عبد الملك بن مروان وبقي وحده في المعركة وعرض عليه الأمان والسلام من قبل عبد الملك

فرفض وهو يقول ما ترك الحسين ( ع ) لابن حرة عذراً . ثم تقدم إلى القتال وحده وقاتل حتى قتل وكان يتمثل بقول الشاعر :

وإن الأولى بألطف من آل هاشم    تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

وكان من بعض أصدائها القريبة وردود فعلها المباشر ثورة أهل المدينة على سلطان يزيد وثورة عبد الله بن الزبير في مكة المكرمة وثورة المختار الثقفي في الكوفة ثم ثورة مصعب بن الزبير في البصرة وثورة زيد بن علي وابنه يحيى بن زيد في كلٍ من الكوفة وخراسان .

وأما انعكاساتها البعيدة فكثيرة أيضاً وأهمها ثورة السفاح التي قضت على الدولة الأموية نهائياً وجاءت بالدولة العباسية إلى الوجود . ولن تزال ردودها وآثارها تتوالى وتستمر الى ان يطهر العالم من ادران الكفر والظلم ويرث الأرض عباد الله الصالحون . وما ثورة الشعب الأيراني المسلم بقيادة آية الله السيد روح الله الخميني في شتاء عام ١٣٩٩ هجرية في ايران الا بعض نتائج ثورة الحسين ( ع ) وانعكاساتها . نسأل الله لها الدوام والاتساع حتى تشمل كل البلاد الإسلامية باذن الله . . .

أجل أن ثورة الحسين ( ع ) رغم بساطتها كما ذكرنا فلقد باركها الله وبارك آثارها وثمراتها وتعلقت ارادته سبحانه بأن تبقى ذكراها خالدة متجددة متوسعة عاماً بعد عام . وها هي قد مضى عليها ما يقارب الألف وأربعمائة سنة وذكراها تتجدد بتزايد وتوسع في عدة أقطار إسلامية وتتعطل فيها الدوائر الرسمية والأعمال والأسواق يوم ذكرى ثورة الحسين ( ع ) وتحتفل بإحياء هذه الذكرى شعوب كثيرة وقوميات شتى وعناصر متعددة من البشر . مع العلم بأن هذا

كله على الرغم من العقبات التي وضعها ويضعها المخالفون والمعارضون لتلك الشعائر في طريق اقامتها ورغم المحاولات المستمرة التي يبذلونها للقضاء عليها قضاء كلياً . ولكن « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » . نعم إنما هي ارادة الله سبحانه التي تبنت ذكرى ثورة الحسين (ع) وقدرت لها البقاء لأن في بقائها حجة بالغة ودعوة قائمة إلى طريق الخير والسعادة والشرف والكرامة تلك الحجة وذلك الطريق المتمثلين في العمل الذي قام به الحسين (ع) إيمانٌ بالله وحبٌ للإنسانية وتضحيةٌ في الدفاع عنها حتى النصر أو الموت .

والذي نقصده من معنى البساطة في ثورة الحسين (ع) هي البساطة من حيث الزمن بلحاظ أنها لم تستغرق سوى بضعة أيام منذ أن صمم الحسين (ع) على ملاقاة القوم وفشلت معهم كل الجهود السلمية التي بذلها لحقن الدماء ولأجل أن يفسحوا له المجال ليسير في أرض الله العريضة إلى حيث ينتهي به السير ويخرج من منطقة نفوذ ابن زياد أو ربما يجتمع بيزيد بن معاوية للتفاوض معه حول الخلافة ومصلحة الأمة . وقد جرت منه لهذا الغرض عدة اجتماعات بينه وبين قائد الجيش عمر بن سعد وقد كتب عمر بن سعد باقتراحات الحسين (ع) إلى عبيد الله بن زياد والي العراق وكاد ابن زياد أن يلين ويوافق على اقتراحات الحسين (ع) ولكن الشمر بن ذي الجوشن وآخرين من بطانته حولوا رأيه وحسنوا له الاستمرار على حصار الحسين (ع) حتى يستسلم له أو يقاتله . وكانت النهاية التي انهارت فيها كافة المحاولات السلمية هي يوم التاسع من المحرم لما ورد الشمر إلى كربلاء بآخر كتاب من ابن زياد إلى عمر بن سعد يأمره فيه بكل تأكيد بأن يغلق باب المحادثات مع الحسين (ع) ويعرض عليه أحد أمرين فقط فإما الاستسلام وإما

الحرب ثم يأمره أيضاً أن لا يطيل المدة أكثر مما طالت وأن يعجل في أمر الحسين ( ع ) مهما أمكن حيث علم ابن زياد ان الزمن ليس في جانب مصلحته وكان الشمر بن ذي الجوشن يحمل أمراً سرياً خاصاً من ابن زياد بأنه إن امتنع عمر بن سعد من تنفيذ الأوامر الصادرة إليه ضد الحسين ( ع ) فليقتله ويتولى هو - أي الشمر - قيادة الجيش . ولكن عمر بن سعد لما قرأ كتاب عبيد الله بن زياد التفت إلى الشمر وقال له لعنك الله يا شمر ولعن ما قدمت به والله اني لأظن أنك أفسدت علينا ما كنا رجونا صلاحه ولن يستسلم الحسين ( ع ) أبداً إن نفس أبيه لبين جنبيه . فقال له الشمر أخبرني عما أنت فاعله أتمضي لأمر أميرك وتقاتل عدوه وإلا فاعتزل وخلي ذلك بيني وبين الجيش . فقال عمر بن سعد : لا . ولا كرامة لك أنا أتولى ذلك فدونك أنت فكن على الرجّالة ثم نهض لحرب الحسين ( ع ) وزحف بالجيش نحو معسكر الحسين ( ع ) عشية الخميس لتسعٍ مضين من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة . ولكن الحسين ( ع ) استمهلهم سواد تلك الليلة فأمهلوه إلى صبيحة العاشر من المحرم حيث بدأت الحرب أول ارتفاع الشمس وانتهت بمصرع الحسين ( ع ) قبل غروبها بقليل من نفس ذلك اليوم .

فالثورة الحسينية من بدايتها إلى نهايتها لم تستغرق سوى بضعة أيام فقط هذا من حيث المدة والزمن وأما من حيث المكان فإن حدودها لم تتجاوز منطقة كربلاء ذلك الوادي على شاطيء الفرات المحاط بسلسلة من التلال المتصلة على امتداد الصحراء وعرفت قديماً بإسم ( كور بابل ) ثم صحّفت إلى كربلاء وبالقرب منها منطقة تسمى ( نينوى ) وقيل أنها كربَلاء بالذات ومن أسمائها أيضاً وادي الطفوف والغاضريات . ولم يكن لها شيء تذكر به من الوقائع أو التربة أو الموقع الجغرافي قبل وقعة عاشوراء عليها .

وأما من حيث عدد الثائرين فيها فإنه لم يتجاوز الثلاثمائة والثلاثة عشر على أكثر الفروض بين رجل وصبي وطفل وشيخ وكهل .

فهي إذاً ثورة بسيطة كماً وكيفاً وزماناً ومكاناً . ولكنها أعظم ثورة في العالم كله من حيث المفهوم والمضمون . من حيث التجرد والواقعية والاخلاص لله سبحانه وتعالى ومن حيث العطاء والفداء .

فبين عشية وضحاها وفي خلال نهار واحد فقط أُبيدت واستئصلت بيوت وأسر من آل رسول الله ( ص ) أو كادت أن تستأصل . قال بعض الشعراء :

عينُ جودي بعبرةٍ وعويل ... واندبي إن ندبت آل الرسول
سبعة كلهم لصلب علي ... قد أُصيبوا وتسعة لعقيل

أجل لقد استأصل ولد الحسين ( ع ) ولم ينج منهم سوى زين العابدين ( ع ) وذلك بأعجوبة . وأبيد ولد الحسن ( ع ) ولم يسلم منهم سوى طفلين صبيين والحسن المثنى الذي سقط جريحاً فحمله أخواله بنو فزارة وتشفعوا فيه عند عمر بن سعد وابن زياد ثم حملوه إلى الكوفة وعالجوا جراحه حتى شفي وعاد إلى المدينة ولم يبق من أولاد عقيل بن أبي طالب وأولاد جعفر بن أبي طالب سوى الأحفاد الصغار حتى هؤلاء قتل بعضهم سحقاً تحت حوافر الخيول لما هجم القوم على الخيام . قالوا خرج صبي يدرج من مخيم الحسين ( ع ) وفي أذنيه درتان تتذبذبان على خديه وهو مدهوش مذعور من هجوم الأعداء على الخيام يتلفت يميناً ويساراً وأمه خلفه تلاحظه وتحرسه فدنا منه رجل من القوم على فرس بيده عمود من حديد فضرب الصبي على رأسه وأرداه إلى الأرض قتيلاً . وقد وجد عدة أطفال من آل الحسين ( ع ) يوم الحادي عشر من المحرم وهم موتى من

العطش على وجه الرمال بعد أن فرّوا من المخيم عند هجوم الخيل يوم عاشوراء ولما صرع وهب بن حباب الكلبي يوم عاشوراء خرجت أمه من الخيمة حتى جلست عند مصرع ولدها تندبه وتبكيه فقال الشمر بن ذي الجوشن لغلامه ويلك أضرب رأسها فخدش الغلام رأسها وقتلها بمكانها . هذا بعض ما يمكن تصويره وبيانه من مآسي تلك الثورة البسيطة المتواضعة والتي ظهرت بعد انتهائها وبعد مرور بعض الزمن عليها كأعظم ثورة في الدنيا من حيث المثالية والقدسية . وذلك رغم محاولات الأمويين وغيرهم لإعفاء آثارها وطمس معالمها وجعلها كأنها لم تكن شيئاً مذكوراً « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

ونعود ثانية إلى القول المأثور . ما كان لله ينموا . . . أجل إن الشواهد على صدق هذا القول كثيرة في التاريخ بل وفي حياتنا اليومية أيضاً ففي التاريخ أن موسى بن عمران ( ع ) مثلاً أعان ابنتي شعيب وسقى لهما من البئر التي ازدحم عليها الرجال وكان عمله هذا خالصاً لوجه الله تعالى ما كان ينتظر بل لا يتصور من ورائه ربحاً أو نفعاً في الدنيا فبارك الله له في ذلك العمل البسيط فوصل بسببه إلى شعيب نبي الله على تلك القرية ونال الأمن والزوجة والمال في كنفه . وبالتالي اختاره الله رسولاً إلى فرعون وملئه .

وهذا مثل آخر هو يوسف الصديق ( ع ) اتقى الله واستعصم وتورع عن الخيانة وكافح شهوته ساعة لوجه الله تعالى لا خوفاً من الناس ولا طمعاً فيهم . فبارك الله ذلك العمل والكفاح ضد نفسه الامارة فأوصله إلى ملك مصر مع النبوة وعظيم الزلفى .

ومن هذه الأمثلة ذلك الشاب البار بوالديه في عصر موسى بن عمران ( ع ) وكانت له بقرة فلما وقع حادث القتل في بني إسرائيل

ولم يعرف القاتل أمرهم موسى ( ع ) ان يذبحوا بقرةً خاصة بصفاة معيّنة ما وجدت الا عنده فزاد في ثمنها حتى اشتروا منه تلك البقرة بملء جلدها ذهباً وذبحوها وضربوا المقتول ببعض أعضائها فأحياه الله تعالى وأخبر بقاتله وبذلك كشفت عنهم تلك الفتنة التي كادت أن تقع فيهم ويذهب ضحيتها خلق كثير منهم .

وإلى أمثالها من الشواهد الكثيرة ، إلا أن موقف الحسين ( ع ) في كربلاء أوضحها دلالة وأشدها تأكيداً على صدق هذا القول المأثور « ما كان الله ينموا » .

لقد وقف ( عليه السلام ) ومعه نفر قليل من الأعوان بدون عدة ولا مدد محصورين ممنوعين عن الماء وورائه جمع من النساء والأطفال وأمامه جيش من الأعداء قد تجردوا من كل صفة انسانية وفقدوا الضمير والوجدان وبالاضافة إلى أن ذلك الجيش كان يفوق عدد أصحابه بمئات المرات حيث كان لا يقل عن الثلاثين ألفاً .

يقول المرحوم عباس محمود العقاد في كتابه ( ابو الشهداء ) يصف أعوان يزيد : « وإنما بقيت ليزيد شرذمة على غراره أصدق ما توصف به أنها شرذمة جلادين يقتلون من أمروا بقتله ويقبضون الأجر فرحين . ويقول أيضاً- فكان أعوان يزيد جلادين وكلاب طراد في صيد كبير وكانوا في خلائقهم البدنية على المثال الذي يعهد في هذه الطغمة من الناس ونعني به مثال المسخاء المشوهين الذين تمتلىء صدورهم بالحقد على أبناء آدم ولا سيما من كان منهم على سواء الخلق وحسن الأحدوثة » .

أقول لقد وقف الحسين ( ع ) وأصحابه يوم عاشوراء ذلك الموقف الحرج الشاق الصعب مع انه كان في وسع كل واحد منهم أن يتجنب القتل بكلمة يقولها أو بخطوة يخطوها ولكنهم جميعاً

آثروا الموت عطاشاً جياعاً مناضلين من دون أن يكون لهم أي أمل في النصر العاجل والانتصار العسكري ولكن وقفوا لوجه الله تعالى مخلصين له بالجهاد في سبيل دينه وشريعته مضحين بأنفسهم في سبيله .

وقفوا والموت في قارعةٍ    لو بها أرسى ثهلان لزالا
فأبوا إلا اتصالاً بالضبا    وعن الضيم من الروح انفصالا
أرخصوها للعوالي مهجاً    قد شراها منهم الله فغالا

ونختم هذا الفصل بكلمة للعقاد في ( أبو الشهداء ) ص ١٩٤ :

« وباء الحسين في ذلك الموقف بالفخر الذي لا فخر مثله في تواريخ بني الانسان غير مستثنى منهم عربي ولا عجمي ولا قديم ولا حديث » وجميل جداً ما شبه به بعض الكتاب موقف الحسين ( ع ) وموقف خصومه يوم كربلاء فقال ما مضمونه :

ان ساحة الصراع في كربلاء كان أشبه بمعرض عالمي أقيم على تلك البقعة وكان لذلك المعرض جناحان فقط جناح الحسين ( ع ) وأصحابه وجناح أعدائه ومقاتليه وقد عرض كل من الجانبين في جناحه الخاص نماذج وصور عن هذا الجنس البشري في طرفي صعوده وسقوطه فعرض الحسين ( ع ) وأصحابه للعالم نماذج مثالية خالدة عن أقصى مراحل التكامل البشري والكمال الانساني من مصنع الإسلام وصناعة القرآن . كما عرض أعدائه في الجانب الآخر نماذج خالدة للعالم عن أسفل درك المسخ والسقوط والانتكاس البشري من مصنع الجهل وصناعة الحكم الأموي . فكربلاء إذاً معرض بشري عالمي قائم ومفتوح حتى يومنا هذا دون منافس ولا نظير .

والخلاصة هي : أن الحسين (ع) وان خسر المعركة العسكرية والحرب المسلحة بسبب غدر أهل العراق . ولكنه وبلا شك ... قد ربح المعركة السياسية بكل أبعادها وكسب الحرب الدعائية بأوسع حدودها وانتصر على أعدائه الأمويين على صعيد الرأي العام العالمي . فخلَّده التاريخ رمزاً للشهادة والتضحية في سبيل العقيدة والكرامة الانسانية . وخلد الأمويين أيضاً رمزاً للانتهازية والنفعية والسقوط الانساني . فلا تجد في العالم غالباً أشبه بمغلوب من الأمويين في موقفهم من الحسين (ع) ولا تجد مغلوباً أشبه بغالبٍ ومنتصرٍ من الحسين (ع) في ثورته ضد الأمويين وهذا ما قصده الحسين (ع) بموقفه يوم عاشوراء وعبر عنه تعبيراً صريحاً في كتابه إلى من تخلف عنه بقوله : أما بعد فمن لحق بي منكم استشهد ومن لم يلحق لم يبلغ الفتح ... والسلام .. ولقد أجاد بعض الأدباء حيث قال :

يا شهيد الطفوف تفديك روحي ... كنت والله ضيغماً هدَّارا
كلما كرروا عليك هجوماً ... زادك الكرُّ نجدة واصطبارا
ان تكن كربلا رأتك وحيداً ... وتنادي فلم تجد أنصارا
وابن هند يسوق جيشاً كثيفاً ... يملأ البحر جلبة والقفارا
فطواه الزمان ملكاً غريراً ... سيىء الذكر ماجناً خمَّارا
وبنا من علاك مجداً طريفاً ... خالد الذكر كالنهار اشتهارا

وقال أديب آخر :

شهيد العلا ما انت ميتٌ وأنما ... يموت الذي يبلى وليس له ذكر
وما دمك المسفوك الا قيامةٌ ... لها كل عام يومُ عاشوره حشر
وما دمك المسفوك الا رسالة ... مخلدة لم يخل من ذكرها عصر
وما دمك المسفوك الا تحررٌ ... لدنياً طغت فيها الخديعة والمكر
وهدم لبنيان على الظالم قائم ... بناه الهوى والكيد والحقد والغدر

# من دفن الحسين ( ع ) وأصحابه ومتى وكيف ؟

من القواعد العامة والثابتة عند الشيعة هي أن المعصوم لا يجهزه ولا يدفنه إلا معصوم مثله . فرسول الله ( ص ) مثلاً جهزه ودفنه الإمام أمير المؤمنين ( ع ) وكذلك سيدة النساء فاطمة ( عليها السلام ) قام الإمام ( عليه السلام ) بغسلها وتجهيزها ودفنها ليلاً وعفّا موضع قبرها حسب وصيتها ( عليها السلام ) . والإمام علي ( ع ) جهزه ودفنه ابنه الإمام الحسن ( ع ) . . . وهكذا كل إمام أو معصوم قام بتجهيزه المعصوم الآخر .

والآن السؤال هو :

من الذي دفن الحسين ( ع ) مع العلم أن إبنه الإمام زين العابدين كان أسيراً بأيدي الأعداء في الكوفة ؟

نقول : أجل كان علي بن الحسين زين العابدين أسيراً بأيدي الأعداء ولكن تمكن من الخروج من السجن ليلاً مساء الثاني عشر من المحرم ووصل إلى كربلاء صبيحة الثالث عشر منه ودفن أباه

الحسين ( ع ) وصحبه بمعونة رهط من بني أسد كانوا هناك ولما فرغ من مواراتهم جميعاً وعرّفهم بمواقع قبور الأصحاب والهاشميين وأبي الفضل العباس وحبيب بن مظاهر عند ذلك عرَّفهم بنفسه وطلب اليهم أن يقوموا بضيافة الزائرين ودلالتهم وتعريفهم . ثم ودعهم وعاد إلى سجن عبيد الله بن زياد ليلاً دون أن يشعر به الحراس وكانت عمته العقيلة زينب ( ع ) قد افتقدته تلك الليلة ولما عاد أخبرها أنه مضى لمواراة جثمان أبيه الحسين ( ع ) وصحبه .

نعم لقد دفن جسد الحسين ( ع ) في الثالث عشر من المحرم أي بعد مقتله بثلاثة أيام ولكن رأس الحسين بقي على أطراف الرماح وبأيدي الأعداء وبين يدي ابن زياد ويزيد لعنهما الله حتى أعاده الإمام زين العابدين إلى كربلاء عندما رجع من الأسر وألحقه بالجسد الشريف وذلك بعد أربعين يوماً من مقتله أي في العشرين من شهر صفر .

هذا أصح الأقوال وأقربها إلى الاعتبار عند المحققين . وهناك أقوال مختلفة في تحديد مدفن رأس الحسين . غير أن الذي عليه الشيعة هو القول الأول أعني أن الإمام السجاد أعاده إلى كربلاء ودفنه مع الجسد . وبهذه المناسبة تكونت زيارة الأربعين حيث تفد المواكب العزائية وآلاف الزائرين إلى كربلاء يوم العشرين من شهر صفر فكأنهم يقومون بدور الاستقبال للإمام السجاد وبنات الرسالة العائدين من الشام ومعهم رأس الحسين ( ع ) . وفي نفس الوقت يجددون الاحتفال بذكرى مرور أربعين يوماً على شهادة الحسين ( ع ) .

وأول من قام بهذه الزيارة عفواً ومن غير قصد إلى المناسبة المذكورة هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري ( ره ) الذي عظم عليه نبأ قتل الحسين ( ع ) وهو في المدينة فخرج منها

متوجهاً إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين (ع) واصطحب معه رجلاً يقال له ابن عطية وغلاماً له. وصادف وصوله إلى كربلاء يوم التاسع عشر من صفر. أي قبل ورود أهل البيت (ع) بيوم واحد. فلما وصل جابر إلى كربلاء توجه إلى شاطيء الفرات فاغتسل وغسل ثيابه ثم توجه نحو القبور الطاهرة بهدوءٍ وخشوع وكان يسبح الله ويهلله ويقول لصاحبه ابن عطية قصّر الخطا في زيارة الحسين (ع) فإني سمعت رسول الله (ص) يقول إن لزائر الحسين (ع) بكل خطوة حسنة عند الله تعالى.

ولما أتم جابر زيارة قبر الحسين (ع) توجه إلى قبور الشهداء حوله وسلم عليهم وحياهم أحسن تحية ثم قال لهم أشهد أننا قد شاركناكم فيما أنتم فيه من الأجر الجزيل عند الله سبحانه. فقال له ابن عطية وكيف نكون شركائهم في أجرهم وثوابهم مع أننا لم نضرب بسيف ولم نطعن برمح والقوم كما ترى قد بذلوا أنفسهم وضحوا بكل ما لديهم. فكيف نكون شركائهم. فقال جابر نعم يا بن عطية لقد سمعت رسول الله (ص) يقول من أحب عمل قوم أشرك معهم في عملهم. وأن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه.

والخلاصة: لقد التقى جابر بن عبد الله الأنصاري في اليوم الثاني بالإمام زين العابدين (ع) عند قبر الحسين (ع) واستمع منه إلى تفاصيل ما جرى هناك فكثر البكاء والعويل حول قبر الحسين (ع) وأقيمت المآتم من قِبَل أهل السواد والنواحي الذين كانوا قد توافدوا لزيارة قبر الحسين (ع) وللسلام على زين العابدين وبنات الرسالة واستمروا على تلك الحال ثلاثة أيام ثم بعد ذلك ارتحل زين العابدين (عليه السلام) بالعائلة من كربلاء مواصلاً سيره نحو المدينة المنورة.

هذا ويذكر بالمناسبة أن الحسين (ع) اشترى ارض كربلاء من أصحابها بني أسد بستين الف دينار وذلك فور وصوله اليها يوم الثاني من المحرم واشترط عليهم ضمن العقد أن يضيفوا زوار قبره ثلاثة ايام ويرشدوهم إلى مكان قبره الشريف وقبور الشهداء معه وذلك عوض بقائهم في الأرض وانتفاعهم بها ... والله اعلم ...

* * *

# شقيقات الحسين (ع) كم عددهن ومن هن ؟

المشهور بين المؤرين أن بنات فاطمة (عليها السلام) اثنتان : زينب العقيلة واختها أم كلثوم . والمشهور بينهم أيضاً أن أم كلثوم هذه تزوجها عمر بن الخطاب . غير أن بعض المحققين ينفي وجود أم كلثوم بتاتاً ويرى أن زينب العقيلة كانت تكنّا بأم كلثوم وأنها هي البنت الوحيدة لفاطمة الزهراء (ع) ويستند في رأيه هذا على ظواهر تاريخية . منها أنه لم يرد لها . أي لأم كلثوم ذكر في حوادث وفاة فاطمة (عليها السلام) . حيث أوصت ببعض الأشياء التي تعود لها إلى زينب وأوصتها بأمور تتعلق بالحسين (ع) ولم يرد في وصاياها ذكر لأم كلثوم . ومنها أيضاً . إن كثيراً من قضايا كربلاء والسبي من خطب وكلمات وأعمال تنسب تارة إلى زينب وتنسب نفسها إلى أم كلثوم تارة أخرى الأمر الذي يدل على أن زينب وأم كلثوم واحدة يعبّر عنها تارة بالاسم وتارة بالكنية .

وهناك بعض الخبراء من علمائنا الأعلام يقرُّ وجود أم كلثوم

كبنت ثانية لفاطمة ( ع ) ولكن ينفي تزويجها من عمر بن الخطاب نفياً قاطعاً . ومنهم الحجة الجليل الشيخ المفيد قدس سره في أجوبة المسال السروية . حيث يقول ( ره ) والخبر الحاكي أن أمير المؤمنين ( ع ) زوج أم كلثوم من عمر بن الخطاب خبر لم تثبت صحته لأن مصدره الأول والوحيد هوالزبير بن بكار وهو غير مأمون ولا موثوق به لأنه مشهور بالعداوة لعلي ( ع ) وأهل بيته فهو متهم فيما يروى عنهم لا يوثق بخبره . هذا بالاضافة إلى أنه مضطرب في نقله لهذا الخبر ومختلف في روايته مما يدل على كذب الخبر ووهن الرواية . . . والله أعلم . . .

وأما زينب الكبرى فإنها عقيلة آل أبي طالب وسيدة النساء بعد أمها فاطمة ووصية أخيها الحسين ( ع ) وكافلة الإمام زين العابدين ، وعلى العموم هي شريكة الحسين ( ع ) في حركته المباركة وثورته المقدسة وشقيقة الحسن والحسين في أشرف نسب ورضاع ونشأة . انتقلت من أصلاب طاهرة إلى أرحام مطهرة رضعت من ثدي الايمان والعصمة نشأت في حجر النبوة والإمامة درجت في بيت الوحي والرسالة . فكانت ( عليها السلام ) نموذجاً صالحاً ومثالاً صادقاً لأهل ذلك البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

ومن ثم أفادت بعض الأخبار بأن الإمام أمير المؤمنين ( ع ) كان ينظر إلى العقيلة زينب نظرته إلى أمها فاطمة من حيث الاجلال والاحترام وكان يحدثها ويحدث ثقاة أصحابه بالمحن الجسام التي أمامها وبالدور البطولي الذي ينتظرها في أعظم صراع بين الخير والشر في التاريخ .

والواقع أن الدور الذي قامت به العقيلة زينب في تلك الثورة لا يقل صعوبة ولا تأثيراً في نصرة الدين من دور الحسين ( ع ) وأصحابه .

فهي بحق بطلة كربلاء ظهرت على مسرح تلك الحوادث المؤلمة والمواقف الرهيبة بأجلى مظاهر البطولة وأعلى مستويات الشجاعة من حيث الصبر والاستقامة ورباطة الجأش وامتلاك الأعصاب . تماماً كما وصفها هذا السيد الأديب . قال :

بأبي التي ورثت مصائب أمها فغدت تقابلها بصبر أبيها
لم تلهو عن جمع العيال وحفظهم بفراق أخوتها وفقد بنيها

وقال الآخر :

قد ورثت زينب عن أمها كل الذي جرى عليها وصار
وزادت البنت على أمها من دارها تهدى إلى شر دار

وان شئت هلم معي لنستعرض آيات باهرات عن بطولة العقيلة زينب (ع) وشجاعتها :

لما صرع الحسين (ع) خرجت السيدة زينب متوجهة إليه تشق طريقها بين الجماهير وتتخطى القتلى والجرحى حتى وصلت إلى مصرع أخيها الحسين (ع) فوجدته بحالة تفتت القلوب وتقطع الأكباد وتجري الدموع دماً . فكان المتوقع منها طبعاً وهي أخته الثكلى وشقيقته المفجوعة به . أقول كان المتوقع منها أن تفقد كل تماسكٍ وتوازن وتشق جيبها وتنشغل بالصراخ والعويل واللطم والبكاء وما شاكل ذلك .

ولكنها لم تفعل شيئاً من هذا القبيل أبداً بل جلست عند رأس الحسين (ع) بهدوء ووقار ومدت يديها تحت ظهر الحسين (ع) ورفعت رأسه عن الأرض وأسندته إلى صدرها ورفعت طرفها نحو السماء وقالت وهي خاشعة خاضعة بين يدي الله تعالى : « اللهم تقبل منا هذا القربان . اللهم تقبل منا هذا الفداء » .

## يوم الحادي عشر :

الأسير عادة تظهر عليه آثر الذل والاستكانة أمام آسره . وخاصة المرأة مهما كانت عظيمة وقوية ولكنها إذا وقعت في أسر العدو تلين الكلام معه وتتطلب عطفه وشفقته .

أما عقيلة آل أبي طالب وبنت أمير المؤمنين علي (ع ) فإنها ما ذلّت ولا خظعت بالقول لأي من أولئك الطغات الغالبين . تخاطب القائد الفاتح عمر بن سعد يوم الحادي عشر عندما قدّم النياق إلى النساء للركوب . قالت ويلك يا بن سعد سود الله وجهك أتأمر الأجانب أن يركبّونا ونحن بنات رسول الله ( ص ) قل لهم فليتباعدوا عنا حتى يركّب بعضنا بعضاً .

وقالت لعبيد الله بن زياد ذلك الطاغي المتجبر لما سألها قائلاً كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهلك . فأجابته قائلة : ما رأيت إلا جميلاً أولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذٍ ثكلتك أمك با بن مرجانة .

وقالت ليزيد بن معاوية وهي أسيرة بين يديه وفي المجلس العام .

أمن العدل يا بن الطلقاء تخديرك حرائرك واماثك وسوقك بنات رسول الله ( ص ) سبايا . . ولئن جرّت على الدواهي مخاطبتك إني لاستصغر قدرك واستعظم تقريعك واستكبر توبيخك لكن العيون العبري والصدور حرا فأسع سعيك وكد كيدك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا . . .

والله يا يزيد ما فريت إلا جلدك ولا حزرت إلا لحمك وهل

رأيك الأفند وجمعك الأبدد وأيامك الأعدد وسيعلم من سوى لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً إلا فالعجب كل العجب من قتل حزب الله النجباء بأيدي حزب الشيطان الطلقاء . وهذه الأيدي تنطف من دمائنا والأفواهُ تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل وتعفرها امهات الفراعل . . . اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم لنا ممن ظلمنا واحلل غضبك على من سفك دمائنا وقتل حماتنا .

**والخلاصة** : انها سلام الله عليها ما ظهر عليها ذل الأسر وضعف السبي أبداً . لقد قابلت الحوادث الجسام والمصائب العظام بشجاعة فائقة ورباطة جأش .

ومن الجدير بالذكر إضافة إلى ما سبق أن رجلاً من الشخصيات كان حاضراً في مجلس يزيد فنظر إلى فاطمة بنت الحسين ( ع ) فالتفت إلى يزيد وقال يا أمير أطلب منك أن تهب لي هذه الجارية تكون خادمة عندي . وقبل أن يرد عليه يزيد بشيء قامت اليه الحوراء زينب ( ع ) وقالت له صه يا لكع الرجال ما جعل الله ذلك لك ولا لأميرك . فقال يزيد ان ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت . فقالت له العقيلة ( ع ) : كلا إلا أن تخرج عن ملتنا وتدين بدين غير ديننا فغضب يزيد وقال إنما خرج عن الدين أبوك وأخوك . فردت عليه السيدة زينب ( ع ) قائلة بدين الله ودين جدي وأبي وأخي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً . ولما لم يجد يزيد جواباً قال لها كذبت يا عدوة الله . فقالت ( عليها السلام ) انت أمير تشتم ظلماً وتقهر بسلطانك . فسكت يريد وما رد عليها وسكتت زينب ( ع ) فأعاد الرجل الشامي مقالته وقال يا أمير هب لي هذه الجارية تكون خادمة لي . فقال له يزيد : وهب الله لك حتفاً قاضياً ويلك أتعرفها والتي تنهاك عنها . فقال الرجل : لا . ولكنك تقول هؤلاء

خوارج خرجوا علي فقتلت الرجال وسبيت النساء . فقال يزيد ويلك أما التي تريدها خادمة في بيتك فهي فاطمة بنت الحسين بن علي وأما التي تمنعك عنها فهي عمتها زينب بنت علي بن أبي طالب . فلما سمع الرجل ذلك قال ويل لك يا يزيد أتقتل آل بيت رسول الله وتسبي نسائهم .

وهكذا وبمثل هذه المواقف الرائعة أعطت السيدة زينب ( ع ) المثل الأعلى للمرأة المسلمة المثالية كيف تتغلب على عواطفها في اللحظات الحرجة وكيف تسيطر على غرائزها بقوة العقل والتفكير الواعي فتساهم بذلك في خدمة الدين والعدل والمصلحة العامة مع الحفاظ على عزتها وكرامتها .

وهذا مما يؤكد لنا القول بأن المرأة أنفع عنصر في الحياة إن أخضعت عواطفها لارادة العقل والتفكير الواعي وجندت قواها لخدمة المصلحة الحقيقية وأنها تكون أضر وأخطر عنصر في الحياة إذا جعلت من نفسها آلة طيعة للشهوات والغرائز الحيوانية وسارت وراء عواطفها بدون قيد من عقل ولا رادع من ضمير ولا وازع من دين فتكون بذلك أقوى سلاح بيد الشيطان .

**نهاية المطاف :**

وأخيراً عادت السيدة زينب من الأسر إلى مدينة جدها الرسول ( ص ) وبدأت فيها حربها الدعائية ونضالها الاعلامي ضد الأمويين وذلك بعقد المجالس والاجتماعات النسائية العامة وسرد المصائب والمحن التي لاقاها أهل البيت ( ع ) من الأمويين وأعوانهم حتى تركت الرأي العام في المدينة المنورة كبر كان يقذف اللعنات على يزيد وأتباعه واستشعر حكام المدينة بالخطر فأرسلوا الرسل والرسائل إلى يزيد ينذرونه بخطر الثورة في المدينة إن بقيت فيها السيدة مستمرة على عملها هذا . لما وقف يزيد على حقائق الأمور الجارية

هناك بعث إلى حاكم المدينة يأمره بإبعاد زينب ( ع ) منها إلى مصرٍ . أي إلى أيِّ بلدٍ آخر غير المدينة المنورة .

فظن الوالي أن يزيد يقصد إبعادها إلى بلاد مصر خاصة . فخرجت زينب مع نساء من قومها إلى مصر . واستقبلها والي مصر بإجلال واكرام وعاشت هناك مواصلة كفاحها الدعائي بجد ونشاط إلى أن فاجأها الأجل المحتوم في الخامس عشر من رجب المبارك سنة خمس وستين للهجرة عن عمر ناهز الستين عاماً ودفنت هناك . فصلوات الله وسلامه عليها واللعنة الدائمة على أعدائها وظالميها أبد الدهر .

هذا وهناك أقوال وأخبار أخرى عن وفاتها ومدفنها سلام الله عليها منها الخبر القائل بأنها بقيت في المدينة المنورة حزينة نادبة باكية على أخيها الحسين إلى أن ماتت فيها ودفنت في البقيع على الرغم من عدم وجود قبر معلوم لها هناك .

ومنها الخبر الذي مفاده أنها ( عليها السلام ) هاجرت مع زوجها عبد الله بن جعفر الطيار إلى الشام عام وقعة الحرَّة وعام المجاعة وكان لعبد الله بن جعفر ضياع ومزارع حول دمشق فهاجر اليها مع عائلته وبقيت السيدة زينب هناك إلى أن توفيت ودفنت حيث مكان قبرها المعروف اليوم في ضواحي دمشق .

وأخيراً الخبر الذي يقول بأن السيدة زينب ( ع ) ماتت في الشام وهي في السبي ولم ترجع إلى المدينة ماتت أيام السبي في الشام ودفنت هناك كما ماتت قبلها السيدة رقية بنت الحسين ( ع ) ودفنت في مرقدها المعروف داخل دمشق .

هذه مجموعة الأخبار والأقوال التي قيلت عن مكان وفاة السيدة زينب بنت علي ( ع ) ومرقدها الشريف ولكن القول الثالث . . . اي انها توفيت في الشام ودفنت بها حيث مزارها المعروف اليوم أشهرها

بين المؤرخين وأوثقها في رأي الخبراء ويؤيده الشياع والشهرة بين الطائفة منذ اكثر من ألف سنة وحتى اليوم .

والظاهر الذي لا يبعد عن الاعتبار هو أن السيدة زينب الكبرى بنت فاطمة الزهراء ( ع ) هي التي مرقدها في دمشق الشام . . . وأما التي في مصر فهي زينب الصغرى بنت الإمام أمير المؤمنين ( ع ) من غير فاطمة الزهراء ( ع ) او هي من احفاده على الأرجح ولم أقف على ترجمةٍ وافية لحياتها وأسباب دفنها هناك . أو هي احدى احفاد الأئمة ( عليهم السلام ) من اللواتي أسمهن زينب ومدفونات في مصر وهن عديدات والله أعلم .

وهذا من جنايات التاريخ على آل ارسول ( ص ) حيث أهمل الكثير من أحوالهم وسيرتهم . وكثيراً ما نسب الأكاذيب والافتراءات إلى بعضهم بغرض التشويه لسمعتهم والحط من كرامتهم .

وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون . وفي الختام نتساءل ونقول مع الأديب الفاضل السيد حيدر الحلي ( ره ) :

| | |
|---|---|
| ما ذنب أهل البيت حتى | منهم أخلوا ربوعه |
| تركوهم شتى مصارعهم | وأجمعها فضيعة |
| فمكابد للسمّ قد سقيت | حشاشته نقيعه |
| ومضرّج بالسيف آثر | عزّه وأبى خضوعه |
| ومصفد الله سلّم أمر | ما قاسى جميعه |
| وسبيّةٍ باتت بأفعى | الهمّ مهجتها لسيعه |
| حملت ودائعكم إلى | من ليس يعرف ما الوديعه |
| آل الرسالة لم تزل | كبدي لرزئكم صديعه |

فإنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين المعصومين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . . .

# الـفـهـرس

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| لماذا هاجر الحسين ( ع ) من المدينة ؟ | ٩٣ |
| لماذا حمل الحسين ( ع ) عياله وأطفاله في هجرته الثورية ؟ | ١٠١ |
| لماذا توجه الحسين ( ع ) بهجرته في البداية إلى مكة المكرمة ؟ | ١٠٩ |
| كيف وثق الحسين ( ع ) بأهل الكوفة ولماذا خرج اليهم ؟ | ١١٣ |
| هل الذين قتلوا الحسين ( ع ) كانوا شيعة ؟ | ١٢١ |
| هل كان الحسين ( ع ) يطلب الحكم بثورته ؟ | ١٢٩ |
| هل كان الحسين ( ع ) عالماً بمصيره المعروف ؟ | ١٣٧ |
| لماذا يأذن الحسين ( ع ) لأصحابه بالتفرق عنه ؟ | ١٤١ |
| هل كانت ثورة الحسين ( ع ) ناجحة ومحققة لأهدافها ؟ | ١٤٧ |
| هل هناك ثمرة من ثورة الحسين ( ع ) للمسلمين ككل ؟ | ١٦١ |
| هل يصح البكاء على الحسين ( ع ) وهو الثائر الفاتح ؟ | ١٦٩ |
| ما الحكمة من زيارة قبر الحسين ( ع ) ؟ | ١٧٩ |
| هل في مراسيم عاشوراء عمل حرام شرعاً ؟ | ١٨٥ |
| متى بدأت أعمال الاحتفال بذكرى عاشوراء ؟ | ١٩٣ |
| لماذا يلتزم الشيعة بالسجود على التربة الحسينية من أرض كربلاء ؟ | ١٩٩ |
| هل يحدث إحياء ذكرى الحسين ( ع ) تفرقة وحزازات طائفية ؟ | ٢٠٥ |
| استنتاج العبر من ثورة الحسين ( ع ) ؟ | ٢١٣ |
| من دفن الحسين ( ع ) وأصحابه ومتى وكيف ؟ | ٢٢٧ |
| شقيقات الحسين ( ع ) كم عددهن ومن هن ؟ | ٢٣١ |







